

مجلة

كلية الآداب
والعلوم الإنسانية

الرباط

جامعة محمد الخامس

العدد التاسع عشر
1994

مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط

«تصدر مرة كل سنة»

المدير : عبد الواحد بن داود

هيئة التحرير :

عمر أفنا

أحمد اليبوري محمد منيار

المختار الهسّاس محمد مفتاح

قاسم الحسيني

جريدة
كلية الآداب
والعلوم الإنسانية
الرباط

جريدة

كلية الآداب
والعلوم الإنسانية

الرباط

العدد التاسع عشر

1994



جميع حقوق الطبع محفوظة لكلية
الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
بمقتضى الفصل 49 من ظهير 1970/7/29
الطبعة الأولى 1415 - 1995

طبع : مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء
تصنيف : أنسيف الزنايدي - الرباط - الهاتف : 72.70.66
رقم الإيداع بالخزانة العامة : 1977/1
الرقم الدولي الموحد : 0851-1160

المحتويات

. بحوث أساسية

— في الاستقراء

- 9 بناصر البعزائي
- إعراب الناسخ الحرفي
- 31 محمد الأوراغي
- التواجد الألماني بالجنوب المغربي في نهاية القرن 19 ومطلع القرن 20 م
- 67 عمر أفا
- موارد المغاربة المقيمين بالبرتغال وظروف عيشهم خلال القرن 16 م
- 87 أحمد بوشرب
- من مظاهر الحياة الاجتماعية بالأندلس : (طقوس الجنائز)
- 105 عصمت دندش
- الربط البري بين الموريطانيتين الطنجية والقيصرية (القرن الخامس للميلاد)
- 123 محمد اللبار

• دراسات وعروض بيليوغرافية

- من المصادر الأثرية لتاريخ المغرب
ع. الجليل الهجراوي 141
- نظرية التلقي : البناء والتفاعل والنسقية (عرض أعمال الندوة)
سعيد الحنصالي 167
- المصادر العربية لتاريخ المغرب
محمد المنوفي 209
- قائمة الأطروحات والرسائل الجامعية
إعداد : مصلحة النشر 229

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في الإستقراء

بناصر البعزائي

كلية الآداب - الرباط

ترتبط كل معالجة للمنهج التجريبي في العلم بتصور معين عن الإستقراء، حيث تختلف المكانة التي تعطى للإستقراء حسب التوجه الإستمولوجي لدى هذا الدارس أو ذاك. فيعتبره البعض ركيزة أساسية في البناء العلمي، بينما يعتبره آخرون عملية ممهدة ومساعدة فقط، ويرى غيرهم أن لا دور له في العلم. وإن التركيز على كون الإستقراء عملية من صميم المنهج العلمي واضح لدى الإتجاه أو الإتجاهات الإستمولوجية ذات المنحى التجريبي. وتقضي عملية الإستقراء حسب هذا المنحى بما يلي :

1 - تمديد صلاحية أحكام محصلة في الماضي لتقرر أن ما استفدناه منها بخصوص مسألة ما ينطبق على نفس المسألة في المستقبل، كأن نقرر بأن النار ستحرق دائما في المستقبل بناء على ملاحظات متكررة بأنها أحرقت دائما في الماضي وإلى الآن ؛ أو نقرر أن الشمس ستشرق مستقبلا من جهة الشرق لأنها فعلت ذلك بانتظام إلى اليوم. إذ يجوز بمقتضى هذا التمديد أن نتنبأ بما سيجري مستقبلا أو نتوقعه بناء على معارفنا السابقة حول نفس الظاهرة، أي أنه من المشروع - حسب مبدأ الإستقراء - أن نحكم على المجهول بما حكمنا به على المعلوم.

2 - نقل ما استفدناه من خلال مجموعة من الأحكام الجزئية إلى حكم كلي، بحيث نعمم ما قررته الأحكام حول بعض عناصر فئة ما على عناصر الفئة كلها، كأن نصوغ الحكم بأن كل المعادن تتمدد بفعل الحرارة تأسيساً على ملاحظتنا أن الحديد والنحاس والفضة معادن تتمدد بالحرارة. وبمقتضى هذا النقل، فإننا نعتبر أن الصدق ينتقل من الأحكام الجزئية إلى الحكم الكلي الذي من نفس الفئة.

هاتان الصيغتان التقليديتان، رغم اختلافهما على المستوى الإستمولوجي، تتأسسان على مبدأ واحد، هو ما تواطأ الدارسون على تسميته بمبدأ الإستقراء ؛ وقد اعتُبر، منذ أرسطو وربما قبله، عملية مقابلة للإستنباط. ففي الإستدلال المنطقي الإستنباطي التقليدي، تُستنتج قضايا جزئية من قضية كلية ؛ أما في الإستدلال الإستقرائي، فتستنتج قضية كلية من قضايا جزئية. على أن الاستنباط لم يكن مثار شكوك - لنترك جانبا مسألة ما إذا كان يمارس فعلا في الاستدلالات اليومية والعلمية - إذ ينطلق من مبادئ أولية وعامة تمكّن من استنتاج نتائج تلزم عنها، فتكون العلاقة بين الأولى والثانية علاقة لزوم صحيح ؛ بينما كان الإستقراء دائما موضوع شكوك واختلافات. حول صحة الإستدلال فيه.

ومن الصعب التمكن من كل هذه الاختلافات حول الإستقراء، لأن هذا المفهوم لا يرد لدى كل الدارسين بنفس الدلالة والمكانة، نظرا للإختلاف حول طبيعة القانون العلمي وتكوّنه وعلاقته بالظاهرة الطبيعية وبالمقام النظري، وغير ذلك من المسائل الإستمولوجية. لكن يمكن أن تُصنّف التصورات، وإن بنصيب من الإختزال. على أننا سنركز على التصور الذي يتبنّى الإستقراء ويتعبّره استدلالا يوصل إلى المعرفة، والمعرفة العلمية بالدرجة الأولى ؛ ويسمى هذا التصور عادة «الزراعة الإستقرائية»، مع الإهتمام بمسألة أساسية وهي مسألة مشروعية الإستقراء الإستدلالية.

أ - الإستقراء أداة منهجية. يتبنى جون ستوارت مل (1806-1873) فكرة أن الإستقراء وسيلة منهجية أولية في اكتساب المعرفة، وتمكّن من الوصول إلى صوغ قانون علمي عام على أثر ملاحظة عدد محدود من الخصائص المميزة لظاهرة ما. فيكون الإستقراء متمكّلاً في استنتاج قضية عامة من قضايا أخرى أقل تعميما : «عندما نرتقي من ملاحظة عدد معين من الوقائع المفردة إلى قضية عامة، أو عندما نؤلف كثيرا من القضايا العامة فنحصل منها على قضية أخرى أكثر تعميما، فإن هذا الإجراء، الذي هو واحد بذاته في كلتا الحالتين، يسمى استقراء»⁽¹⁾. فالإستدلال يكون استقرائيا عندما تكون النتيجة أكثر تعميما من أي مقدمة عامة ؛ ولهذا، فإن النتيجة في الإستقراء تتضمن أكثر مما تحتوي المقدمات، لأنها أوسع منها وأشمل.

(1) Mill, John Stuart, *Système de logique déductive et inductive*, tr. Louis Peisse, Ladrance, Paris, T. I, 1866, p. 184.

يكون الاستدلال الفعلي في نظر ستوارت مل، دائماً من الخاص إلى الخاص⁽²⁾ - من الجزئي إلى الجزئي - وتستدل بهذا الشكل الحيوانات كذلك. لكن ليس هذا الاستدلال جديراً بالثقة، بل وليس ممكناً إلا إذا استند إلى قضية عامة تكون بمثابة قانون يدعمه. فنحن نستنتج فكرة أن النار ستحرق في المرة المقبلة من ملاحظة كونها قد أحرقت دائماً ؛ لكننا لا نفعل ذلك إلا لأننا نستند إلى قانون مؤداه أن النار محرقة دائماً. إذ يتأسس الاستدلال (من الخاص إلى الخاص) هنا على حكم عام (كلي). فالقضايا العامة بمثابة سجلات للاستدلالات المنجزة، أي عبارات موجزة تختصر كثيراً من الملاحظات ويمكن من الحصول على قضايا أخرى أعم. فكل استدلال يجب أن يتأسس على عملية استقرائية سابقة يقوم بها العقل في سبيل تكوين القضايا العامة. فالاستقراء إذن هو الذي يسمح باستنتاج قضية خاصة من أخرى خاصة⁽³⁾. فإذا استطعنا - في نظر ستوارت مل - استنتاج واقعة جديدة من الملاحظات والتجربة، استطعنا، بناء على ذات المبدأ، استنتاج عدد لا نهائي من نفس الوقائع⁽⁴⁾. ولهذا، فإن المقدمة الكبرى للقياس البرهاني - [الصف التقليدي من الاستدلال المنطقي الاستنباطي] - استنتاج بالاستقراء ؛ ونتيجة القياس لا تتم انطلاقاً من المقدمة، بل طبقاً لما تقرر.

يرى ستوارت مل أن استخدام «القياس الاستنباطي» في الاستدلال ليس استخداماً للقضايا العامة ؛ «فالاستنباط القياسي» من الوقائع العامة إلى الخاصة يسبقه استقراء من وقائع خاصة إلى وقائع عامة. إذ يستمر الاستنباط ما يقرره الاستقراء. على أنه يمكن الاستدلال دون حاجة إلى المرور عن طريق القضايا العامة، حيث يمكن الاستغناء عن هذه ؛ لكنها ضرورية من أجل أن يتقدم الاستدلال ويصبح متيناً⁽⁵⁾. فالاستقراء إذن مبدأ ضروري يفرض نفسه لأنه الواسطة التي لا غنى عنها، في نظر ستوارت مل، من أجل الانتقال من الظواهر إلى القوانين العلمية. إنه يضع بين يدي العالم قضايا عامة تضمن صلاية الاستدلال وجودته. فإذا كان «منطق الاستنتاج الصحيح» هو الاستنباط، فإن «منطق الصدق» هو الذي يستخلص الصدق بنجاح في شكل استدلالات من التجربة (أي منطق الاستقراء).

(2) Mill, op. cit., p. 210, 217, 224, 240, 241..

(3) Op. cit., p. 220.

(4) Op. cit., p. 221.

(5) Op. cit., p. 225.

فالاستنباط يكمل الإستقراء ؛ وعندما نضيف استنباطاً إلى آخر، فإننا في آن واحد نضيف استقراءً إلى آخر⁽⁶⁾. فالعمليات الاستنباطية تترابط فيما بينها وتضمن تماسك الاستدلال، والاستقرائية تترابط فيما بينها معلنة حقائق (قضايا صادقة) يدعم بعضها البعض. وهكذا يعضد كل قانون علمي القوانين الأخرى، كما تعضد كل مبرهنة رياضية المبرهنات التي تسبقها والتي تلها.

ويدافع ستوارت مل عن تصور تجريبي حتى في ميدان تكوّن الرياضيات وتطورها ؛ إذ يرى أن المبادئ الأولية للرياضيات، خصوصاً مبادئ الهندسة، حصيلة العمليات الإستقرائية⁽⁷⁾. ففي الرياضيات كذلك، يقوم كل استنباط على استقراء سابق عليه : «تكمن كل الإستقرارات التي تتضمنها الهندسة في هذه الإستقرارات البسيطة التي عباراتها هي الأوليات وعدد قليل مما يسمى بالتعريفات»⁽⁸⁾. ثم تبني المبرهنات الهندسية على هذه العبارات ذات الأصل الإستقرائي بواسطة الاستنباط ؛ ويفضل هذا الأخير تكون الهندسة علماً استنباطياً. فقد كان الاستقراء مرحلة أولى في تكوّن مبادئ الهندسة ؛ وبمجرد أن صاغت الهندسة منطلقاتها الأولى استغنت عن الإستقراء.

أما العلوم التجريبية، فيرى ستوارت مل أنها تتوقف دائماً على الإستقراء، لأنها تحتاج باستمرار إلى تجارب جديدة : «كانت كل فروع العلوم الطبيعية تجريبية في بدايتها، كان كل تعميم يركز على استقراء خاص وينتج عن زمرة متميزة من الملاحظات والتجارب»⁽⁹⁾. ولكن تقدم هذه العلوم، على أثر تجميع القوانين المتزايدة التعميم، جعلها تتجه، بدرجات متفاوتة، نحو صيغة استنباطية، وهذا من غير أن يَمُجَّجَ منها الإستقراء بكيفية تامة ؛ فليست بذلك أقل استقرائية : «كل خطوة في الاستنباط هي كذلك استقراء. فليس التعارض بين مفهومي الاستنباط والاستقراء، وإنما هو بين الاستنباط والتجربة»⁽¹⁰⁾. وعلى هذا الأساس، يكون علم ما تجريبياً بقدر ما تقدم كل حالة جديدة خصائص معينة تحتاج إلى استقراء جديد ؛ ويكون علم ما استنباطياً بقدر ما يسمح باستنتاج حالات جديدة عن طريق تنظيم الإستقرارات

(6) Op. cit., p. 235-238.

(7) Op. cit., p. 244, 541.

(8) Op. cit., p. 247.

(9) Op. cit., p. 248.

(10) Op. cit., p. 249.

السابقة. إذ يبدأ كل علم تجريبياً، ثم يتحول إلى علم استنباطي بفضل تقدم التجربة. فالاستقراء أساس العلوم، وتقدمها يحصل بفضل الحساب ؛ ولهذا فكل العلوم الاستنباطية أو البرهانية، بلا استثناء، علوم استقرائية...⁽¹¹⁾. فكل المعارف، في اعتبار ستوارت مل، تقوم على التجربة وتتغذى منها ؛ ولا توجد حقائق ضرورية وبقينية بذاتها ؛ إذ أن كل العلوم افتراضية، تقوم على فرضيات وتستنتج منها نتائج ؛ أما اليقين فإنه من قبيل العملية الاستدلالية، أي في العلاقة بين الفرضيات والنتائج وليس في صدق النتائج⁽¹²⁾.

من هذه الاعتبارات يستنتج ستوارت مل أن مسألة طبيعة الاستقراء والشروط التي تجعل منه استدلالاً مشروعاً هي بلا شك المسألة الأساسية للمنطق، لأن الاستقراء «وسيلة لاكتشاف القضايا العامة وإثباتها»⁽¹³⁾. هذه الوسيلة أداة منهجية موفقة لبناء القوانين، لأنها تستند إلى مبدأ أساسي يقرر اطراد مجرى الطبيعة. فاطراد الطبيعة أو انتظامها يشكل البديهة العامة للاستقراء ؛ إلا أن هذا المبدأ الأساسي هو ذاته مثال للاستقراء⁽¹⁴⁾.

وعلى هذا الأساس، فإن الاستقراء لدى ستوارت مل تجاري الطبيعة ويعبر عن قوانينها ؛ واطراد الطبيعة أمر لا يمكن الشك فيه، لأنه تقرر بواسطة الملاحظات المتكررة، أي بواسطة الاستقراء : «عندما نلاحظ انتظامات شتى بفضل استقراء نعتبره كافياً، عادة ما نسمي هذه الانتظامات بقوانين الطبيعة»⁽¹⁵⁾. ولهذا يكون كل تعميم استقرائي جيد التأسيس قانوناً للطبيعة أو ناتجاً عن قوانين الطبيعة.

لكن ليست التعميمات عمليات ثابتة ومستقرة بكيفية نهائية ؛ فالقوانين تقبل التعديل والتصحيح ؛ وذلك يتأتى بواسطة تعميم أدق وأشمل. وهذه الطريقة في تصحيح التعميمات هي مثال «الاستقراء العلمي». إذ تنجز بعض التعميمات بناء على ملاحظات أولية متسعة ومبهم، حيث تجعل الاستقراء ضعيفاً. أما «الاستقراء العلمي»، فإنه الأداة المنهجية الناجعة التي تكشف عن العلاقات السببية بين الظواهر بأمانة.

(11) Op. cit., p. 250-280.

(12) Op. cit., p. 295-297.

(13) Op. cit., p. 318-319.

(14) Op. cit., p. 348.

(15) Op. cit., p. 356.

يعتبر ستوارت مل أن الكشف عن أسباب الظواهر مرهون بإجراءات ضابطة، لأنه يمكن أن تتشابه العوامل المسببة لظاهرة ما بظروف عارضة غير مسببة. لهذا، فمن أجل تحديد السبب الحقيقي للظاهرة، يتوقف تطبيق الاستقراء - لكي يرقى إلى مستوى استقراء علمي - على قواعد إجرائية ضابطة ترصد الظروف المتشابهة وتفرزها وتميز فيما بينها، لبيان ما يدخل في تحديد الظاهرة وما لا يدخل له. وهذه القواعد هي :

القاعدة الأولى، ويسمى ستوارت مل «طريقة الاتفاق»، وهي كما يلي : «إذا كان للحالتين أو أكثر من حالات الظاهرة موضوع البحث ظرف مشترك واحد فقط، فإن هذا الظرف الذي تتفق فيه الحالات هو سبب الظاهرة (أو نتيجتها).

القاعدة الثانية، ويسمى «طريقة الاختلاف»، وتقول : «إذا تجلّت ظاهرة ما في حالة معينة ولم تفعل في حالة أخرى، وكانت الحالتان تتفقان في كل الظروف إلا واحدا بحيث لم تبرز في الظرف الإستثنائي الأخير، فإن الظرف الذي تختلف فيه الحالتان هو نتيجة أو سبب أو جزء ضروري من سبب الظاهرة».

هاتان الطريقتان تختلفان فيما بينهما، لكنهما ذاتا سمات مشتركة : إنهما طريقتان للإقصاء. طريقة الاتفاق تعتمد على مبدأ أن لا شيء مما يمكن إقصاؤه أو استبعاده مرتبط بالظاهرة بواسطة قانون ما ؛ وطريقة الاختلاف تستند إلى مبدأ أن كل ما لا يمكن إقصاؤه مرتبط بالظاهرة بواسطة قانون ما.

القاعدة الثالثة، تأليف للأولين، ويسمى ستوارت مل «الطريقة غير المباشرة» أو «الطريقة المشتركة للاتفاق والاختلاف»، وتقول : «إذا تجلّت الظاهرة في حالتين أو حالات تشترك في ظرف واحد فقط، بينما لم تتجلّ الظاهرة في حالتين أو حالات لا تشترك إلا في غياب هذا الظرف، فإن هذا الظرف وحده الذي تختلف فيه المجموعتان من الحالات هو نتيجة أو سبب أو جزء ضروري من سبب الظاهرة».

القاعدة الرابعة، ويسمى «طريقة البواقي»، وتقتضي ما يلي : «إحذف من الظاهرة الجزء الذي تعرف عنه، بواسطة استقراءات سابقة، أنه نتيجة مقدمات معينة، فيصبح ما تبقى من الظاهرة نتيجة المقدمات المتبقية».

القاعدة الخامسة، ويسمى «طريقة التغيرات المتزامنة»، وهي كما يلي : «إذا

تغيرت ظاهرة ما بشكل معين كلما تغيرت ظاهرة أخرى بنفس الشكل، فإنها إما سبب لهذه الظاهرة أو نتيجة لها أو ترتبط بها سببياً»⁽¹⁶⁾.

هذه القواعد التطبيقية للاستقراء هي السبيل المنهجي، في نظر ستوارت مل، إلى الكشف عن العلاقات السببية في الطبيعة لتعبر عنها في صورة قوانين علمية. لكن، إذا كانت الظواهر معقدة جداً وتعدد فيها الأسباب وتتداخل ظروفها إلى حد كبير جداً مثلما هو الأمر في الظواهر الاجتماعية والسياسية، فإن الأداة الناجعة التي يلزم تبنيها وتطبيقها هي «المنهاج الاستنباطي». ويمكن هذا «المنهاج الاستنباطي»، في نظره، في ثلاث عمليات هي الاستقراء المباشر ثم الاستدلال ثم الاختبار.

تقتضي العملية الأولى توفير مقدمات عن طريق جمع الملاحظات، ثم إجراء مقارنات بين الظواهر المتشابهة؛ وتقتضي الثانية التعبير بواسطة عمليات حساسية من أجل رصد التغيرات وضبط اتجاهها؛ وتقتضي الثالثة مقارنة النتائج لبيان ما إذا كانت تتفق مع معطيات الملاحظة⁽¹⁷⁾. يرجع الفضل في الإنجازات المهمة لعقل الإنسان، في تصور ستوارت مل، إلى «المنهاج الاستنباطي» كما حدده؛ ولا يعتبره ثابتاً، لأنه منهاج تطور مع الزمن.

يقرر ستوارت مل أن فرانسيس بيكون (1561-1626) كان على حق عندما انتقد المنهاج الاستنباطي السائد آنذاك - يقصد القياس الأرسطي - وكان على حق عندما دعا إلى استبداله بأسلوب آخر، أي «المنهاج التجريبي». فالاستنباطات التي ناهضها بيكون وقتها كانت متسربة واعتباطية. أما الاستنباط الحالي - زمن ستوارت مل -، فإنه موفق وناجح لأنه يقوم على قواعد مضبوطة؛ ولهذا فإنه يأخذ المكانة التي احتلها «المنهاج التجريبي» منذ بيكون يوماً بعد يوم. ويختلف الاستنباط القديم عن الاستنباط الذي حدده ستوارت مل مثلما تختلف الفيزياء الأرسطية عن «نظرية السماء» عند نيوتن⁽¹⁸⁾.

يرى ستوارت مل أن القوانين العلمية لا تتخذ صورة الصدق التام في بعض الأحيان، إذ لا تعبر إلا عن درجة معينة من الإحتمال. وفي هذه الحالة كذلك، فإن الأداة المناسبة للتعبير عن القانون هي الاستقراء، لأن حساب الإحتمالات، الذي

(16) Op. cit., pp. 428-445.

(17) Op. cit., pp. 510-518 & T. II, Félix Alcan, 1889, pp. 8-9.

(18) Tome I, p. 543.

بواسطته يتم التعبير عن الظاهرة، يتأسس على الإستقراء ؛ ولا يتمتع حساب الاحتمالات بقيمة إلا إذا كان الإستقراء مشروعاً⁽¹⁹⁾.

يستعين الإستدلال الإستقرائي، في نظر ستوارت مل، بوسيلة التمثيل، لأن هذا الأخير يعمل على إثارة الإنتباه إلى عناصر التشابه بين ظاهرتين معينتين ؛ فليجأ العالم إلى حمل صفات الظاهرة المعلومة على الظاهرة موضوع البحث. ويمكن أن يقترب الإستدلال التمثيلي من الإستقراء المشروع على أثر تكرار ملاحظات التشابه تلك. ولكن التمثيل مجرد مرشد يبين الإتجاه الذي يمكن أن يسير فيه البحث الدقيق ؛ وتكمن القيمة العلمية للتمثيل في هذه الوظيفة التوجيهية، حيث يلعب دور الواسطة بين الملاحظة والإستقراء. فالتمثيل مجرد ممارسة أولية بسيطة، بينما الإستقراء منهاج منتج للمعرفة العلمية⁽²⁰⁾.

ويرجع الإستقراء المشروع والوحيد المنتج، في نظر ستوارت مل، إلى الإستقراء بواسطة التعداد البسيط⁽²¹⁾. فكلما كان التعداد أوسع رقعة، أي أشمل، ازداد يقين الإستقراء ؛ وبالإكثار من التعداد، كما هو الحال في قانون السببية الكونية، يصبح الإستقراء أكثر متانة، بحيث يجوز اعتبار يقين هذا الإستقراء مطلقاً⁽²²⁾. إذن كلما كان الإستقراء أمتن، كان أكثر أمانة في التعبير عن الطبيعة.

جل الدارسين ذوي المنحى التجريبياتي تبنوا تصور ستوارت مل للإستقراء. ومن هؤلاء السيدة جنيفر تراسند التي تعتبر الإستقراء السبيل الأمثل لفهم الطبيعة، لأنه الوسيلة التي نتعلم بها من التجربة. إن التعميم في نظرها كفاءة طبيعية وتلقائية في حياتنا اليومية. ولهذا فالإستقراء أساسي مثل أي إدراك آخر بالضبط : «الإستقراء أساسي من أجل مهارتنا للتعلم من التجربة، وأساسي لاكتساب المعرفة العلمية مثلما هو أساسي في المعرفة العادية بالضبط.

لكن الإستقراء أهم من هذا. فهو ليس الوسيلة التي بها نتعلم من التجربة فحسب، بل هو الوسيلة التي بها نتمكن من أي تجربة واعية»⁽²³⁾. ويمكن أن يتعثر

(19) Tome II, pp. 64-65.

(20) Tome II, pp. 83-90.

(21) Tome II, p. 98.

(22) Tome II, p. 104.

(23) Trusted, Jennifer, *The Logic of Scientific Inference*, The Mac Millan Press Ltd., London, 1979, p. 3.

الاستدلال الاستقرائي في بعض الحالات، لكن البحث المستمر يصحح العمليات الناقصة ؛ فيصحح كل استقراء واع الاستقراء الذي يسبقه. فهو إذن بناءً ومنتج. ولهذا وجب اعتباره استدلالاً في مستوى أهمية الاستنباط : «يمكن القيام بتعميمات تجريبية صادقة والوصول إلى قوانين علمية صادقة. إذن، يجب أن يكون الاستدلال الاستقرائي صحيحاً»⁽²⁴⁾.

ب - مأخذ على هذه النزعة الاستقرائية. لنا عليها مأخذ نلخصها في ما يلي :

1 - إذا كانت الظاهرة المدروسة معقدة جداً، كالظاهرة الاجتماعية مثلاً، فإن المنهاج المناسب، في نظر ستوارت مل، هو «المنهاج الاستنباطي»، أي عمليات الاستقراء والاستدلال والاختبار. هذه العمليات الثلاث مترابطة ومنظمة، وإن لم تكن متتابعة زمانياً بالضرورة. لكن - يلاحظ ستوارت مل - إذا كان الإنطلاق من قوانين معروفة، فإنه يمكن الإستغناء عن العملية الأولى، أي الاستقراء، شريطة أن تؤدي العملية الأخيرة، أي الاختبار، دوراً أساسياً، أي أن يكافئ الاختبار عملية استقراء تام⁽²⁵⁾. والحال أن الاستدلال والاختبار - بخلاف ما يقرر - هما العمليتان اللتان تلقيان أكبر الصعوبات في مجال الظواهر المعقدة، بينما يحتل الإحصاء المكانة المهمة والضرورية. ثم إنه - على عكس ما يقرر - لا يمكن الإنطلاق من «قوانين معروفة» في هذه الظواهر، مادام بناء قوانين عامة (كلية) مضبوطة ودقيقة متعذراً، ويسود الاختلاف حول كل «قانون».

2 - يفترض تصور ستوارت مل وترستد كون القضايا الأولية تترجم ما يصدر عن الملاحظة أو التجربة، وكأن العقل يستخلص المعاني من الوقائع. والحقيقة أن العقل ليس أداة استقبال سلبية ؛ فالملاحظة نشاط عقلي ؛ وما يفيد هذا النشاط تتدخل فيه المفاهيم النظرية التي تصنف الملاحظة وتنظمها وتوثرها. فالمعاني لا تأتي من تحت، أي من الوقائع، وإنما هي حصيلة التفاعل بين المفاهيم والوقائع. إذ أنه حتى في أبسط مستويات الإدراك، تتدخل المفاهيم لكي تنتقي وتختزل وتوجه العقل نحو خصائص معينة للوقائع موضوع الإدراك. كتب راسل هنسن بحق : «يوجد عامل

(24) Trusted, p. 65.

(25) Mill, Tome II, p. 8-9.

لغوي في فعل الرؤية، بالرغم من أنه لا وجود للغة بخصوص ما يتشكل في العين أو في عين العقل. وإذا لم يكن هذا العامل اللغوي موجوداً، فإنه لا شيء مما نلاحظه سيكون ذا شأن لمعرفةنا⁽²⁶⁾. ففي الإدراك، لا بد من أن يسقط الذهن أحكامه المسبقة واستعداداته الحالية وانتظاراته بخصوص المدركات، وكأن كل إدراك اقتراح لفهم معين على الموضوع المدرك. فليس الإدراك نشاطاً فيزيولوجياً فحسب، بل هو كذلك وبالخصوص فعل ثقافي تتشابه فيه المعارف السابقة والذكريات والطموحات وأحكام القيمة... كتب ريتشارد كريكوري: «ليس الأمر فقط أننا نعتقد ما نرى؛ فنحن، إلى حد ما، نرى ما نعتقد»⁽²⁷⁾. فإذا اختلف شخصان على مستوى التكوين المفاهيمي، اختلف إدراكهما لبعض الظواهر على الأقل؛ ولا ينتظر من شخص عديم التكوين في علم معين أن يدرك وظائف بعض الأدوات في المختبر مثلاً. ونحن ننظر إلى شكل هندسي مرسوم على الورق ذي مظهر مربع ملتصق بثلاثات، لأنه على سطح ذي بعدين، لكننا نرى فيه شكلاً هندسياً ذا أبعاد ثلاثة (المكعب مثلاً). كتب هروولد براون بحق: «لا يسجل العالم كل ما يلاحظه، بل بالأحرى لا يلاحظ إلا الأشياء التي تعينها النظريات المقبولة لديه كأشياء ذات دلالة»⁽²⁸⁾. فكل إدراك موجه، ولا مجال للحديث عن معين تجريبي أصلي. ولم تغب هذه الأفكار كلية عن ستوارت مل. فهو يقول: «في كل فعل للملاحظة، يوجد على الأقل استدلال، الاستدلال من الأحاسيس إلى حضور الشيء...»؛ «لا يمكن أن نصف واقعة دون أن نجعل فيها أكثر من الواقعة. لا يقع الإدراك إلا على شيء خاص (جزئي)؛ لكن وصف شيء ما هو إثبات روابط بينه وبين كل الأشياء الأخرى التي تحيل إليها الحدود المستخدمة أو توحى بها»؛ «كل وصف فهو بالأساس تعبير عن تشابه واحد أو أكثر»⁽²⁹⁾. لكن التزام ستوارت مل التجريبي لم يسمح له باستخلاص نتائج تلك الأفكار المحققة بخصوص بطلان دعواه الإستقرائية التجريبانية. فالعمل العلمي لا ينطلق من أحكام تجريبية ثم يعمم بالاستقراء، إنما الانطلاق يكون دائماً من إطار نظري قائم له جذور تاريخية في النشاط المفاهيمي الشامل.

(26) Hanson, N.R. *Patterns of Discovery*, Cambridge University Press, 1981, p. 25.

(27) Gregory, R. L., *The Intelligent Eye*, McGraw-Hill Book Company, New York, 1970, p. 15.

(28) Brown, H.I., *Perception, Theory and Commitment*, Precedent P. C., Chicago, 1977, p. 90.

(29) Mill, tome II, p. 186, 187, 187.

3 - يفترض التصور الإستقرائي لدى ستوارت مل أن الدلالة المستفادة من التجربة تظل متطابقة على ضوء تكرار الملاحظة أو التجربة، وإلا فلا معنى للحديث عن التعميم، أي أن القضايا الخاصة (الجزئية) يمكن أن تتكرر إلى ما لا نهاية، محتفظة بنفس المضمون الدلالي. والحقيقة أن إعادة التجربة لا تتم في نفس الظروف، ولابد أن يؤثر تغير الظروف في نتائج التجارب. فكل إعادة للتجربة هي في الصميم إنشاء مجدد لها مع الإستفادة من الإنشاء السابق، وإن قليلاً. فالتجربة نشاط يتفاعل مع التحول المفاهيمي الذي يتطور العمل العلمي في إطاره. وبالمقابل، فإنه يمكن أن تكون نتائج التكرار متطابقة نسبياً، إذا تم التكرار على ضوء نظرية علمية قائمة وليس قبلها. ومتى كانت لدينا نظرية علمية قائمة، فإننا لن نحتاج إلى استقراء، بل ولن يكون الإجراء استقرائياً.

4 - يعتبر ستوارت مل الاستقراء أداة استدلالية مشروعة، بالرغم من أن الاستقراء لم يحدد آليات للبت في عباراته مثل ما عليه الأمر في الاستنباط. وبالمقابل، يعتبر التمثيل مجرد مرشد يساعد الاستقراء. والحق أن التمثيل هو الآلية الأساسية التي يتم وفقها كل إدراك وكل استدلال أولي. فنحن ندرك الجبل الذي أمامنا في ضوء فكرة الجبل التي اكتسبناها على أثر إدراكات سابقة. وبالمثل، فالنظر إلى ظاهرة معينة يتم دائماً في ضوء معارف حول ظاهرة مماثلة سابقة. ويقر ستوارت مل بأن التفكير اليومي ينجز طبق عمليات تمثيل مسترسلة، ولكنها تفتقر استقراء لكي ترقى إلى العلمية. لكن بما أن التمثيل يصحح استدلالاته باستمرار والمعرفة العلمية تصحح نفسها باستمرار، أفلا يجوز القول إن الاستقراء ما هو إلا تمثيل ممدد وما التمثيل إلا استقراء ناقص؟ فلا حاجة إذن للاستقراء التام الذي يصوغ الأحكام الكلية، بل ولا إنتاجية لها في المعرفة. والاستقراء المنتج هو الاستقراء الناقص وهو وجه من الاستدلال بالتمثيل. فلا فصل إذن على طريقة ستوارت مل.

5 - تتسلسل الإستقراءات، في نظر ستوارت مل وترستد، ويستند الواحد إلى الآخر؛ وأساس ذلك هو «مبدأ السببية الكونية» أو «إطراد مجرى الطبيعة»، وهما وجهان لمبدأ واحد هو مبدأ الاستقراء. فكيف يعقل أن يستعمل مبدأ استقرائي لتبرير مبدأ الاستقراء؟ إنه وضع منطقي محرج؛ إذ أن كل محاولة لتبرير الاستقراء، لابد من أن تقع في دور، أي في حلقة مفرغة. إذن، ستوارت مل استبعد الخوض في ما يسمى مسألة هيوم أي مسألة تبرير الاستقراء، ولم يستطيع تقديم حل لها.

6 - لم يكن ستورات مِلْ، كما لم يكن ييكون، يعالج مسائل المنهاج التجريبي من داخل الممارسة الفعلية للبحث العلمي. لم يكن تكوينه الفكري في العلم ولا في تاريخ العلم، بل في الإقتصاد السياسي ؛ ولهذا كانت معالجته لا تنفذ إلى صميم الفعل العلمي. فهو يرى أن الدراسة العلمية للوقائع يمكن أن تُنجزَ في أفق ثلاث نتائج مختلفة : الوصف البسيط والعادي للوقائع، وتفسيرها، وتوقعها. فالأولى ليست في نظره استقراء، بينما الثانية والثالثة استقراء. ويقرر أن عمليات وصف مختلفة يمكن أن تكون كلها صادقة (بمخلاف التفسير)⁽³⁰⁾. ويصرح أن القضية «تتحرك الأرض وفق شكل إهليلجي» «ليست استقراء بل وصفا بسيطا»⁽³¹⁾. والحال أن تلك القضية، على عكس زعم ستورات مِلْ، بناء علمي يصف حركة الأرض ويفسرها في مستوى أولي ويمكن من توقع موقع الأرض بالنسبة للشمس في نفس الوقت، خصوصاً في البناء النظري المكتمل في أواخر القرن السابع عشر. فليست الحدود واضحة بين تلك «النتائج المختلفة» للوصف ؛ كما أنه لا يبين كيف يمكن أن تكون كل عمليات وصف مختلفة صادقة في آن واحد، خصوصاً في هذه الحالة. فليس الفصل بين الوصف والتفسير والتوقع، بهذه الحدة التي لدى ستورات مِلْ، مستنداً إلى أساس متين.

ج - الحاجة إلى تبرير الإستقراء. ينتمي دقيد هيوم (1711-1776) إلى التقليد الحسي التجريبي ؛ ولكنه طرح مسألة مزعجة لهذا التقليد، وهي مشكلة تبرير الإستقراء. يعتبر هيوم أن كل أفكارنا تأتي من الإدراك الحسي ؛ فسواء أتعلق الأمر بقوانين الطبيعة أم بالمعارف الأخرى أم بأي اعتقاد معين، فإن الأصل فيها هي التجربة الحسية، والعنصر الفاعل فيها هو الحواس. لكن المعارف المؤسسة على التجربة الحسية تكون عبارة عن سديم من الإحساسات المبعثرة ؛ إذ لكي ترقى إلى مستوى معرفة جديرة بالاعتقاد، يلزم أن تنتظم فيما بينها في روابط تؤسس بعضها على بعض. «بإيجاز، كل المواد الضرورية للفكر مستخلصة من حواسنا الخارجية أو الداخلية ؛ إن امتزاجها وتأليفها فقط هما اللذان يتوقفان على الفكر وعلى الإرادة ؛ أو بلغة فلسفية، إن كل أفكارنا أو إدراكاتنا الأكثر بساطة هي تُسَخَّرُ لأنطباعاتنا أو إدراكاتنا الأكثر يقظة»⁽³²⁾. فالأفكار تتربط فيما بينها في شكل تداع، حيث يتم الانتقال من الواحدة إلى الأخرى بالنظر إلى النظام الذي تتسم به.

(30) Mill, tome I, pp. 338-339

(31) Mill, tome II, p. 190,

(32) Hume. D., *Enquête sur l'Entendement Humain*, tr. fr. de A. Lory, Aubier, Paris, 1947, pp. 54-55.

ويحصل الترابط بين الأفكار، حسب هيوم، بثلاث طرق : « في اعتياري، يبدو أنه توجد ثلاثة مبادئ للترابط بين الأفكار فقط، وهي التشابه، والتماس في الزمان والمكان، وعلاقة السبب بالنتيجة»⁽³³⁾. إن اللوحة توجه أفكارنا بالطبع إلى النسخة الأصلية (التشابه) ؛ وذكر شقة يؤدي إلى الحديث عن شقة أخرى (التماس والتجاور) ؛ والتفكير في جرح يؤدي إلى التفكير في الألم الذي يعقبه (سبب ونتيجة)⁽³⁴⁾. ويتمثل الصنف الأكثر اعتيادا في حياتنا الفكرية، في الربط بين السبب والنتيجة، لأن العلاقة السببية تمثل خيطا مهما جدا يوجّه استدالاتنا، ويوجه أفعالنا كذلك، إذ نتصرف طبقاً لما نعتقد.

يرى هيوم أنه يمكن تقسيم كل «مواضيع العقل الإنساني» أو «مواضيع البحث» إلى صنفين : «علاقات الأفكار» من جهة و«الوقائع» من جهة ثانية. فينتهي إلى الصنف الأول كل قول «صحيح» حدسياً أو بالاستدلال، كالحساب والجبر. فالقضية « $3 \times 5 = 15$ » تعبر عن علاقة بين أعداد، لا يُحتاج فيها إلى الرجوع إلى الواقع؛ يقول : «حتى لو لم توجد في الطبيعة دوائر ومثلثات قط، فإن الحقائق التي برهن عليها أقليدس تحتفظ دائما بيقينها وبدايتها»⁽³⁵⁾. أما أقوالنا عن الوقائع، وإن كنا نقررها بنفس الطريقة، فإن بدايتها ضعيفة، لأنه يمكن هذه الأقوال أن تتضارب فيما بينها. إن الحادثة التي تضاد أي حادثة أخرى ممكنة دائماً، لأنها لا تؤدي إلى تناقض. فالقضية «لن تشرق الشمس غدا» ليست أقل عقلية (معقولة) ولا أكثر تناقضاً من القضية «تشرق الشمس غدا» ؛ ولن تتمكن، حسب ما يقرر هيوم، من البرهنة على كذب القضية الأولى. أما القضية الثانية، فإننا كوّنّاها انطلاقاً من ملاحظتنا السابقة فقط ؛ وتدخّل في إطار الربط السببي للأحداث، لأن كل استدالاتنا على الأحداث تبدو وكأنها تتأسس على علاقة السببية. فالربط السببي نشاطٌ للفكر الأساسي.

إن تعوّدنا رؤية الشمس تشرق في الصباح هو الذي رسّخ في أذهاننا الاعتقاد بأنها ستشرق غدا. فالعادة إذن هي أساس اعتقاداتنا وربطنا بين الحوادث. إذ أن كل توقع يستند إلى خبرة سابقة ؛ وهذا مظهر من مظاهر «تأثير العادة» في فكرنا ؛

(33) Hume, p. 59, 69.

(34) Hume, p. 60.

(35) Hume, p. 70.

إذ نستنتج حكماً بخصوص حادثة متوقعة بناء على ما تعودناه. «كل استنتاجاتنا مستخلصة من افتراض أن المستقبل سيكون مطابقاً للماضي»⁽³⁶⁾. لكن المشكلة هنا تكمن في ما إذا كان بإمكاننا الاستدلال على صدق هذا التوقع (تشرق الشمس غداً). إن هذا التوقع ناتج عن الإستقراء، ولا يمكن إثباته منطقياً؛ وهي مسألة الإستقراء أو مسألة تبرير الإستقراء عند هيوم لم يستعمل هيوم حد «الإستقراء»، ولكن المسألة واضحة. كتب هيوم: «إذن، من المستحيل أن يوجد دليل مستخلص من التجربة قادر على البرهنة على تشابه الماضي والحاضر هذا؛ إذ أن كل الأدلة تقوم على افتراض هذا التشابه»⁽³⁷⁾. ولكننا نتصرف على أساس أن هذا التشابه شيء مكتسب، لأننا نعتقد أن المستقبل لن يختلف عن الماضي؛ وهذا الاعتقاد متجذر في أذهاننا بفضل العادة، لأننا نقرن الأشياء ونربط بينها دائماً. فالعادة في نظر هيوم هي التبراس في الحياة اليومية والفكرية. «كل النتائج المستخلصة من التجربة آتية إذن من التعود وليس من الإستدلال»⁽³⁸⁾.

أعاد برتراند راسل بناء تصور هيوم هذا مفصلاً عن أن الأمر يتعلق بمسألة أساسية في المعرفة، وربما هي الأساس، وتكمن في مشكلة تبرير الإستقراء. كلنا مقتنعون بأن الشمس ستشرق غداً، لكن هل يمكن تبرير هذا الإقناع على أساس عقلي (معقول)؟ يمكن أن نستند إلى قوانين الحركة لتقديم جواب مثل كون الأرض تدور. لكن هل هذا الدوران مستمر بالضرورة؟ بل هل ستظل قوانين الحركة هذه صائبة غداً؟ وهذا السؤال يطرح نفس المشكلة، وتعلق بمبدأ اطراد الطبيعة. هل ليس للإطراد استثناء؟ كيفما كان الجواب، فإننا نرجع إلى نفس المشكلة، وإن كان المستقبل يأتي بتدعيم توقعاتنا السابقة. كتب راسل: «هكذا، فإن مبدأ الإستقراء لا يتعرض، في أي حال، للتفنيد بواسطة شهادة التجربة».

لكن من المستحيل كذلك أن نبرهن على صدق مبدأ الإستقراء بالإستناد إلى التجربة»⁽³⁹⁾. يخرج راسل من هذا التحليل يائساً من كل محاولة لبناء مبدأ الإستقراء على أساس متين: إذن علينا قبول الإستقراء بالإستناد إلى بداهته الذاتية، أو أن علينا أن نغدّل عن كل محاولة تبرير لتوقعاتنا حول المستقبل⁽⁴⁰⁾. ولهذا يبدو أن محاولات

(36) Hume, p. 81.

(37) Hume, p. 84.

(38) Hume, p. 90.

(39) Russell, B., *Problèmes de Philosophie*, tr. fr. de S. M. Guillemin, Payot, Paris, 1975, p. 79.

(40) Russell, p. 80.

إيجاد أساس عقلي لتبرير الاستقراء لم تتقدّم بجّد ؛ فقد ترك راسل المشكلة حيث تركها هيوم، مع اختلاف في العبارة فقط.

د - مناقشة تبرير الاستقراء. تكمن قوة دليل هذا التصور في نقد الآراء التقليدية التي تعتبر المعرفة العلمية فوق كل شيء. ولهذا الآراء الوثوقية جذور في الأنساق الفلسفية والعقدية لا نحتاج إلى ذكرها. فالحق أن القوانين العلمية كلها قابلة للمراجعة، لأنها تُبنى بمناسبة اكتشاف مجال تجريبي محدّد ومحدود ؛ ولا شيء يضمن أنها تحتفظ بصدقها في مجال تجريبي أوسع أو أدقّ.

لكن التصور يحتوي على حلقة ضعيفة، حيث يعتبر المعرفة نابعة من التجربة. إن النشاط العلمي والفكري عامة، عبارة عن دينامية مفاهيمية بنائية نشيء نماذج نظرية تتعدى تعاليم التجربة دائماً. ومهمة المعالجة العلمية هي البحث عن الشروط التجريبية التي يتحقق فيها النموذج (والأخرى التي لا يتحقق فيها). وكما ننتظر أن تدعم تجربة لاحقة معرفة قائمة، يجب أن ننتظر - بدرجات تتوقف على مدى متانة المعرفة القائمة - أن تفتّدها. أما اليقين السرمدى، فليس من قبيل الفكر العلمي.

توقع شروق الشمس «غدا» لا يستند إلى ملاحظات سابقة بواسطة استقراء ما ؛ بل للمسألة مظهران : توقع عادي وتوقع علمي. فالتوقع العادي سلوك تلقائي يلازم كلّ إدراك، ولا يقوم على قانون علمي مضبوط، لكن له جذوراً في المسلمات الصريحة والمضمرة التي تؤطر الإدراك. فعندما ننصت إلى شخص يتحدث، يكون فهمنا لحديثه مقترناً دائماً بتوقع ما قد تنتهي إليه عباراته، كأننا نقدر على إتمام كل جملة يبدأها ؛ وبمقدار ما نعرف أفكار المتحدث سلفاً، يكون توقعنا حول مجرى حديثه صائباً. ولكن يمكن أن تُبطل نهاية حديثه توقعنا أو تدعّمه أو تصحّحه، بحسب درجة معرفتنا بمقاصد حديثه. فلا يوجد إدراك حسي محض، ثم استقراء، ثم توقع. بل الإدراك والاستدلال والتوقع عمليات متلازمة ومتداخلة بدرجات ؛ وحتى إذا أسمينا ذلك الاستدلال استقراء، فإنه استقراء ناقص تمثيلي عادي.

أما التوقع العلمي، فهو استنباط يقوم على قانون علمي سابق. وبقدر ما يكون القانون دقيقاً ومتناسكاً مع قوانين أخرى في إطار نظرية منسجمة، يكون التوقع أو التنبؤ مضبوطاً. وفي هذه الحالة لا نتوقع «شروق» الشمس فحسب، بل نستطيع ضبط الزاوية التي «ستشرق» منها على أي منطقة من الكرة الأرضية بواسطة الأدوات

الهندسية. فالقانون العلمي يحدد الشروط التي يتوقع فيها التوقع ؛ فهو مخصوص بتلك الشروط التي تحدد وتقيّد المجال التجريبي الذي يكون فيه صائباً. إذن، توقع «شروق» الشمس «غداً» مُستنتَج بالحساب، من موضع الأرض من الشمس ودورانها وسرعتها... والقانون يبين الحالات التي يحصل فيها تعذر «شروق» الشمس (حدوث كسوف مثلاً)، أو إذا كان سيحصل تغيّر على مجرى أوضاع الأرض... فليس التوقع العلمي نتيجة استقراء، بل ينتج عن نموذج علمي رياضي - استنباطي ؛ ليس تعميماً للملاحظات، إنما تخصيصاً للشروط التي يتحقق فيها التوقع المستنبط من النموذج التفسيري. وكلما كانت القوانين العلمية أدق، كانت الرابطة بين وظيفتي التفسير والتوقع أشد وأوثق، وكانت العمليتان متلازمتين بل منصهرتين في واحدة. وفي هذه الحالة، يكون التفسير توقّعاً سابقاً والتوقع تفسيراً مستقبلياً.

هـ - الإستقراء تأليفاً تركيبياً. يتخذ مفهوم الإستقراء في التصورات ذات المنحى العقلاني مدلولاً مختلفاً عن مدلوله في «الزعة الإستقرائية». فالإستقراء لدى وليام هويل وغاستون بشلار مثلاً لا يكمن في عملية تعميم للأحكام التجريبية لصوغ قانون كلي، بل هو تأليف أو نشاط تركيبى يمارسه «العقل» على الموضوعات التجريبية أو بمناسبة التجارب ؛ وهذا النشاط التركيبى عملية فاعلة تستند إلى تكوين مفاهيمي يتحكم في التجربة ويؤول نتائجها. في هذا التأليف للتجارب يتدخل «العقل»، ويفرض أطره ومفاهيمه لكي يجعل الأحكام التجريبية دالة ومنظمة، لأن «العقل» هو الذي يبنى هذه الأحكام ويقوم بإخراج لما يمكن أن تكون عليه التجارب. فـ«العقل» يتصرف كالجرفي الذي ينسج شبكة لصيد الأسماك ؛ أما نوع السمك وحجمه، فيتوقفان على مادة الشبكة ومدى ثناتها وإتقان النسج... فيمكن أن تصطاد الشبكة سمكاً من الحجم الصغير أو الكبير...

عاصر هويل ستوارت مل، لكن كل واحد منهما يتجه اتجاهاً خاصاً بالرغم من تبنّيهما معاً لإرث باكون ونيوتن المنهجي [لكن هويل تبنى كذلك بعض أوجه نظرية كانط في المعرفة]. يرى هويل أن «الإنسان مؤول الطبيعة، وأن العلم هو التأويل الصائب»⁽⁴¹⁾. والحواس في نظره قنوات ضرورية للمعرفة، لكنها ليست كافية ؛ فهي تقدم لنا أبجدية كتاب الطبيعة، لكنها لا تستطيع فك ألغازها. وبذلك فليس مصدر المعرفة هو الحس وحده، لأن المعرفة لا تحصل إلا باتحاد الحواس والأفكار ؛ وهذه

(41) Whewell, W., *The Philosophy of Inductive Sciences*, J. W. Parker, London. 1840, p. XVII.

الأخيرة هي التي تقدم للظواهر تماسكا ومكانة معينين. ففي المعرفة، لا يمكن التمييز بكيفية واضحة بين ما هو من الوقائع وما هو من النظريات، لأن فعل التجربة نظر وعمل في آن واحد.

وعلى عكس ستورات مل، يرى هويل أن العلوم الرياضية لا ترتبط بأي استقراء، بل تستند إلى التعريفات والأليات ؛ أما العلوم التجريبية، فإنها، بالإضافة إلى كون المحرك فيها هو الرياضيات، تتأسس على مبادئ خاصة، مثل فكرة السببية. فهذه الفكرة مبدأ أولي مؤسس للعلوم : «ليست فكرة السبب نابعة من التجربة [...] إنها صادقة باستقلال عن التجربة، وخارج حدود التجربة»⁽⁴²⁾. فـ«العقل» إذن يمتلك مبادئ سابقة عن التجربة تنظم معلومات التجربة وفق استعداداتها ؛ إنه لا يقف من الطبيعة موقفاً سلبياً، لكنه يؤول ويصنف ويختار ويحتزل ويستدل، وهذه العمليات مترابطة ترابطاً عضوياً فيما بينها.

انطلاقاً من هذه النظرة العقلانية، لابد أن يختلف هويل مع ستورات مل في موضوع الإستقراء ووظيفته. يعتبر هويل تطور العلوم بمثابة تتابع تاريخي للعمليات الإستقرائية ؛ لكن الإستقراء عنده مشروط بوجود «التصور» في ذهن العالم وليس تمديداً لأحكام تجريبية ؛ إذ لا يمكن إنجاز تجربة علمية دون تصور. فالتصور هو الذي يضع الظواهر المدروسة في نظام معين ؛ يؤولها ليربطها مع ظواهر أخرى، ثم يخضعها لعلاقات سببية ويحدد إطارها بوضعها في علاقات استدالية. يقول : «الوقائع هي مواد العلم، لكن كل الوقائع تقتضي أفكاراً». وبذلك يكون التصور هو الذي يستقرئ، أي يؤلف ويربط ويركب : «ليس الإستقراء حاصل جمع الوقائع التي يربط فيما بينها فحسب. إن الوقائع لا يضاف بعضها إلى بعض فحسب، بل تُرى رؤية جديدة. هناك عنصر ذهني يستقرئ «من فوق» ؛ ويُفترض في الذهن أن يكون مكوناً ومضبوطاً للقيام بهذا الإستقراء»⁽⁴³⁾. فالإستقراء لدى هويل فعل تركيب، ليس تعميماً لتجارب، بل تأليف بمناسبة تجارب على ضوء مفاهيم التصور النشط واللغة الرياضية. وليس هذا استقراء من قبيل التعداد البسيط أو حاصل جمع ؛ وإنما هو بناء يستنير بضوء جديد.

يقتضي الإستقراء التأليفي اختيار الفرضية المناسبة لكل ظاهرة مدروسة وتعيين الأدوات الرياضية القادرة على تكييف الظاهرة. ولهذا، فإن سير الإستقراء لدى

(42) Whewell, pp. XXIV-XXV.

(43) Whewell, pp. XXXVII, XXXIX.

هويل يشتمل على ثلاث مراحل : «اختيار الفكرة» و«بناء التصور» و«تحديد المقادير»⁽⁴⁴⁾. فالإكتشاف العلمي الموصل إلى صوغ القوانين يقوم على فحص عدة فرضيات، وعلى التعبير الهندسي والحسابي عن «المعطيات» التجريبية من أجل بيان المتغيرات والمقادير، لكي يتم تطابق بين الفرضية المناسبة والظاهرة المدروسة.

يستعمل بشار مفهوم الإستقراء بمعنى التأليف التركيبي، حيث يقتضي «مخاطرة فكرية» تتخذ شكل بناء مفاهيمي ناتج عن تكافل الحدس التركيبي والحساب المجرد. إذ تكمن «القيمة الإستقرائية لنظرية النسبية» في الوثبة المفاهيمية التي تسبق التجربة، بل التي تستنتج التجربة : «[...] لم يبق للتجربة إلا مكان صغير في الإستقراء النسبي». ولذا فإن «التجربة لا تقدر إلا على قياس الأفعال (المجهودات) المبدولة»⁽⁴⁵⁾. وكل استعمال بشار لمفهوم الإستقراء مخالفة لاستعمالات ستوارت مل : مثل «قوة استقرائية»، «مسالك استقرائية»، «وثبة استقرائية»، «حدوس استقرائية»، «استقراء مغامر»، «جراحة استقرائية»، «اتجاهات استقرائية»، «اندفاع استقرائي»، «بواعث استقرائية»، «سلم استقرائي»... إلخ⁽⁴⁶⁾. إن انتاء هويل وبشار العقلاني ميزهما عن تجريبيانية ستوارت مل ؛ لهذا لا ينتميان إلى «النزعة الإستقرائية»، وبالتالي لا تطرح عندهما مسألة تبرير الإستقراء.

و - مناقشة هذا التوجه. إن هويل وبشار أقرب إلى الممارسة الفعلية للعلم من ستوارت مل. لقد كتب هويل في تاريخ العلوم [وإن كان تاريخاً مختصراً] ؛ وعالج بشار مسائل في المعرفة العلمية من زاوية الفاحص القريب.

إن استعمال هويل لمفهوم الإستقراء لا يفعل إلا أن يُجْزَل بتصوره الإستمولوجي ؛ فلا يبدو واضحاً كيف يمكن فهم نعت البناء الكوبرنيكي بأنه «استقراء كوبرنيكي»⁽⁴⁷⁾. إذ حيثما وجد هويل بناء علمياً جديداً، اعتبره نتاج الإستقراء. وبين هذا قصوراً مفاهيمياً لديه ؛ فلم يتمكن من الوقوف على الآليات الأخرى التي تتفاعل في البناء النظري للعلم، خصوصاً دور التمثيل والنموذج. ونعت هويل للخطوات الثلاث (اختيار الفكرة، بناء التصور، تحديد المقادير) بكونها خطوات للإستقراء لم يعمل على تقدم التفكير في المنهج العلمي، لأنه لا يحلل هذه الخطوات بما يكفي من الدقة والوضوح...

(44) Whewell, p. XLIII.

(45) Bachelard, G., *La Valeur inductive de la relativité*, Vrin, Paris, 1929, pp. 199, 254.

(46) Bachelard, pp. 8, 77, 125, 251; 38, 67, 62, 67, 73, 93, 197, 197, 199...

(47) Whewell, volume II, pp. 249, 251.

يحاول تصور بشلار للتركيب «الإستقرائي» أن يبين العبرة الإستملوجية والفلسفية للـ«مخاطرة النسبية» أكثر مما يعمل على تتبع تكافل الآليات الذهنية التي تكمن وراء البناءات المفاهيمية. والتمييز الصارم والمبالغ فيه بين المعرفة العلمية والمعارف الأخرى جعله يرى في الأخيرة عوائق فقط ؛ وعوض أن يلاحظ التأثير المتبادل بين كل الأنشطة الثقافية ركز على آثار العلم على التفكير الفلسفي وأهمل التأثيرات التي في الإتجاه المعاكس. وبما أن بشلار لا ينتمي إلى «الزرعة الإستقرائية» موضوع الحديث، فإننا لن نقف عند تفاصيل تصوره.

[توجد تصورات أخرى حول الإستقراء في سياق توجهات إستملوجية مختلفة. كارل پوپر مثلاً ينفي أن يكون للإستقراء أي دور في بناء المعرفة العلمية ؛ إذ لا يوجد في نظره منهج استقرائي ولا منطق استقرائي، لأن العلم يبدأ بوضع الفرضية واختبارها تجريبياً طبق قاعدة استنباطية. أما پاول فيرابند، فيعتبر الإبداع العلمي نشاطاً مضاداً للإستقراء، حيث إن الفرضيات العلمية الموقفة تسير في اتجاه معاكس لما تقرره التجارب القائمة، لأن التجربة لا تقول إلا ما تريده منها الفرضية أن تقوله...].

ز - مناقشة وخلاصة. على أثر هذا العرض المختصر، نستنتج ما يلي :

1 - عندما يدرس العالم ظاهرة، فإنما يتناولها من خلال ما تسمح به التصورات التي تكونت في ذهنه إبان تكوينه السابق واحتكاكه بالباحثين الذين يتعامل معهم. فإدراكه للظاهرة تتحكم فيه النظرية العلمية التي يعمل على هديها وخصوصيات النسيج العقدي والفلسفي التي تتفاعل فيها النظرية ؛ إذ لا توجد نظرية علمية «نقية» تماماً ومستقلة عن الإلتزامات الأنطولوجية. وهذا المزيج المتداخل من البناء المفاهيمي ذي الإمتداد في الزمان والمكان هو الذي يوحى له، بل ويفرض عليه، المسلمات (الصريحة والمضمرة) و«الحقائق» وأساليب الربط بين ظروف الظاهرة ومعايير تفضيل فرضية على أخرى وأدوات القياس وتقنيات التجربة وحدودها... ولهذا، فكل فرضية يقدمها العالم لا بد أن تكون مطبوعة بخصائص النسيج المفاهيمي الذي يفرض عليه خريطة للظاهرة المدروسة. وإذن فإن «أحكام الواقع» التي يكوّنها الدارس وهو بصدد تحليل الظاهرة لا تنفلت من «أحكام القيمة» التي تندسّ إليها والتي مصدرها التزام الدارس - عن وعي أو عن غير وعي - بالتصورات والأحكام المسبقة والمعارف التي يفرضها المقام.

2 - في ضوء هذه الفرضية، يعمل الدارس على رسم المسالك داخل الظاهرة، فيبني نموذجاً لمحاولة الكشف عن شروط الظاهرة. إذ يقوم ببلورة الظاهرة طبق ترسيمة أو خطاطة يكشف تلك في ضوء هذه وهذه في ضوء تلك، بيان الاختلاف والتشابه ومدى «التطابق» بينهما. ومصدر تلك الخطاطة هو ما استفاده الدارس من أعمال سابقة أو أعمال سابقة، فيحمل خطاطة من مجال إلى آخر يرى بينهما تشابهاً ما. فالعملية ليست استقرائية ولا استنباطية، وإنما هي تمثيلية، وهي بين الأوليين. ويمكن النظر إلى الطرق الخمسة (الاتفاق والاختلاف...) التي اعتبرها ستوارت مل قواعد للإستقراء على أنها إجراءات مساعدة؛ لكنها ليست تطبيقاً للإستقراء، بل لا تتسجم مع روح الإستقراء، لأن هذا الأخير عملية تعميمية، بينما تلك الإجراءات اختبارات مقارنة لظاهرتين. إن ملاحظة الاختلاف والاتفاق والتغير عملية تمثيلية بامتياز؛ وهي لا تتأسس على تكرار لتجارب متطابقة بقدر ما تكون قراءة موجهة لظاهرة معينة في ضوء المعلومات التي استقيدت من أخرى. وكلما كان التمثيل واضح المعالم، اقترب النموذج - الخطاطة من ظروف الظاهرة عبر بيان النسب والانتظام. فالنموذج المحصل على أثر العملية التمثيلية والمقترح لتفسير الظاهرة يصحح ويعدل ويدقق مع تدخل القياس لتحديد المقادير والنسب والعلاقات، أي عندما تفرغ عناصر الظاهرة في شبكة من المعادلات الرياضية. إذ التعبير الكمي والهندسي عن الظاهرة يؤثر ويمدد المعلومات حول الظاهرة، وبالتالي يدخل نظاماً في بلورتها. إن للأعداد والخطوط والجداول والدوال نتائج دلالية، فهي توجه الإدراك: تطرد من الذهن تصوراً معيناً وترسخ آخر. إن الأداة الرياضية تمكن من تصحيح نتائج التجارب ذاتها لتوجد انتظاماً في تغير ظروف الظاهرة.

3 - اختبار الفرضية (الخطاطة - النموذج - الإستعارة) بواسطة الفحص النقدي والصوغ الرياضي والتجريب - ويجب النظر إلى هذه العمليات مترابطة ومتداخلة - يتم في شكل عمليتين متعارضتين ومتلازمتين في آن واحد: محاولة التحقيق ومحاولة الإبطال. فكل اختبار لفرضية هو في نفس الوقت اختبار لفرضيات أخرى منافسة لها؛ وكل مثال يدعم فرضية إنما يناهض فرضية أخرى. ثم إن كل فرضية تتقدم للاختبار تكون مصحوبة باعتبارات خاصة بها، فهي تضمّن تقطيعاً معيناً للظاهرة وتناسب مع أدوات قياس معينة وتجرّب معين... لكن التحقيق الذي نقصده يختلف عن التحقيق في التصور التجريبي؛ والإبطال الذي نقصده يختلف

عن الإبطال كما يراه كارل پوپر. فالتحقيق والإبطال لا يتان بطريقة آلية وبكيفية نهائية. إذ تتعلق العملية (المزدوجة) باعتبارات غير مستقرة، حيث تبدو فرضية وكأنها متحققة بينما لا تفعل في ظروف أدق، أو لا تتحقق لنقص في تجهيزات التجربة... إذ يمكن إعادة تشكيل الفرضية كما يمكن إعادة تهيئ التجربة. والإبطال كذلك لا يكون بنفس الحسم دائماً، ولا يؤدي ضرورة إلى تكذيب الفرضية المعطلة بصورة نهائية. إذ يمكن أن تبطل فرضية لكونها في حاجة إلى إعادة بلورة؛ كما يمكن أن يتخذ الإبطال شكل حصص للمجال التجريبي المحدود الذي يصدق فيه القانون «المتجاوز». لقد بالغ پوپر عندما اعتبر أن الأنساق الميتافيزيقية والعقدية لا تقبل الإبطال (كما أن «تكذيب» البناءات العلمية غامض لديه)؛ إذ أن كثيراً من دعاوئها أبطلتها الكشوفات العلمية. إن عيب التحقيق لدى التجريبانية والإبطال لدى پوپر يكمن في كونهما لا يأخذان بعين الاعتبار الطابع الدينامي للتجريب والفحص الذي يفرضه النشاط المفاهيمي المسترسل.

4 - لا يخضع «المنهاج العلمي» لقاعدة قارة تحتفظ بمقومات ثابتة في كل الظروف؛ بل هو نشاط واعي في سياق نسيج مفاهيمي قائم أو في فترة تتزاحم فيها الفرضيات المتنافسة. وفي أحيان أخرى لا يكون بناء القانون العلمي إلا استنباطاً عادياً من نظرية علمية قائمة، فيكون القانون تحقيقاً (تنبؤاً) موقفاً ناتجاً عن النظرية لأنه منسجم معها في بناء متناسك. وفي كل هذه الحالات، لا يتعلق الأمر باستقراء (خصوصاً على الطريقة التجريبانية). يتضح من هذا أن القانون العلمي ليس تعميماً لمجموعة من «الأحكام التجريبية»، وأيضاً لا يُعمم القانون لكي يصبح قانوناً أشمل، بل يكتسب قوته في علاقاته مع القوانين المجاورة. فالعملية هنا تتخذ أحد الوجهين :

— إما أن تنطلق العملية من مبادئ عامة، تقدم فرضية غير دقيقة ثم تقوم وتعدل على أثر الفحص والاختبار لتتكيف مع ظروف الظاهرة وتكيفها، فتتضح معالمها شيئاً فشيئاً إلى أن يتشكل القانون. وهذه العملية الدينامية النهائية بمثابة تخصيص تدريجي، لأنها تنطلق من تصورات عامة وتنتهي، عبر ضبط المفاهيم والتكميم... إلى تعيين السمات الخاصة والمميّزة للظاهرة.

— وإما أن يكون العمل بصدد مجال سبق أن بُني فيه قانون ما، لكن اتضح أنه يتغافل بعض المعطيات؛ وعندها، يحدد المجال التجريبي الذي يرتبط به القانون القائم فعلاً بحيث لا يستطيع أن يتجاوزه. وهذه العملية النقدية بمثابة تقييد لصواب

هذا القانون في مجاله ؛ وعندها يقرر الفحص أن هذا القانون ليس صدقاً إلا في هذا المجال المحدد والحدود، وإذا خرجنا من ذلك المجال فقد القانون صدقه.

يتم التخصيص في حالة الإنطلاق من نموذج استعاري غير دقيق ؛ فيكون الاستدلال بالتمثيل ضعيفاً وقریباً جداً من الإستقراء (الناقص)، لكنه يتخذ صبغة تزداد تحديداً على أثر الفحص النظري والتجريبي ؛ ويتم التقييد في حالة العمل على إيجاد بناء جديد يحد من صلاحية القانون القائم، بحيث لا يتعدى هذا الأخير المجال الذي صيغ فيه وله ؛ فيكون الاستدلال بالتمثيل هنا بين الإستقراء الناقص والاستنباط. وفي حالة استنتاج قانون من نظرية علمية قائمة، فإن الاستدلال بالتمثيل يقترب من الاستنباط إلى حد التطابق. هذه العمليات - التخصيص والتقييد والاستنتاج - لا تنجز وفق استقراء مفترَض ؛ بل يتخذ الإنجاز شكل اكتشافات متتالية لأوجه التشابه والاختلاف والانتظام بين مختلف الظواهر ؛ إذ يُنظر إلى الظاهرة موضوع البحث انطلاقاً من آراء أنشئت في مناسبة سابقة لتعبّر عن ظاهرة أخرى، فتحمل خصائص هذه على تلك. وهذا الإجراء تمثيلي (يتراوح بين الإستقراء الناقص والاستنباط، لأن الاستدلال بالتمثيل ديناميّة بنائية لا تقوم على قوالب ثابتة سابقة عن المباشرة).

5 - إن مرّة الإهتمام الذي حظي به الإستقراء إلى كون النزعة الإستقرائية التجريبانية ترى في الإستقراء السبيل الوحيد الذي يضمن تطابق القوانين العلمية مع الطبيعة، كما يضمن نقاءها وصدقها الدائم. وهذا التصور يتغافل كثيراً من الحقائق البيئية : فلا وجود لقانون «نقي» تماماً، لأن كل قانون يرتبط عضوياً بالبناء المفاهيمي الذي يتكون في أحضانه : ثم إنه يمكن إعادة هيكلة كل قانون، كما أنه قابل دائماً للـ«تجاوز». وكل الأمثلة التي تستند إليها النزعة الإستقرائية - مثل «كل المعادن تتمدد بالحرارة»، «كل البجع أبيض»، إلخ - ليست قوانين علمية، بل عمليات تصنيف وتنظيم للموضوعات التي تقع تحت الإدراك ؛ وهي عمليات من صلب الإدراك نفسه. فالنزعة الإستقرائية تقدم تصوراً سكوتياً للمنهج العلمي ؛ أما الخاصية الدينامية البنائية للعمل العلمي، فلا يعبر عنه إلا المركب المتداخل : تمثيل - استعارة - نموذج - تجربة - حساب - تجريب - استنباط(48).

(48) في هذه الخلاصة السريعة استفدنا من أعمال هنسن وزيمان وليذرديل وهيس وكون ولودن وكوهن وآخرين (Hanson, Ziman, Leatherdale, Hesse, Kuhn, Laudan, Cohen et al. ...)

إعراب الناسخ الحرفي*

محمد الأوراعي

كلية الآداب - الرياض

1 - تقديم

تتناول هذه الدراسة* مسألتين مترابطتين. إذا انصبت الرئيسية منهما على تحديد كيفية الربط بين مختلف الصور التي يظهر عليها الناسخ الحرفي وبين خصائصه التركيبية والدلالية، فإن تناول هذه المسألة يقود إلى الإهتمام بكيفية تخليص أعمال النحاة من أفكار وتحاليل غير واردة ولا تدعو إليها أصول ثابتة، إذ كل عمل بشري يفتقر إلى فحص متواصل، ونتمسك في كل ذلك ببديل تقديم الوصف المفسر على مقابله المطلق، وترجيح المفسر بعلة عامة ملحوظة في ظواهر أخرى على ما كان مبرراً بحجة موضوعية. وقبل الشروع في تناول المذكور من مسائل هذا الموضوع، لا بأس من تقديم بعض مفاهيم التحليل المعتمدة في هذه الدراسة. منها :

(II) **الناسخ** : وهو عنصر لا يدخل تركيب الإسناد، وإنما يلحق الجملة فينسخ إعراب أحد مكوناتها. وعليه، فإن الناسخ لا يعمل مباشرة إلا في مركب واحد. أما المركب الآخر، فيبقى محتفظاً بإعرابه الأصلي⁽¹⁾.

ويلزم عن ذلك وجود أصل إعرابي يفيد أن العامل يجلب نوعاً واحداً من الأثر لمعموله، أو معمولاته المتحدة الإعراب.

أوجه بخالص الشكر إلى فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد المتوكل على ما أبداه من الملاحظات القيمة وهو يناقشني مسائل من هذا المقال.

(1) انقسم نحاة اللغة العربية حول ما يجلبه العامل من الأثر. فرأى بعضهم العامل يجلب أكثر من أثر واحد، كالفعل الذي يجلب الرفع للفاعل والنصب للمفعول ؛ ورأى غيرهم العامل يجلب أثراً واحداً، كأن يجلب الفعل الرفع للفاعل، والمركب منهما يعمل النصب في المفعول. للزيد من التفصيل، انظر الرضي، شرح الكافية، ج 1، ص. 20 ؛ والأبناري، الإنصاف، ج 1، ص. 78 ؛ وابن جني، الخصائص، ج 1، ص. 102 ؛ وسيبويه، الكتاب، ج 1، ص. 369 ؛ وابن السراج، الأصول في النحو، ج 1، ص. 172 ؛ وابن عصفور، شرح جهل الزجاجي، ج 1، ص. 418. استناداً إلى ما جاء في أغلب هذه المصادر، يترجح أصل الكوفيين الإعرابي القائل : إن العامل يجلب نوعاً واحداً من الأثر لممولاته، كان العامل بسيطاً كالفعل والحرف أو مركباً تركيب إسناد أو تركيب إضافة.

(II) والناسخ - باعتبار خصائصه التركيبية والدلالية - قسمان : (1) ناسخ فعلي يلحق الجملة ليؤتمن⁽²⁾ (أي يقيد بها بجهة زمنية، وهي خاصيته الدلالية العامة المتنوعة تبعاً لتغاير الصور التي يظهر عليها هذا الناسخ)، وليجلب الفتحة لما كان في الأصل خبراً - هذا القسم لن نتعرض له هنا. (2) ناسخ حرفي يلحق الجملة ليوجهها، أي يقيد بها بجهة «فعلية أو حدثية»⁽³⁾، وهي خاصيته الدلالية العامة المتنوعة تبعاً للتغاير التام في الصور التي يظهر عليها هذا الناسخ، وليس للتغاير الجزئي الظاهر في إن، أن، إن، أن، وليجلب الفتحة إلى ما كان مبتدأ في الأصل. إذن، الناسخ، من الوجهة العاملية، عامل يجلب الفتحة لا غير، إما لنسخ رفع المبتدأ إذا كان ناسخاً حرفياً، وإما لنسخ رفع الخبر إن كان ناسخاً فعلياً. فيعلم من إعراب خالداً، ومستعداً في الجملتين (2) و(3).

(1) Ø/خالداً مستعداً.

(2) س/خالداً مستعداً

(3) ص/خالداً مستعداً.

- كون الجهة الأصلية، الإسناد المطلق، المعبر عنها برفع المبتدأ والخبر في الجملة (1)، منسوخة بدليل نسخ الإعراب الأصلي لأحد مكوناتها في الجملتين (2) و(3).

- جهة الجملة (2) حدثية بدليل نسخ الرفع الذي هو الإعراب الأصلي للمبتدأ. فلا يعوض المتغير (س) الداخلة (/) على الجملة سوى ناسخ حرفي يعين نوع هذه الجهة⁽⁴⁾. ومن هذا القسم نهيم بالعنصر (ع) لا غير.

(2) سرد النحاة للناسخ الفعلي العناصر التالية كان :، وأصبح، وأضحى، وظل، وبات، وصار، وأمسى، وليس، وما زال، وما انكف، وما قضى، وما برح، وما دام، وغدا، وراح، وما ولي. وعناصر هذا الناسخ متكاملة في تعاقبها ليقيد الجملة كل منها بزمان معين، وهي في ذلك كصبيغ الزمن المتعاقبة على الرابطة في بعض اللغات. وعليه، فإنها لا تربط مكوفي الجملة، وإنما دخلت على الجملة لتدل على الزمان فإذا كان الخبر يعطي الزمان لم يحتاج إليها.... وإنما هي مجرد الزمان» (ابن عصفور، شرح بهل الزجاجي، ج 1، ص. 380-385).

(3) تشارك عناصر الناسخ الحرفي الفعل في «أن معانيها معاني الأفعال في التأكيد والتشبيه والترجي والتمني» (ابن عصفور، شرح بهل الزجاجي، ج 1، ص. 423 ؛ انظر المبد، المقضب، ج 4، ص. 107 ؛ وسيبويه، الكتاب، ج 1، ص. 279 ؛ وابن السراج، الأصول في النحو، ج 1، ص. 277).

(4) تتنوع الجهة الحديثة، بوصفها دلالة عامة للناسخ الحرفي إلى أربع دلالات فرعية، لكل منها عنصر خاص بصورته وهي : (1) «من» وتدل صورة هذا العنصر على تقوية الإثبات في علاقة الإسناد وإضعاف النفي

— جهة الجملة (3) زمنية بدليل نسخ الرفع وهو الإعراب الواجب أصلاً للخبر. فلا يعوض المتغير (ص) الداخلة على الجملة سوى ناسخ فعلي يعين أيضاً نوع الجهة الزمنية.

قد ينسخ إعراب الإسمين المترابين بعلاقة الإسناد كما في (4).

(4) ج/خالداً مستعداً.

ويكون نصبهما معاً تعبيراً عن خروجهما إلى باب المعمولات بعامل جملي (وهو المتألف من الفعل والفاعل، أو من المبتدل والخبر، ونحوهما كالإضافة اللفظية)، وإفصاحاً عن جهة جديدة من قبيل «الاعتقاد» المتنوع إلى اليقين والشك. لذلك لا يعوض (ج) إلا جملة تحتوي فعلاً من باب (علم) تعبيراً عن كون الإسناد الجملة المعمولة خرج على جهة اليقين، أو فعلاً من باب (ظن) إذا خرج الإسناد فيها على جهة الشك. وهذا المعنى يصرح ابن أبي الربيع بقوله: «ألا ترى أنك إذا قلت: ظننت زيداً منطلقاً، فظننت إنما جيء بها لتبين أن إخبارك بالقيام على جهة الظن، وكذلك إذا قلت: علمت زيداً جالساً»⁽⁵⁾.

لا يعنينا من عناصر الجهات المذكورة إلا العنصر (ءن) من الناسخ الحرفي. وإذا أجملنا القول في الباقي، فلاشتراك الجميع في نسخ ما كان أصلاً مبتدأ وخبراً على منوال الجملة (1)، كما صرح به المبرد في قوله: «(باب كان)، و(إن)، و(علمت) داخل على المبتدل والخبر. وذلك أنك لو حذف (كان) من قولك: كان زيد منطلقاً. أو (إن) من هذا، أو (علمت) لكان الكلام الباقي: زيد منطلق. وإنما هذه الأفعال والعوامل داخلة على ابتداء وخبر»⁽⁶⁾. جامع الثلاثة أن عناصرها جهة تلحق الجملة لتزمنها أو توجهها، فيحدث كل منها أثراً بمكونات الجملة يعرب عن الجهة المقصودة.

= الذي تختمه، ولذلك لا يراكب «من» نفي و2 «كان» يدل بصورته الجديدة هذه على تقوية علاقة المشابهة بين طريقي الإسناد، و3 «لكن»: لتدرك خلاف ما يلزم عما قبلها و4 «لعل» و«ليت» تشتركان في إدخال معنى الطلب إلى الجملة من جهة رجاء تحقق الممكن، تخص به «لعل»، أو غمني تحقق المستحيل الذي يمتاز به «ليت».

(5) ابن أبي الربيع، البسيط في شرح جهل الزجاجي، ص. 431. أنظر أيضاً الدكتور أحمد المتوكل، وهو يتحدث عن جهة الحمل، في كتابه: الوظيفة والبيئة، ص. 96.

(6) المبرد، المقتضب، ج 4، ص. 404، وفي الموضوع يقول ابن أبي الربيع أيضاً: «نواسخ الابتداء ثلاثة: ظننت وأخواتها، وما أجري مجراها؛ الثاني كان وأخواتها، وما أجري مجراها؛ الثالث إن وأخواتها، وما أجري مجراها» (البسيط في شرح جهل الزجاجي، ص. 432).

(III) إذا أخذنا بوسيط الجذر اللغوي⁽⁷⁾ الذي يقضي بوجود جذر لأي كلمة تتغير جزئياً صورتها اللفظية تعين أن تكون الصورة غير المحققة للعنصر المعني بهذه الدراسة هكذا (ع). وبذلك تقتصد مبحثاً بتجنب مسألة أي الصورتين : (أ) أو (إ) أصل للأخرى⁽⁸⁾، إذ كلتاها بنى مباشرة من (ع) كبناء الفعل والمصدر من الجذر دون واسطة⁽⁹⁾.

(IV) عند تحقق العنصر (ع)، يجب أن يقع على إحدى الصور التالية : (إ)، أو (أ)، أو (أ)، أو (إ)، أو (أ) التي يعرب كل منها عن خاصية لغوية معينة. يهمناء إذن، الكشف عن الشروط الضابطة لاستعمال العنصر (ع) على أي صورة للإعراب عن أي خاصية.

2 - ضوابط الفتح والكسر

اقترح نخبة اللغة العربية، فيما يخص الشروط الضابطة لاستعمال العنصر (ع) على إحدى صوره المذكورة، حلين إثنين : أضعفهما أكثرهما انتشاراً وشهرة إلى الآن. وقد أشار أكثر من نحوي إلى المقترحين، وعبر ابن عصفور عنهما بوضوح إذ قال : « اعلم أن النحويين تارة ضبطوا ذلك بحصر أماكن كسرها وتبين بذلك أماكن فتحها ؛ وتارة ضبطوا ذلك بأن جعلوا لكل واحد من الموضعين قانوناً يفصله عن غيره⁽¹⁰⁾ ». وسنعمل فيما يلي على تقديم المقترحين مع تعيين جوانب الضعف والقوة فيها لنرى بعده كيف يمكن أن تعالج الظاهرة بطريقة أبسط.

(7) من خصائص هذا الوسيط اللغوي نذكر : 1) تسهيل التصويغات الرابتة، أو الأحرف الأصول بحيث تقبل أي تغير إلا موالاة بعضها بعضاً، إذ بالمحافظة على الترتيب المعين تؤلف جذراً، 2) إسناد حركات البناء إلى التصويغات الرابتة، أو المخالفة بين ما يسند إلى كل منها شروع في الاشتقاق الدلالي والتصريف اللفظي، 3) تدرج الاشتقاق بأن توسط مشتقات للوصول إلى أخرى كتوسيط الفعل المبني للمجهول بين الفعل المبني للمعلوم واسم المفعول. للمزيد من التفصيل، انظر محمد الأوراعي، اكتساب اللغة، ص. 123 و 152.

(8) انظر : المرادي، الجني الدالي، ص. 403، فيما رواه من آراء النخبة حول المسألة المذكورة.

(9) وهو مذهب بعض اللغويين الظاهر في صناعتهم المجمية، كالخليل في العين، وابن دريد في جبهة اللغة، والأدري في تهذيب اللغة، وابن فارس في معجم مقاييس اللغة.

(10) ابن عصفور، شرح جمل الزجاجة، ج 1، ص. 459.

1.2 - تنوع الأصول الضابطة لنفس الظاهرة

يقوم التناول الأكثر انتشاراً بين النحاة على تقصي حالات (ءن) في الكلام، فوجدوها في مواضع مخصوصة يطرد وقوعها فيها على صورة (إن) ؛ وفي أماكن أخرى مغايرة يطرد فيها الفتح (أن) ؛ وفي مواقع غير الصنفين السابقين تحتل الفتح والكسر (أن) و(إن).

ومن خلال المقارنة بين أوصاف نحاة⁽¹⁾ للأصناف الثلاثة من المواقع تبرز ملحوظات من أهمها : 1) مواطن اتفاق النحاة قليلة بالقياس إلى كثرة اختلافهم، إما في عدد مواقع كل حالة، كما يظهر في ما يستدركه بعضهم على بعض ؛ وإما في اعتبار الموقع الواحد شرطاً لأكثر من حالة، فكان الموقع المحصور بين القسم والجواب شرطاً للكسر لا غير، وعند البعض الآخر شرطاً لحالة الفتح والكسر. وكذلك ما وقع بعد (حتى) ؛ وإما في تجميع موقعين وردا عند السابق متفرقين، في موقع واحد، أو في إهمال تفصيل والمخالفة في تحليل أو غيرها من الخلافات الجزئية الكثيرة جداً ؛ وإما في طريقة التناول، كأن يتبع بعضهم مواقع الحالات الثلاث ويكتفي غيره بسرد مواقع حالتين معولاً على القاري في إدراك الباقي فيختم بمثل قوله : «الموضع الذي تفتح فيه لا غير ما بقي». 2) لم نهد إلى نحوٍ ممن رجعنا إلى أعمالهم حول تجريد خاصية عامة تستغرق مواقع حالة بعينها، ولذلك لم ينضبط عددها، إلا حالة الفتح فإن النحاة قد تواطأوا على أن للمركب من (أن) ومن معمولها محلاً إعرابياً. وينبغي الاحتفاظ بهذه الخاصية لقيمتها في بناء جهاز من المفاهيم التحليلية. 3) سها نحاة عن ثوابت، فوقع تدافع في بعض تحاليلهم. ومن أمثلة ذلك، اعتبار الجملة المحكية بالقول معمولة (إعرابها النصب ووظيفتها النحوية المفعولية)، وصدرها موقعاً لحالة الكسر. وفي ذلك تعارض لا يزول بغير تعديل يضمن انسجام التناول وحفظ المعطيات من النقص. ومنها أيضاً النزوع إلى التنوع مع إمكان التوحيد. إذ قد يؤخذ،

(1) قارن مثلاً بين مجموعة سيبويه، ج 1، ص. 461-474 ؛ والمبرد، المقنص، ج 2، ص. 343-357 ؛ وابن السراج، الأصول، ج 1، ص. 262-281 ؛ وبين مجموعة ابن عصفور، شرح الجمل، ج 1، ص. 460-462 ؛ وابن أبي الربيع، البسيط، ج 2، ص. 813-822 ؛ وبين مجموعة ابن مالك بشرح الأشموني، ج 1، ص. 278-288 ؛ والمراذلي، الجنى الداني، ص. 404-416.

مثلاً، بأصل «التعليق»⁽¹²⁾ في موضع ويؤخذ بغيره في أماكن أخرى مع وجود المعلق. ولو عجم أصل التعليق (الذي يقضي بالألا يظهر على الجملة المعمولة، بسبب المعلق، أثر عامل فعلي يراقب (أن) المشددة أو المخففة لا الخفيفة)، لأمكن من جهة تجميع كثير من مواقع الكسر في واحد⁽¹³⁾، ولتأتى من جهة ثانية تجنب الجمع بين جملة معمولة (إعرابها النصب ووظيفتها النحوية الحالية)، وبين كون (عن) في موقع كسر لأنه لا تدخل المكسورة (إن) على جملة معمولة (أي لها محل من الإعراب)، أيا كان إعرابها لأن المكان للمفتوحة (أن) بإجماع النحاة. ولو لوحظت المقدمتان : (أ) القابل لا يحجب الإعراب عن تابعه النعت أو البدل أو التوكيد إلخ، (ب) يمكن نعت المعرفة بجملة يربطها موصول⁽¹⁴⁾، لأمكن أن يستنتج منهما أن الموقع المحصور بين

(12) من أدوات تعليق الفعل (أي منعه من العمل لفظاً لا تقديرًا)، لام الابتداء القابلة لأن تراكب (إن). فمنع هذه اللام أن يظهر على القابل أثر العامل بشرط أن يكون هذا الأخير فعلاً قلياً (أنظر : ابن السراج، الأصول في النحو، ج 1، ص. 263، فيما نقله عن سيبويه، ج 1، ص. 474)، وبغير هذا الشرط، كما يتبين من معطيات استشهد بها المبرد (أنظر : المقتضب، ج 2، ص. 344)، ومن قول الرضي : «جوز يونس تعليق جميع الأعمال نحو ضمت أيهم في الدار، وقيل أيهم في البيت... ويجوز في سألتك هل زيد قائم، واستفهمت أقام زيد» (شرح الكافية، ج 2، ص. 284، وص. 57، 58 منه ؛ أنظر أيضاً الأحمري، شرح ألفية ابن مالك، ج 1، ص. 175، ومن الحروف علق سيبويه عمل «حتى» (أنظر : الكتاب، ج 1، ص. 471). وإذا أضفنا إلى ما سبق كون «الإلغاء» الذي هو قسم التعليق يرد أيضاً مع غير أفعال القلوب (أنظر : السوطي، الأشباه والنظائر، ج 1، ص. 191)، جاز القول كل فعل من خواصه قبول أن يكون معمولة مضمون جملة تقبل دخول (أن) عليها، جازي تعليق عمله. فلا يشترط في التعليق سوى هاتين الخاصيتين. وبما أنه حيث تصح (إن) تصح معها لام الابتداء بوصفها مؤكداً ثانياً (انظر الرضي، شرح الكافية، ج 2، ص. 349-355)، وجب أن تكون الجملة (أبعدكم إنكم لقاتلون) من قبيل المستقيم الحسن، كما تجوز الجملة (وعدتك إنك لخارج) خلافاً لابن السراج، لأن شرط التعاقب بين لام الابتداء وأي الاستفهامية المصرح به في قوله : «إنما تدخل في الموضوع الذي تدخل فيه أي فتعلق الفعل. ألا ترى أنك تقول : قد علمت أيهم في الدار «شرط غير وارد»، فلا يجوز (قد ظننت أيهم في الدار) إلا إذا كانت (ظن) بمعنى (عرف). وعليه لا يجوز تعليق (ظن) باللام، لكن الإستعمال جاء بخلافه.

(13) من مواقع الكسر ذكر النحاة : 1) أن تكون قبل لام معلقة : «وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ» (2) أن تقع موقع الحال : «كَتَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِمُونَ». (3) أن تقع بين الموصول وصلته : «وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُورُهُ بِالْمُصْبِيحَةِ» ولا شك أن الموقعين الأخيرين من قبيل الأول لوجود اللام المعلقة في الجميع، إذ بغيرها يجب الفتح كما جاء في قولهم : «لا أكلته ما أن في السماء نجماً».

(14) ذكره كثير من النحاة منهم ابن جني، إذ قال : «ولما أرادوا أن يصفوا المعرفة بالجملة كما وصفوا بها النكرة ولم يجوز أن يجروها عليها لكونها نكرة أصلها باللفظ بإدخال (الذي) لتباشر باللفظ حرف التعريف المعرفة

الموصول وصلته مكان (أن) المفتوحة، فيستغنى عن تقدير فعل بينهما، نحو (ثبت) في مثل قولهم : «لا أكلمه ما أن في السماء نجماً»⁽¹⁵⁾، ويرضى بذلك أصل عاملي في مثل قولهم : «لا أكلمه ما أن في السماء نجماً»⁽¹⁵⁾، ويرضى بذلك أصل عاملي يقول : «إذ أمكن نسبة العمل إلى الموجود لم يصر إلى مجاز الحذف»⁽¹⁶⁾. و(4) يضاف إلى ما سرد من الجوانب السلبية أن الكيفية المذكورة في التناول تعكس جانباً واحداً من الطريقة المنتهجة في اكتساب اللغة، وهو الجانب المتعلق بالسماع بوصفه فرعاً تحصل به المعرفة بمواقع من الحالات الثلاث، ويُهمل الاستنباط الفرع الثاني الذي يحصل به تعلم مواقع محتملة غير مسموعة.

وإذا صدق ما كشفنا عنه من مواطن الضعف في طريقة تقصي حالات (ع)، تعين ترك هذا الأسلوب في معالجة أي ظاهرة لغوية للأخذ بنقيضه المؤسس على مبادئ عامة تحدد على أي وجه تقع (ع)، وتفسر لِمَ يجب أن تقع على ذلك الوجه لا غير. لإقامة طريقة تصف حالات (ع) وتفسرها بمبادئ عامة، نستعين بما اقترحه نحاة اللغة العربية في هذا الاتجاه.

2.2 - إعمال الأصول الملحوظة في ظواهر مختلفة

هم أكثر من نحويّ يبتني طريقة الوصف المفسر (أي الاستناد إلى مبادئ عامة تراعى في كل ظاهرة لغوية، منها يعرف على أي وجه تقع (ع) في الموضع المعين ويعلم لم يجب أن تكون كذلك)، لكن قل - حسب ما رجعنا إليه - مستعملوها ولو جزئياً، بحيث يلجأ إليها بعضهم عند تحديد مواقع حالة الفتح خاصة.

== فقالوا : مرت يزيد الذي قام أخوه، ونحوه»، الخصائص، ج 1، ص. 321 (انظر أيضاً الأنباري، أسرار العربية، ص. 380 ؛ وابن عيش، شرح المفصل، ج 2، ص. 150). وبما أن (الذي) ونحوه اسم ناقص (أي ناقص الدلالة بسبب ما فيه من الإبهام لعدم إحالته على مسمى معين)، أقفر «أن تكون بعده صلة تعرفه ويتم بها معناه... يشترط في الصلة أن تكون معهودة أو منزلة منزلة المعهودة. وإلا لم تصلح للتعريف» (الأشعري، شرح ألفية ابن مالك، ج 1، ص. 169). وعليه، فإن جملة «الصلة ينهي أن تكون معلومة للسامع في اعتقاد المتكلم قبل ذكر الموصول... فلا يقال : أنا الذي دوخ البلاد إلا لمن يعتقد أنه يعلم أن شخصاً دوخها» (الرضي، شرح الكافية، ج 2، ص. 36). فالجملة، كالمركب الإسمي، تتحمل أن تكون نكرة أو معرفة، فلا اعتراض إذن على وصف المعرفة بالجملة إذا كانت صلة وفقاً لابن جني وغيره وخلافاً للرضي (شرح الكافية، ج 2، ص. 38)، وغيره.

(15) أنظر : شرح الأشعري لألفية ابن مالك، ج 1، ص. 284 ؛ والمرادي، الجني الداني، ص. 405.

(16) السيوطي، الأشباه والنظائر، ج 1، ص. 532.

ولضبط حالتي الكسر والفتح بمبادي أو قوانين، قدم نخاعة مقترحات⁽¹⁷⁾ يقوم بعضها على فكرة المواضع المخصوصة. وهذه، باعتبار أقسام الكلم، صنفان : (أ) مواضع مشتركة يتعاقب عليها الاسم والفعل، إذا وقعت فيه (عن) وجب الكسر (إن). (ب) مواضع خاصة بإحدى المقولتين يمتنع التعاقب عليها، إذا وقعت فيه (عن) وجب الفتح (أن). وهي، باعتبار الأفراد والتركيب، صنفان أيضاً : (أ) موضع خاص بالجملة تكسر فيه همزة (إن) ؛ (ب) موضع خاص بالمفرد إذا وقعت فيه (عن) وجب فتح الهمزة منها (أن) ؛ (ج) موضع مشترك تحتل الجملة فيه أن تقدر بالمفرد وأن تبقى على حالها، إذا وقعت فيه (عن) جاز فيها الفتح والكسر (أن/إن). لكن المقترحات لم يَسَلِّمًا من اعتراضات ذكرها ابن عصفور في الموضع المشار إليه من كتابه.

من تضايع وصف ابن السراج لمواقع حالات (عن) الثلاثة، الذي أقامه على فكرة المواضع المخصوصة، يمكن أن نستخلص أقوى مقترح لحل مسألة ما يعرب عنه ذلك العنصر بصوره المتغايرة : (إن، أن، إِنْ، أَنْ). يستند هذا التصور في تناول المسألة المذكورة إلى مبدأ «الإتيان أو الإنقطاع العاملي» الملحوظ في أي ظاهرة تركيبية، بمقتضاه تحتل الجملة - كأي مركب داخلها - الانقطاع، إذ لا ترتبط عاملياً بغيرها فتكون حينئذٍ منقطعة، أي لا يكون لها محل من الإعراب. وإذا دخلت عليها (عن) وجب كسر الهمزة منها⁽¹⁸⁾ كما تحتل أن ترتبط عاملياً بغيرها فتكون عندئذٍ معمولة، أي لها محل من الإعراب ؛ وإذا دخلت عليها (عن) وجب فتح همزها⁽¹⁹⁾. وقد تحتل الجملة تأولين، فتكون بإحدى القراءتين معمولة واقعة في

(17) منها ما عبر عنه ابن عصفور بقوله : «والذين ضبطوا ذلك بقانون، منهم من قال : كل موضع يتعاقب عليه الاسم والفعل، فإن فيه مكسورة، وكل موضع ينفرد بأحدهما فإن فيه مفتوحة... وهذا القانون غير صحيح... ومنهم من قال : كل موضع هو للجملة فإن فيه مكسورة، وكل موضع هو للمفرد فإن فيه مفتوحة. وهذا ينكسر بقولهم...» (شرح نيل الزجاجي، ج 1، ص. 459 ؛ انظر أيضاً الرضي، شرح الكافية، ج 2، ص. 348-352 ؛ والبيد، المختضب، ج 2، ص. 346).

(18) حول كسر همزة الناسخ الداخل على جملة منقطعة، يقول ابن السراج : «الجملة بعد (إن) لا موضع لها من الإعراب بمامل يعمل فيها من فعل ولا حرف... وإن المكسورة تكون مبتدأة ولا يعمل فيها ما قبلها، وهي كلام تام مع ما بعدها» (الأصول في النحو، ج 1، ص. 262).

(19) ربط النخاعة فتح الهمزة بدخول الناسخ على جملة معمولة، وهو ما عبر عنه ابن السراج بقوله : «(أن) المفتوحة الألف ... لا تكون مبتدأة، ولابد من أن تكون قد عمل فيها عامل أو أن تكون مبنية على ما قبلها» (الأصول، ج 1، ص. 265).

موضع المفرد، وتكون بالأخرى منقطعة باقية على الأصل فيها. وإذا دخلت عليها (عن) احتملت هي الأخرى الكسر (إن) على القطع، والفتح (أن) على الارتباط العاملي⁽²⁰⁾.

3 - مبدأ الارتباط أو الانقطاع العاملي

استناداً إلى ما تقدم، يجب التقيّد بمبدأ الارتباط أو الانقطاع العاملي لتفسير المنسجم من أوصاف النحاة لجميع المعطيات التي استشهدوا بها في دراستهم لمواقع حالات (عن). ولتجنب المشاكل التي قد تترتب عن اعتماد بنية مقيسة بمجامع غير وارد، نختز من الأمثلة القياسية التي يضعها عادة النحوي تبني أصل منهجي يفيد «أن التمثيل للصناعة ليس ببناء معتمد»⁽²¹⁾.

ومن المبدأ المذكور يُعلم أن الجملة⁽²²⁾ الثانية من العبارة (5) معمولة مباشرة، وأن الجملة الثالثة من نفس العبارة معمولة بالتبعية من جهة العطف. فوجب فتح همزة الناسخ (عن) الداخلة على الجملتين إعراباً عن ارتباطهما عاملياً بالجملة الأولى.

(5) ((قد عرفت)₁ (أنه ذاهب)₂ ثم (أنه معجل)₃)).

وبه يعلم أن الجملتين (ج2)، و(ج4) من العبارة (6) مرتبطتان عاملياً على التوالي بالجملتين (ج1) و(ج3). فوجب فتح همزة (عن) الداخلة عليهما للإعراب عن ذلك الارتباط. ولكون (ج3) منقطعة عاملياً (أي لا يمتد إليها أثر عامل فلم تكن مدججة في جملة أخرى واستقلت بفائدتها)، وجب الإعراب عن هذا الانقطاع بكسر همزة (عن) الداخلة عليها.

(6) ((قد عرفت)₁ (أنه ذاهب)₂ ثم (إني أخبرك)₃ (أنه معجل)₄)).

وإلى ما ذكر حول العبارتين (5) و(6) يشير سيبويه بقوله: «تقول: قد عرفت أنه ذاهب ثم أنه معجل لأن الآخر شريك الأول في (عرفت)، وتقول: قد عرفت أنه

(20) وهو ما يشير إليه ابن السراج إذ يقول: «المواضع التي تقع فيها (أن) المفتوحة لا تقع فيها (إن) المكسورة. فنتى وجدتها يقعان في موقع واحد فاعلم أن المعنى والتأويل مختلف» (الأصول، ج 1، ص. 266).

(21) ابن جني، الخصائص، ج 3، ص. 97.

(22) نستعمل لفظ الجملة للدلالة على المركبين المرتبطين بعلاقة الإسناد، ولفظ الخطاب للدلالة على وحدة لفظة تنحل مباشرة إلى جمل مترابطة بعلاقة عاملية أو دلالية. ونستعمل لفظ العبارة للدلالة على أية متوالية لفظية من أي مقولة، كالجملة الصغرى والكبرى والخطاب.

ذاهب ثم إني أخبرك أنه معجل، لأنك ابتدأت (إني) ولم تجعل الكلام على عرفت» (23). نخلص مما تقدم إلى أن الجملة تحتل أن تكون منقطعة أو معمولة مباشرة أو بالتبعية. واستناداً إلى ذلك، تفتح همزة الناسخ (عن) الداخلة عليها أو تكسر للإعراب عن حالي الارتباط أو الانقطاع العاملي.

1.3 - (أن) إعراب عن الارتباط العاملي

تبين أن فتح الهمزة (أن) من العنصر (عن) يعرب عن كون حيز الناسخ (أي الجملة التي دخل عليها) معمولاً (أي له حال تركيبية كالرفع والنصب والجر، وله وظيفة نحوية كالفاعلية والمفعولية والحالية وهلم جرا). أما تشديد النون منه (أن) أو تخفيفها (أن)، فيعرب عن اختصاص المشددة بمراكبة الاسم والعمل فيه إذا تجلب له الفتحة. بخلافه الخففة التي تعرب عن إمكان دخولها على الاسم أو الفعل من غير أن تعمل فيهما، لأن عدم الاختصاص حال العاطل. وإلى ما أثبتناه هنا ينبغي إرجاع ما ساقه نخاع من معطيات وضوابط حول استعمال (أن، أن).

(أن) في العبارات الآتية تُعرب عن كون حيزها معمولاً، حاله التركيبية الرفع على الابتدائية (24) كما في (7-14)، وقد تأخر المبتدأ في (9-14)، وانتصب الخبر المقدم بنزع الحافض على الظرفية في (11-14). وفي (15) ارتفع حيز (أن) على الخبرية، وعلى الفاعلية في (16 ؛ 17)، وعلى مفعولية ما راكب الفعل المبني له (18)، أو على التبعية لأحد ما ذكر من جهة العطف على الخبر كما في (19) إذا أخذ بتحليل سيبويه (25)، أو من جهة البدل من الفاعل (20).

(23) سيبويه، الكتاب، ج 1، ص. 462.

(24) يجمع النحاة على أن الجملة بعد (لو) و(لولا) معمولة إعرابها الرفع، وقد علله ابن يعيش بقوله: «(إعلم أن كل واحد من الشروط والجزاء جملة فعلية تامة. فلما دخل عليها حرف الشرط، ربطهما وجعلهما كجملة واحدة في افتقار كل واحدة من الجملتين إلى الأخرى كافتقار المبتدأ إلى الخبر. فالجملة الأولى التي هي شرط بمنزلة المبتدأ، والجملة الثانية التي هي الجزء كالخبر» (شرح المفصل، ج 3، ص. 151 ؛ انظر أيضاً سيبويه، الكتاب، ج 1، ص. 462).

(25) مذهب سيبويه (الكتاب، ج 1، ص. 463) والقراء (معاني القرآن، ج 1، ص. 405) والنحاس (إعراب القرآن، ج 1، ص. 670) على أن الجملة (الله موهن) معطوفة على الخبر (ذلكم) لمبتدل محذوف تقديره (الأمر). فكانت معمولة بالتبعية من جهة العطف، فتحت الهمزة إعراباً عن ارتباطها عاملياً بالخبر. والذي ذهب إليه سيبويه يؤكد إمكان عطف الجملة على المفرد، وإن لم يرض المتعاطفان مبدأ التناظر على المستوى المقولي، إذا اتعدا من حيث الحال التركيبية والوظيفية النحوية أو غيرها من الوظائف اللغوية في النماذج النحوية (انظر: أحمد التوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية، ص. 175-227).

(7) ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [5 : 49] (26).

(8) ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَّتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [143 : 37].

(9) ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّهُ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ [9 : 41].

(10) نعم العمل أنك تقول الحق.

(11) أحقاً أن أخطلكم هجائي.

(12) اليوم أنك مرتحل.

(13) الحق أن الحكمة خير كثير.

(14) عز ما أنك تصيب.

(15) خطأ زهد أنه لا يحسن التقدير.

(16) ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [51 : 29].

(17) ﴿لَا جَزَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾. [62 : 16].

(18) ﴿أَوْ جِئَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ [1 : 72].

(19) ﴿وَذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾ [18 : 8].

(20) بلغني أمرك أنك تحب الخير.

وكذلك فتح الهمزة في العبارات التالية : إلا أن الحال التركيبية لحيز الناسخ
النصب لكونه مفعولاً (21)، أو حالاً (22)، أو تابعا من جهة العطف (23)، أو
من جهة النعت (24)، أو من جهة البدل (25-26).

(21) ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [3 : 18].

(22) زهد بوجود وأنه معسر.

(23) عرفت أمورك حتى أنك أحمق.

(24) لا أكلمه ما أن في السماء نجماً.

(25) ﴿وَتَصِفُ أَسِنَّتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ [62 : 16].

(26) الرقم الأول بين المعقوفين للآية والثاني رقم السورة.

(26) ﴿أَيُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَافاً أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ﴾ [35] :

[23].

وينبغي أن نسجل هنا ملحوظة تخص حالة العنصر (ع) إذا دخل على جملة حالية، أو وقع بين الموصول وصلته. وسنوردها مختزلة في النقط الآتية :

(I) يتفق نحاة العربية على أن جملة الحال معمولة أو لها محل من الإعراب، وهم حول جملة الصلة مختلفون. إلا أن جمهور النحاة على مذهب إخلاء موضع الصلة من الإعراب، استناداً إلى المنقول عن ابن السراج (انظر الطور 16-18)، المصوغ من جديد في مبدأ الارتباط أو الانقطاع العاملي وجب فتح همزة الناسخ الداخل على الجملة الحالية : كما في (22).

(II) ما اجتمع لدى نحاة من معطيات تخص صورة العنصر (ع) الداخل على جملة الحال والصلة يشترك جميعها في أن لها معلقاً ؛ (لام الابتداء) يحجب أثر العامل، فيظل المعمول على صورته الأصلية وإن تغير وضعه الإعرابي (27). وما جاء معرّئ من المعلق فقد فتحت همزة ناسخه (28). يترتب عن ذلك أن يكون (ع) معرّئ

(27) من شواهد النحاة على كسر همزة الناسخ الداخل على جملة الحال ذكروا (1-3)، وعلى جملة الصلة أوردوا (4). انظر سيويه، ج 1، ص. 472 ؛ والمبرد، المقتضب، ج 2، ص. 345 ؛ والأشموني، شرح ألفية ابن مالك، ج 1، ص. 285.

- 1 - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [20 : 25].
- 2 - ﴿كَمْ أَفْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْنِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَافِرُونَ﴾ [5 : 8].
- 3 - ما أعطاني ولا سألتها إلا واني لخاصجزي سكرتي.
- 4 - ﴿وَأَنبِئَهُ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِنَّ مَفَاحِيَهُ لَكُنُوءٌ بِالنَّصِيَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ [76-28].

ويلاحظ في هذه المعطيات وجود لام. وهي في الأصل تجميع المبتدأ فسميت به، ويفترض أن تدخل على (إن) العامل في المبتدأ، لكن امتناع أن يجتمع عنصران لها نفس الوظيفة (التأكيد) زحلق اللام لفظاً لا معنى إلى الخبر، فظلت حاجزاً يمنع ما قبلها من التسلط على ما بعدها ؛ وبقية (إن) مسكورة كأنه لا عامل قبلها يعمل في الجملة حيّوها. وللمزيد من التفصيل، انظر : الزجاجي، كتاب اللغات، ص. 62-71. وينزع هذه اللام يزول معلق العامل فيظهر أثر عمله من جديد في فتح الهمزة، كما في شاهد الطرة (28).

(28) تسليم نحاة يكون جملة الصلة منقطعة يدفعه فتح همزة الناسخ في مثل قولهم : (5) لا أكلمه ما أن في السماء نجماً. وإذا ارتفع اعتراض هذا المثال بتقدير فعل (ثبت)، فإن اللجوء إلى التقدير بضمه أصل منهجي يفيد أن التحليل الذي لا يضطر إلى التقدير يفضل ما يضطر إليه. وما يضطر إلى تقدير واحد يفضل المضطر إلى اثنين. إذن، فتح همزة الناسخ الواقع بين الموصول وصلته في (5) شاهد على أن جملة الصلة معمولة.

الداخل على جملةتي الحال والصلة في موضع الفتح الذي يظهر بزوال المعلق، وليس في موضع الكسر الذي يجبر نجاة على تقدير عامل لما جاء مفتوحاً.

(III) نجاة العربية متفقون على أن الموصول اسم مبهم⁽²⁹⁾ توضحه صلته فيكون معرفة بها، لكن تصوراتهم لعلاقة الصلة بالموصول متباينة. فإذا كان المبرد⁽³⁰⁾ يعتبر الصلة والموصول مركباً واحداً يتلقى بمجموعة أثر العامل، فيكون له موضع من الإعراب؛ فإن أكثر النحاة⁽³¹⁾ يحسبون الموصول وصلته مركبين مستقلين عاملياً، بحيث لا يتسلط عامل الموصول على صلته، فلا يصلها شيء من أثر العامل، لأن الموصول يستحوذ عليه فلا يتركه يتخطاه إلى صلته إلا إذا كان الموصول حرفاً، لا يتحمل الإعراب لفظاً أو محلاً، فإن جملة الصلة عندئذ تكون معمولة باتفاق النحاة، كون الصلة معمولة مرة ومنقطعة مرة أخرى لا يبعث على الاطمئنان إلى أصول التحليل الذي من نتائجه ترديد الشيء الواحد بين وصفين متضادين.

ولتجنب ما في التصورين السابقين لعلاقة الصلة بالموصول من الاستثناءات وما عليهما من الاعتراضات، يتعين اعتبار الموصول والصلة مركبين مستقلين مقولياً مرتبطين عاملياً، يشهد لاستقلالهما المقولي أمران أولهما: كون المركبات يلحق الإعراب آخرها وليس صدرها. ولو كان الموصول وصلته مركباً واحداً، لوجب بناء الموصول وإعراب الصلة؛ وثانيهما: إمكان التصرف في أحدهما دون الآخر، إذ يقبل كلاهما أن تلحقه تغييرات خاصة⁽³²⁾. أما ارتباطهما العاملي، فيبرره ما يلي: أولاً: الأصل في الموصول أن يؤدي دوراً في التركيب خاصاً، يتمثل في ربط جملة معهودة

(29) في معنى الإبهام الذي وصفت به أسماء كالوصول والإشارة والضمير، قال ابن يعيش: «اعلم أن الموصول ضرب من المبهمات؛ وإنما كانت مبهمة لوقعها على كل شيء من حيوان وجماد وغيرهما، كوقوع هذا وهؤلاء ونحوهما من أسماء الإشارة على كل شيء» (شرح المفصل، ج 3، ص. 139).

(30) انظر: المبرد، المقتضب، ج 1، ص. 151-159؛ وج 3، ص. 191-201؛ والأبياري، أسرار العربية، ص. 384؛ والفارسي، الإيضاح العضدي، ص. 54.

(31) انظر: ابن هشام، المغني، ج 2، ص. 457؛ وابن يحش، شرح المفصل، ج 3، ص. 139؛ والأشموني، شرح ألفية ابن مالك، ج 1، ص. 165.

(32) من وجوه التصرف في الموصول فقط أنهم خففوا «اللذي»، فقالوا: اللذي، واللذي، واللذي؛ وللمبالغة في الصفة قالوا: اللذي؛ وفي تصنيوه قالوا: اللذي (انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج 3، ص. 139؛ والمبرد، المقتضب، ج 2، ص. 288؛ وشرح الأشموني، ج 1، ص. 156). وقد تصرفوا أيضاً في الصلة فقط إما بتقديم بعض مكوناتها على بعض، وإما بحذف العائد، أو حذف الصلة (انظر: سيويه، الكتاب، ج 1، ص. 376؛ والمبرد، المقتضب، ج 1، ص. 151).

بمركب اسمي معرفة من أجل نعتها بها. وبغير الموصول لا يُتوصل تركيبياً إلى وصف المعارف بالجملة⁽³³⁾؛ ثانياً : لكون الموصول صيغاً أصلاً يؤدي دور الوصلة في التركيب يمكن أن تتخطاه المطابقة الشخصية (علاقة يتحملها الفعل ومعموله المتراكبان للدلالة إما على الغيبة : هو خرج، وإما على الحضور تكلماً : نحن عدنا، أو خطاباً : أنت سرت)، لتقوم بين صدر الصلة والمنعوت، كما تشهد المعطيات أدناه⁽³⁴⁾، وتدل على ارتباط الصلة بالمنعوت بواسطة الموصول؛ ثالثاً : بما أن المعمول لا يحجب الإعراب عن تابعه، كما هو حال الموصوف مع الصفة، والمبدل منه مع البديل إلى آخر المتبوعات مع توابعها، لا شيء يمنع من اعتبار جملة الصلة معمولة بالتبعية من جهة النعت⁽³⁵⁾ «للموصول الحد» (أي الذي يتسلط عليه العامل مباشرة فتكون له حال تركيبية ووظيفة نحوية) كما في العبارة⁽²⁷⁾، أو للمركب الإسمي المنعوت بالجملة بواسطة «الموصول الرابط» كما في⁽²⁸⁾.

(27) ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [2 : 275].

(28) ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِثَاءً﴾ [19 : 43].

ففي (27) تسلط العامل (يقوم) مباشرة على الموصول الحد (الذي) : فأوجب له من الأحوال التركيبية الرفع ومن الوظائف النحوية الفاعلية. أما جملة الصلة

(33) أغلب كتب اللغة والنحو تذكر الخاصية التركيبية المسندة إلى الموصول أعلامه. إذ قبل لي تعريف «الذي» : اسم موصول صيغ ليتوصل به إلى وصف المعارف بالجملة» (انظر : الفيروزآبادي، القاموس المحيط). ومنه «الذي» وضع صلة إلى وصف المعارف بالجملة، وحق الجملة التي يتوصل بها أن تكون معلومة للمخاطب» (الريشيري، المفصل، ج 2، ص. 36)، وأضاف الأنباري : جاؤوا باسم ناقص لا يتم إلا بجملة فجعلوه وصفاً للمعرفة توصلًا إلى وصف المعارف بالجملة» (أهزار العربية، ص. 380).

(34) من ذلك قول علي كرم الله وجهه : «أنا الذي سميتني أمي حيدرة»، وقول الشاعر :
وأنا الذي قسست بكرا بالقنبا وتركت تغلب غير ذات سنمام
يا أيها الذكر السدي قد سؤيتني وفضحتني، وطردت أم عيالي
انظر : المبرد، المقطع، ج 4، ص. 131-132؛ والرضي، شرح الكافية، ج 2، ص. 43.

(35) قول نحاة إن الجملة المعمولة تقدر بالمفرد أو تؤول به وتحل محله لا يجوز جملة على عملية سبك مفرد من جملة عن طريق إدماج بعض مكوناتها في بعض (انظر : الرضي، شرح الكافية، ج 2، ص. 349-353)، لما في ذلك من الاختلاف الدلالي، ولأنه لا يتصور مفرد أصلاً للجملة، أو أن للجملة المحققة بنية أصلية يكونها مفرد. أما ما يفعله النحاة من سبك مفرد من جملة، فهو من باب التقريب على المتعلمين. وإنما ينبغي أن يفهم من تلك العبارات أن الجملة إذا كانت معمولة صارت لها حال تركيبية ووظيفة نحوية تعتريان أصلاً المفرد. وبذلك جاز لجملة الصلة أن تحل محل المفرد الذي يكون نعتاً.

(يتخبطه) فهي معمولة بالتبعية للموصول الحد من جهة النعت، فكان لها إعراب المتبوع أي الرفع، ووظيفة النعت أي التخصيص. وفي (28) العامل (جعلوا) متسلط مباشرة على الاسم (الملائكة)، فكانت حاله التركيبية النصب ووظيفته النحوية المفعولية، عنه يتلقى الموصول الرابط (الذين) الإعراب من جهة عطف البيان أو على الجوار. وتكون جملة الصلة (هم عباد الرحمن) معمولة بالتبعية للمركب الإسمي (الملائكة). من جهة النعت. فكان لها إعراب المتبوع أي النصب، ووظيفة النعت أي التخصيص.

يستخلص من تلك الملاحظات أن جملتي الحال وصلة الموصول معمولتان : الأولى مباشرة والثانية بالتبعية للموصول الحد أو للمنعوت بالجملة بواسطة الموصول الرابط. وإذا تصدرهما (عن)، وجب فتح الهزمة منه إعراباً عن ارتباط حيز (أن) عاملياً، إلا إذا تضمنت معلقاً يحجز أثر العامل فإنه يبقى على صورة الإعراب السابق وإن تغير المحل.

ولحيز الناسخ المفتوح الهزمة في العبارات التالية حال الجر التركيبية على الإضافة بغير حرف (29-31) أو بحرف مذكور (32) أو مختصر (36).

(29) ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَّا أَنتُمْ نَاطِقُونَ﴾ (37) [23 : 51].

(30) مَا رَأَيْتَهُ مِثْلَ مَا أَنَا خَلَقْتَنِي.

(31) سَافِرٌ حَيْثُ أَنَّ الْكَرَامَةَ مَصُونَةٌ (38).

(32) سَأَتَقِنُ الْعَمَلَ كَمَا أَتْلُكَ حَاضِرٌ (39).

(36) فرع ابن أبي الربيع الحذف، فجعله : 1) اختصاراً، وهو حذف لفظ مكوّن بدليل لعل المحاطب بمداولة ؛ 2) اقتصاراً، وهو حذف بغير دليل (انظر : البسيط في شرح أهل الزجاجي، ص. 420، 431).

(37) في هذه الآية قال ابن جني : «إنه جعل (مثل) و(ما) أسماءً واحداً فبنى الأول على الفتح واما جميعاً عنده في موضع رفع لكونهما صفةً (لحق). فإن قيل ما موضع (أنكم تنطقون)، قيل : هو جر بإضافة (مثل) ما إليه» (الخصائص، ج 2، ص. 182).

(38) بعد (حيث) موضع كسر همزة الناسخ في نظر نخاعة كثير. لكن الائلاف (حيث) و(مذ)، من جهة إضافتهما إلى الجملة فيقتضيان لها الخفض وتصبح معمولة إذا دخل عليها الناسخ فتحت همزته، يوجب الجمع بينهما في اقتضاء الفتح أو الكسر همزة الناسخ. ولا وجه للتفريق بينهما حول أوجه الائلاف بين (حيث) و(مذ) ونحوهما من الكلمات الظروف (انظر : المبرد، المقتضب، ج 3، ص. 173).

(39) لتعليل الفتح قال سيويه : «العاملة في (أن) الكاف و(ما) لغو ؛ ألا أن (ما) لا تحذف منها كراهية أن يجيء لفظها مثل لفظ (كأن)» (الكتاب، ج 1، ص. 470).

(33) ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِ مَوْلَايَ يَقُمْ تُحَرُّونَ﴾ [22 : 44].

يتبين من الشاهد في (29، 30) أن كل جملة مضاف إليها اسم فهي معمولة، وكل جملة معمولة إذا دخل عليها (إن) وجب فتح الهمزة منه، كما هو حال (31) أيضاً. وكل جملة تصدرها (أن)، ولم تكن معمولة بعامل ينتمي إلى جملة سابقة لتشيع مكوناتها العاملة، دل فتح الهمزة منه على اختصار حرف الإضافة العامل في الجملة حيز (أن)، ويقدر موافقاً للدلالة متعلق به سابق كتقدير (الباء) في مثل (33)، إذ الأصل (فدعا ربه بأن هؤلاء...)، و(من) في مثل (لا محالة أنك عائد)، و(لا بد أن الحق منتصر) ؛ و(في) المضمر في نحو (لا شك أنك مبعوث)، و(اللام) في (جئتك أنك تحب المعروف).

قد يقبل (أن) أن يلحقه بعض عناصر الناسخ الحرفي سوى (إن). ويكون الناسخ الملحق موجهاً جديداً للجملة عاملاً فيها جالباً إليها الفتحة، ويكون فتح همزة (أن) الواقع بينه وبين الجملة إعراباً عن تعلق حيزه بعامل جهي، كما في قوله :
(34) فياليت أن الطاعنين تلفتوا.

وإن قل أن يدخل على الجملة لتوجيهها مرتين عنصران من ناسخ واحد، حرفي أو فعلي، إلا أن وقوعه، كما في (34)، يقضي بفتح همزة الناسخ إعراباً عن ارتباط حيزه بغيره عاملياً.

وقد يكثر توجيه الجملة مرتين، بأن يدخل على أحد مكوناتها ناسخ حرفي، وعلى الآخر ناسخ فعلي. كما في الجمل :

(35) (أ) ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا﴾ [59 : 17].

(ب) كَذَلِكَ أَذُتُّ حَتَّى صَارَ مِنْ خَلْقِي

أني وجدت ملاك الشيمة الأدب

(36) (أ) ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [24 : 17].

(ب) ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [120 : 16].

(ج) ليت المصلي بات راکعاً ساجداً.

(د) لعله يظل منتبهاً.

(هـ) كأن الشاعر صار قصاصاً.

يستفاد من سلامة هذه العبارات : 1) أن الجملة تقبل التوجيه مرتين بعنصرين ينتمي أحدهما إلى الناسخ الفعلي، والآخر إلى الناسخ الحرفي، بشرط أن يتم توزيعهما تركيبياً على مكونيها، بأن يراكب كل واحد معموه، كما يتضح من خلال المقارنة بين (35) و(36). و2) لا تقبل الجملة أن يلحقها عنصران من ناسخ واحد (إما بسبب خاصية التكامل بين عناصره مثل بات، أصبح، ظل، وإما لتناظر بعضها دلالياً، إن/أن)، ماعدا العنصر (عن) : فإنه يقبل أن يراكبه عنصر آخر من صنفه⁽⁴⁰⁾، كما جاء في (34)، أو أن يتكرر ذكره مقروناً بمكوني الجملة من غير تغيير في صورته لتأكيد لفظه، أو للزيادة في تأكيد محتوى الجملة، كما في (37، 38)، تبعاً للزمخشري والمبرد⁽⁴¹⁾.

(37) إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرَّهٗ سِرّاً مُلْكٍ بِهِ تُرْجَى الْخَوَاتِمِ
(38) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [17 : 22].

ويكون الربط في حالة (37) ونحوها (38) بلفظ الضميرين في الجملتين (إن الله سره) و﴿إن الله يفصل بينهم﴾ العائدين بالتوالي على (إن الخليفة) و﴿إن الذين آمنوا...﴾. كان الربط بين جزئي الجملة لفظياً (أي بالضمير) لا عالمياً ؛ (لاحتفاظ (إن) بصورتها الأصلية)، بسبب تكرير (إن) الداخلة على المبتدئين قبل الإخبار عن أي منهما. وإذا تقدم الخبر، كان منسوخاً (39) أو لم يكن كما سبق في (9-14)، وجب فتح همزة (عن) الداخل على المبتدئ المبني على الخبر السابق إعراباً عن ارتباطهما عالمياً.

(39) ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾ (42) [118 : 20]. فقد أوجب الارتباط العالمي بالتبعية فتح (أنك)

(40) نقل المرادي آراء مختلفة حول ما يجوز أن يتصل به (أن) من عناصر الناسخ الحرفي (أنظر كتابه : الجنى الدالي، ص. 408).

(41) انظر : الزمخشري، الكشف، ج 3، ص. 148 ؛ والمبرد، المقطع، ج 2، ص. 354 (باب (أن) مكررة).

(42) في همزة الناسخ قراءتان : الفتح، وهي «قراءة أبي عمرو، وأبي جعفر، والأعمش، وحمزة، والكسائي ؛ وقرأ عاصم ونافع (وإنك) بكسر الهمزة. فالفتح على أن تكون (أن) رمزاً في موضع نصب عطفاً على (لأن) والمعنى : (وإن لك أنك لا تظمأ فيها)...، والكسر على الاستعفاف، وعلى العطف على (إن لك)». (أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ج 2، ص. 360).

المعطوف على موضع المبتدأ (ألا تجوع فيها) المنسوخ إعرابه بواسطة (إن) المبني على الخبر المقدم (لك).

سبق أن المعلق يجيب أثر العامل عن القابل. فلا يظهر على لفظه، لأنه يبقى محتفظاً بإعرابه الأصلي وإن تغير موضعه. وتقدم أيضاً أن الاختصار حذف لفظ بدليل للعلم بمدلوله، وإذا عُلِمَ أن كل فعل من «باب العلم» (انظر : ب 2.3) يراكب (أن) العرب عن تعلق حيزه عاملياً بالفعل (علم) ونحوه (حسب، ورأى)، تعين حمل كسر الهزمة في مثل (40) على اختصار اللام المتعلقة.

(40) (أ) منا الأناة وبعض القوم يحسبنا

إنّا بطاءً وفي إبطائنا سرع

(ب) ألم تر إني وابن أسود ليلة

نسري إلى نارين يعلو سناهما

إذ خلا التركيب من موانع لحاق هذه اللام بالخبر⁽⁴³⁾ (بطاءً)، و(نسري)، وتوافرت شروط حذفها⁽⁴⁴⁾. والإبقاء على الكسر والموضع للفتح فلا إقامة الدليل على قصد معنى اللام المؤكد الثاني فأمكن اختصار لفظه إيجازاً (أي من أجل تكثير المعنى وتقليل اللفظ). ولا يعلل الكسر، خلافاً للمراذبي⁽⁴⁵⁾، وغيره، بكون الناسخ داخلاً في مثل (40.أ) على جملة واقعة مفعولاً ثانياً لفعل قلبي، لأن هذه الجملة في موضع مفرد؛ وما كان كذلك فتحت همزة الناسخ الداخل عليه في تصور أغلب نحا العربية.

= ويكشف جواز المعطف في الآية عن إمكان تغليب الناظر الوظيفي على الناظر المقولي إذا تجادبا الحكم. وعليه يكون في درجة (37) المثال : (سأني أن هذا انتقد عمراً وأن هاجم خالد أساذمه)، الذي بناء الدكتور أحمد المتوكل (انظر : دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص. 215). ويمكن أن يستدل من صحة المعطف في هذا المثال على أن الناسخ الجزئي (إن) أو (أن) لا يقوى على محاصرة الفعل ومنعه من تحطّي المبتدأ، خلافاً لما يعتقد أندرس هلمبيرك (Anders Holmberg) انظر : الفصل الأول من كتاب النحو التوليدي والتركيب القارن (Grammaire générative et syntaxe comparée)، لأن العربية من النمط اللغوي الذي يأخذ بوسيط العلامة المحمولة اللغوي القاضي بتحرير مكونات الجملة من أي ترتيب قبلي.

(43) انظر : الرضي، شرح الكافية، ج 2، ص. 356.

(44) انظر : ابن هشام، المغني، ص. 668.

(45) انظر : المرادي، الجني الداعي، ص. 407.

2.3 (أَنْ) الخففة غير مختصة عاطلة

كما تتردد همزة (ءن) بين الفتح والكسر، تتردد نونه أيضاً بين التشديد المعرب عن الاختصاص والعمل في الإسم الذي يقترن به، وبين التخفيف المعرب عن إمكان اقترانه بالإسم والفعل والكف عن العمل في مراكبه، كما يتبين من المثالين :

(41) زعم الفرزدق أَنَّ سيمْتَلُ مربعاً
أُبَشِّرُ بطول سلامة يا مربع

(42) في فتية كسيوف الهند قد علموا
أَنَّ هَالِكُ كُلِّ مَنْ يَحْفَى ويتعل

ويسبب هذا التخفيف، يصير الناسخ (أَنْ) المَسْرُحُ العاطل مُشاكلاً للمصدرِي (أَنَّ) المختص العامل. ويسبب هذا التشاكل اللفظي يختلط الناسخ بالمصدرِي. فبم يحصل الفصل بينهما ؟ ولرفع هذا الإشكال لم يجد نخاة العربية بُدّاً من اعتبار دلالة الفعل العامل الذي يراقب (أَنْ)، لأنها المتغير لا غير الذي يتعلق به قبح التركيب أو حسنه في العبارات التالية :

(43) (أ) ﴿يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّكُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [60 : 4].
(ب) يرجو زهد أُنْكَ فاضل*.

(ج) يطمع صاحبكم أَنْ تُهْمِلُونَ إِرْتِكَمَ*.
(44) (أ) ﴿عَلِمَ أَنْ مَتَّيْكَوْنُ مِنْكُمْ مَرَضَى﴾ [20 : 73].
(ب) ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ﴾ [75 : 28].

(ج) علم بكر أَنْ سيفورَ خالد*.
(45) (أ) ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ [2 : 59].
(ب) ظن بكر أَنْ سيفورَ خالد.

من خلال المقارنة بين عبارات (43)، يتضح أَنَّ الفعل (أراد) ينتمي إلى طائفة من الأفعال كل واحد منها : 1) يناظر دلاليّاً المصدرِي (أَنْ) ويناسبه، إذ يقبل أَنْ يُرَاكِبَ (أَنْ) المختص بالدخول على فعل لم يثبت تحققه ولم يستقر، يراقبه فعل «الترقب» (46)، مثل (أراد) ونحوه (طمع، ورجا، وخشي، وخاف، وعسى...).

(46) عن خاصية الترقب الميزة لباب الإرادة يمر سبويه بقوله : «لا ترد أَنْ تخبر أَنَّك تخشى شيئا قد ثبت عندك، ولكنه كقولك : أرجو، وأطمع، وعسى فأنت لا توجب إذا ذكرت شيئا من هذه الحروف... كما =

فَحَسُنَتْ (43). أم تركيبياً بسبب التوافق الدلالي بين فعل الترقب (أراد) والمصدرى (أن) العامل في الفعل المحتمل الحدوث (يضلكم) ؛ و(2) يباين الناسخ الملتحق بما هو مستقر لتأكيد وقوعه أو توقع ثبوته. لذلك لا يقبل فعل الترقب أن يراكب الناسخ المؤكّد للثابت المستقر، فقيح تركيب الجملتين (43، ب، ج).

ولانتفاء (علم) إلى طائفة أخرى من الأفعال، تتميز بخاصية «التحقيق» الدلالية، صار هذا الفعل ونحوه ؛ (شهد، وتيقن، واعتقد، وثبت، وتبين، وانكشف، وظهر، ونظر من الفكر) يباين دلالياً المصدرى، فلا يقبل أن يراكب (أن) الخفيفة المختصة بالعمل في فعل مطلوب متوقع غير ثابت⁽⁴⁷⁾. ولما حصل هذا الضم في مثل (44. ج)، قبح تركيب هذه الجملة. لكن أي فعل من باب العلم يناسب دلالياً الناسخ الخفف (أن) والثقل (أن) الملتحقين، على التوالي، بالجملتين (44. أ، ب) ليؤكد الأول ثبوت محتوى الجملة (أ) المتوقع، والثاني ثبوت محتوى (ب) المستقر، للتوافق الدلالي بين فعل التحقيق وبين الناسخ المؤكّد للثابت كان متوقّعاً أو مستقراً، حسن تركيب الجملتين المذكورتين.

من صفة جمل مثل (45) يتبين أن الفعل (ظن) يقبل أن يراكب المصدرى (ما ظننم أن يخرجوا)، فيكون فعل ترقب من باب الإزادة، ويقبل أيضاً أن يراكب الناسخ الثقيل، «وظنوا أنهم ما نعتهم»، وكذلك الخفف (ظن أن سيفوز)، وعندئذ يكون فعل تحقيق من باب العلم. ولانتفاء (ظن) إلى البابين المذكورين يشكل مع (حسب، وخال، وزعم، ورأى من الرأي...) طائفة ثالثة من الأفعال. ميزة هذه أنها تتعاقب عليها خاصيتا التحقيق والترقب الدلالتان، وبهذه الميزة تُكوّن هذه الأفعال باباً ثالثاً هو باب الظن⁽⁴⁸⁾.

= نقول : أرى، من الرأي، أن تقوم : فأنت لا تخبر أن قياماً قد ثبت كائناً أو يكون في ما تستقبل البنية (الكتاب، ج 1، ص. 482 ؛ انظر أيضاً : المبرد، المقطضب، ج 1، ص. 187 ؛ والرضي، شرح الكافية، ج 2، ص. 234).

(47) من العبارات المصوّرة لما سبق أعلاه عن التناسب أو التناظر الدلاليين نورد قول المبرد : «والفصل بين (أن) خفيفة، وبين (أن) الخففة من الثقيلة أن الخفيفة لا تقع ثابتة إنما تقع مطلوبة أو متوقعة، نحو أرجو أن تذهب، وأخاف أن تقوم فإذا وقعت مخففة من الثقيلة وقعت ثابتة على معنى الثقيلة، نحو أعلم أن ستقوم على معنى قولك : أنك ستقوم. ولا يصلح (أرجو أنك ستقوم) لأنه لم يستقر عنده، لأن الثقيلة إنما تدخل على ابتداء مستقر» (المقطضب، ج 1، ص. 187).

(48) هذا التوبييخ الثلاثي للأفعال (باعتبار ما تراقبه : المصدرى فقط، أو الناسخ فقط، أو الناسخ والمصدرى معاً)، ذكره المبرد في «باب الأفعال التي لا تكون (أن) معها إلا ثقيلة، والأفعال التي لا تكون معها إلا=

من نتائج هذا المبحث أن فتح الهمزة من العنصر (ءن) يُعَرِّب عن كَوْنٍ حيزه متعلقاً بمركَّب يعمل فيه مباشرة أو بالتبعية، فتكون للجملة حالٌ تركيبيةٌ ووظيفة نحوية كالْمفرد داخلها فتَحْمَلُ عليه وتُوَوَّلُ به ؛ وأن جملة الحال المعمولة مباشرةً، كجملة الصلة المعمولة بالتبعية : إذا دخل عليها ناسخ وجب فتح همزته، كما يكون مع أية جملة معمولة أخرى، إلا إذا وجد المعلق الذي يحجب أثر العامل فلا يظهر على مكونات الجملة ولا على همزة الناسخ إذا دخل عليها ؛ وأن تخفيف نون الناسخ إعراب عن خاصية تركيبية طارئة (عدم الاختصاص وإلغاء العمل). وقد ترتب عن هذا التخفيف أن اختلط الناسخ بالمصدري، وفصل بينهما بتصنيف الأفعال دلاليّاً إلى الأبواب الثلاثة : باب العلم يراكب الناسخ لا المصدري، وباب الإرادة بخلافه، وباب الظن يراكب الناسخ والمصدري بشروط خاصة تخلع عن الناسخ خاصيته الدلالية فيراكب فعلاً من باب الإرادة، وبالإشراب يصير فعل إلى باب غيره فيعادلُه دلالة وتركيباً.

4 - (إن) إعراب عن انقطاع العمل

في الطرف الآخر من الجملة المعمولة المرتبطة عامياً بمركَّب واقع خارجها تقع «المنقطعة» وهي جملة متميزة بنقيض خصائص المعمولة. فهي أولاً غير معمولة، إما

= خفيفة، والأفعال المحتملة للتخفيف والخفيفة»، (المقتضب، ج 3)، ص. 7 ؛ أنظر أيضاً : سيويه، ج 1، ص. 481. لكن الرضي (انظر : الكافية، ج 1، ص. 232) اعترض على هذا التبريد للأفعال باعتبار التوافق الدلالي مع (أن) الخفيفة أو المخففة أو معها معاً، وذلك بإثبات معطيات شاهدة على عدم الخلو في انتهاء فعل إلى باه، مثل (ود) من الأمانة بابه الإرادة لكنه راكب الناسخ في :

وددت وما تُثني الوَدَّاةُ أنني بما في ضمير الحاجية عالم
وفي : وددت أن أنهي فلانا كان حاضرا.

ولدفع هذا الاعتراض يمكن القول باختصار : بما أنه لا يجوز (وَدِدْتُ أَنْ سَتَخْرُجَ)، وبما أن المصدري يلزم الجملة الفعلية ولا يلحق الأسمية، كما صرح بلديكم الرضي نفسه، تعين أن تكون خاصية (أن) الدلالية مخلوعة عنها في الشاهدين ونحوهما (أريد أنك مع الفائزين في الدورة المقبلة). فزال التنازع الدلالي بين (أن) وبين الفعلين (ود، وأراد) فحسن التركيب. يلزم، عن ذلك أن تمام التباين الدلالي، كتمام التناظر، يحرك أصل «خلع الأدلة» (انظر : ابن جني، الخصائص، ج 2، ص. 179) الملحوظ في ظواهر لغوية كثيرة منها هذه، وبأصل الإشراب ؛ وهو تضمين فعل خاصية دلالية تخرجه إلى باب غيره. يمكن تبرير حسن التركيب في مثل (أخاف إذا مت أن لا أذوقها) وإن كانت الشروط المتوافرة (خاف من باب الإرادة و(أن) داخل على الجملة الفعلية) توجب أن يكون (أن) مصدرياً لا ناسخاً مخففاً لكنه «قد يشتد الخوف أو الرجاء ويُقَرَى حتى يلحق بالمتين فيقع بعدهما أيضاً المخففة» (الرضي، الكافية، ج 1، ص. 233).

لأنها «افتتاحية» (49) لم يتقدمها شيء عامل أو غير عامل كالجمل المفتوح بها السور ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ وكل جملة يُثقل بها من السكوت إلى الكلام ؛ وإما لأنها «استثنائية»، وهي جملة مسبوقه بجملة أخرى مستقلة عنها لا ترتبط بها برابط عاملي أو «دلالي» كالجملة الثانية في قوله تعالى : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ إِسْلَامٌ﴾ ؛ وإما لأنها «اثلافية»، وهي الجملة المتعلقة دلاليًا بجملة أخرى. ومن المجموع يتألف خطاب. وباعتبار درجة تعلقها تنقسم إلى : (1) جملة اثلافية مؤسسة تشارك غيرها في تشكيل خطاب، بحيث لا يستقيم بدونها. من هذا القبيل «جملة الجواب» التي تؤسس مع جملة الشرط أو القسم خطاباً مكوناً من الجملتين وقد تعالفتا دلاليًا لا عملياً ؛ و(2) جملة اثلافية مُصَوِّبة، وهي جملة واقعة في حشو جملة أخرى أو عَقَبَهَا، لا تشاركها في تأسيس الخطاب وإقامته وإنما يؤتى بها لتصويب الجملة المؤسسة، فتكتسب بذلك «وظيفة دلالية»، كوظيفة «التفسير» (50)، إذا كانت تكشف عن مدلول أحد مكونات الجملة السابقة يكون في حاجة إلى تحديد وتعيين كما في (قلت له أَنْ سَافِرٌ وَجْهَ النَّهَارِ) ؛ ووظيفة «التغليب»، وهي الوظيفة التي تؤديها جملة تذكر علة وسبباً لغيرها كقوله : (غض الطرف لأنك من غير) ؛ ووظيفة «التوجيه» إذا كان الإتيان بالجملة من أجل تعيين إحدى الجهتين الممكنتين للجملة السابقة، كما في (زيد مريض يظن بكر).

وإذا دخل العنصر (ءن) على جملة في وضع الافتتاحية (46) أو الاستثنائية (47) أو الاثلافية (48)، وجب كسر الهمزة من الناسخ إعراباً عن انقطاعها عملياً.

- (46) ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [8 : 10].
 (47) ﴿اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [10 : 21].
 (48) (أ) ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [32 : 36].
 (ب) من يفعل الحسنات إن الله يشكرها.
 (ج) قال فيك قولاً جميلاً إنك لا ترد سائلاً.

(49) انظر ابن هشام، المعنى، ص. 427.

(50) عن الجملة ذات الوظيفة التفسيرية يقول ابن هشام : «التفسيرية، وهي الفضلة الكاشفة لحقيقة ما نليه» (المعنى، ص. 446).

(د) فسلنني لأنني أصبح ذا خبر

وثاني ما يميّز الجملة المنقطعة كونها لا تحل محل المفرد ولا تؤول به، بل لا تكون لها حال تركيبية ولا وظيفة نحوية، وإنما يكون للجملة المصوّبة من الائتلافية على وجه الخصوص وظيفة دلالية، كوظيفة تعليل الجملة (فسلنني) في (48د)، التي تؤديها الجملة الموالية (لأنني أصبحت بالمفضال)، ووظيفة تفسير الجملة المنجزة (قال فيك قولاً جميلاً) في (48ج) التي تطلع بها الجملة المحكية (إنك لا ترد سائلاً).
يتربط عن المثبت هنا حول (48ج) أن كسر همزة الناسخ لم يكن لوقوعه بعد (القول)، وإنما لدخوله على جملة منقطعة وظيفتها الدلالية تفسير منصوب (قال) المختصر لدلالة فعله عليه كما في (49)، أو منصوب فعل مرادف للقول كما في (50).

(49) ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [5 : 115].

(50) رجلان من مكة أخبرانا إنا رأينا رجلاً عرياناً

إذن، كل جملة محكية فهي منقطعة مفسّرة، بغير أداة هذه الوظيفة، كما في (49، 50) أو بأدائها كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحِينَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [117 : 7] وقول الشاعر: (ترمينني بالطرف أي أنت مذنب). ولا تكون الجملة المحكية مرة معمولة ومرة منقطعة خلافاً لابن هشام⁽⁵¹⁾.

ومن قبيل الجملة الافتتاحية كون الناسخ داخلاً على مبتدأ لم يُخبر عنه بعد أو

(51) اعتبر ابن هشام (انظر : المغني، ص. 460) الجملة المحكية بالقول أو بمردفه معمولة إعرابها النصب على المعنوية ؛ إلا إذا تصدرها المفسر (أي) أو (أن)، فإنها عندئذ منقطعة. وهو في ذلك يجانب الصواب بأكثر من دليل : أولاً نفى سيويه عن (قال) العمل في محل الجملة أو في مكوناتها القابلة للإعراب ؛ يقول : «ولا يجوز أن تعمل (قال) في (إن) كما لا يجوز لك أن تعملها في زيد وأشباهه إذا قلت : قال زيد عمرو خير الناس فلان لا تعمل فيها (قال). كما لا تعمل (قال) فيما تعمل فيه (أن)» (الكتاب، ج 1، ص. 471) ؛ وثانياً، لو كانت الجملة المحكية معمولة لأوّلت بالمفرد ولوقعت في موضع لا يقع فيه إلا الاسم، وذلك موضع الفتح لا الكسر بانفتاح أغلب النحاة ؛ والثالث، لو كان (قال) عاملاً كما يعمل (ظن) لوجب ظهور أثره في مثل (قال زيد خالد يحيل)، كما يظهر مع (ظن) في (ظن زيد خالداً يحيل)، أو مع (قال) التي بمعنى (ظن) في مثل : (أقول خالداً يحيل) ؛ ورابعاً، يصعب التسليم بكون الجملة المحكية معمولة لما لم يتصدرها المفسر (أي) أو (أن)، لأنه ما ثبت أن تحدث نحوي عن وجود أداة لإلغاء العمل ؛ وخامساً، من استقرأ عدد لا بأس به من الحالات يمكن صوغ مبدأ يحكم العلاقة بين جمل، فنقول : إذا توالى جملتان مختلفتان نوعاً، كأن تكون إحداها خبيّة والأخرى طلبية، أو حكاية وإيجازاً، امتنع الربط بينهما عاملاً إلا على جهة التبعية أو الظرفية. مما تقدم لم يبق سوى أن تكون الجملة المحكية منقطعة، وظيفتها الدلالية تفسير (القول) المختصر، تصلّوها المفسر أم لا.

لم يُعَنَّ على خبر سابق. وفي هذه الحالة يتعين كسر همزته للانقطاع العاظمي بين المبتدئين ؛ معمول الناسخ والسابق عليه كما في (51)، أو لأن المبتدأ قد تقدمه ما لا يننى عليه(52).

(51) زيد إن أهله يحبونه.

(52) ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [22 : 10].

إذن، يحصل الانقطاع العاظمي فكسّر همزة (عن) إن وجد الناسخ داخلاً على مبتدئ غير مبني على سابق مخبر به عنه ومسند إليه، كما في نحو (51. 52) أو على جملة ائتلافية (48-50) أو افتتاحية (46) أو استثنائية (47).

وكما يعرب كسر الهمزة من الناسخ عن الانقطاع العاظمي، ما لم يعلق العامل، يعرب تخفيف نونه عن عدم الاختصاص مع إمكان العمل في الاسم خاصة(52)، وبذلك تفرق (أن، إن) المخففتان كما تفرقان فيما يخص الضوابط الفاصلة بينهما وبين ما تحتلطان به لفظاً. وتشهد المعطيات الآتية على ما للمخففة (إن) من خصائص مميزة :

(53) (أ) ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [102 : 7].

(ب) ﴿وَإِنْ تَطَنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [186 : 26].

(54) (أ) ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [4 : 86].

(ب) ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [32 : 36].

(ج) إن زيدٌ لحير منك.

(55) (أ) ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمَّا كَيُوفِيَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [111 : 11].

(ب) إن خالداً لأكرمكم.

(ج) إن بكراً أشجعُ قومه.

تكشف المقارنة بين مجموعات الجمل هذه عن بطلان اختصاص (إن). إذ وجدت في (53) مقترنة بالفعل، وفي (54) داخلة على اسم محفظ بإعرابه الأصلي،

(52) حول عدم اختصاص (إن) المخففة مع إمكان عملها قال الرضي : «إذا خففت المكسورة بطل اختصاصها بالأسماء فيطلب الإلغاء» (شرح الكافية، ج 2، ص. 358). وعن الخاصية الثانية يعبر البرد بقوله : «وجاز النصب بها إذا كانت مخففة من الثقلية» (المقتضب، ج 1، ص. 189). إلا أن لحاظ الكسوة لا يجوزون العمل لغو المختص. وإذا ثبت نظرياً هذا الأصل العاظمي، فإن الاستعمال جاء بخلافه كما يظهر من الأمثلة أعلاه.

إلا في (55) فقد نُسخَتْ إعراب ما دخلت عليه من الأسماء. فكانت عاملة مع عدم الاختصاص. والظاهر من كلام سيويه (53) أن إعمال (إن) الخفيفة «لغة» وليست العربية، لأن إعمالها في (55، أ) محمول على قراءة أهل المدينة، كقراءة نافع وابن كثير. أما في مثل (55، ب، ج)، فمحمول على استصحاب حكم الأصل في كلام بعض العرب. وهذا يكون الأصل العاملي «غير المختص عاطل» محترماً في العربية.

ولفصل (إن) الخفيفة عن (إن) الخفيفة تعين أن تلزم لأم الابتداء خبر الخفيفة. وتكون الغاية من إثبات هذه اللام في الخبر محصورة في التفريق بينهما ؛ ولهذا تسمى اللام الفارقة. وإذا لم تكن مهمة، فإن عملها فاصل لها عن الخفيفة ؛ ولا تحتاج حينئذ إلى اللام الفارقة كما يتبين من المثال (55، ج) الذي بناه المبرد (54)، لأن الأثر الذي تجلبه (إن) لمعمولها فارق لها عن مشاكلها اللفظي. وفي حالة دخول اللام في الخبر و(إن) عاملة، كما في (55، أ، ب)، كان عملها فارقا واللام مؤكدة.

أما النحاة المتأخرون (55)، فقد أضافوا «أدلة معنوية» بوصفها مؤشرات فارقة بين الخفيفة والخفيفة النافية على وجه الخصوص. جامع هذه المؤشرات التوافق أو التخالف الدلالي بين (إن) وما يراكبها، إذ لا شيء مما سبق يفصل بينهما في مثل (56) إلا التناسب الدلالي أو عدمه :

(56) (أ) إِنْ الْحَقُّ لَا يَخْفَى عَلَى ذِي بَصِيرَةٍ.

(ب) أَنَا ابْنُ أَبَاةِ الضَّيِّمِ مِنْ آلِ مَالِكٍ

وإِنْ مَالِكٌ كَانَتْ كِرَامُ الْمَعَادِنِ.

(ج) أَمَا إِنْ جِزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا.

(53) لم يجد سيويه (الكتاب، ج 1، ص. 283) وغاةً بَعْدَهُ (الرضي، شرح الكافية، ج 2، ص. 357 ؛ والأشموني، شرح الألفية، ج 1، ص. 297 ؛ وابن الناطم، شرح الألفية، ص. 178) من المعطيات الشاهدة على إعمال (إن) الخفيفة سوى الآية المذكورة، وإن كانت هذه الآية تمثل إحدى للقراءات ؛ لكن مثالا مسموعا يدعمها. وحل ذلك على مبدأ استصحاب الأصل المعمول به في كلام بعض العرب لا غير.

(54) انظر : المختضب، ج 2، ص. 360 ؛ وج 1، ص. 188.

(55) انظر ابن الناطم، شرح الألفية، ص. 179 ؛ والأشموني، شرح الألفية، ج 1، ص. 289 ؛ والرضي، شرح الكافية، ج 2، ص. 359.

يعلم كون (إن) في مثل (56) مخففة مع إهمالها وانعدام اللام الفارقة بمؤشرات معنوية.

لأن (لا) في (أ) مبعدة للنافية (إن). و(إن) التي تنصدر الشطر الثاني في (ب) غير نافية، إذ لا يجوز، في «الصفات المتدرجة»، الجمع بين إثبات صفة (أبارة الضيم) تنتمي (من) إلى وصف عام (آل مالك)، وبين أن ينفي عن ذلك الوصف العام (مالك) ما كان نظيراً (كرام المعادن) للصفة المثبتة. وبعبارة أخرى، الصفات المتحاولة دلاليًا لا يثبت بعضها لموصوف في سياق الفخر أو المدح ويُنفي عنه بعضها الآخر. وبذلك ترجح أن تكون (إن) في (ب) مخففة، وإن كانت مهملة والخبر مجرداً من اللام الفارقة. وبما أن الدعاء لا تدخله (إن) النافية، وجب أن تكون (إن) في مثل (ج) مخففة.

نخلص مما سبق إلى أن كسر الهمزة من الناسخ إعراب عن انقطاع حيزه عاملياً إلا مع وجود معلق مانع من ظهور أثر العامل. يعرب الكسر عن الانقطاع إذا دخل الناسخ على جملة في وضعية الافتتاح أو الاستئناف أو الالتلاف. أما تخفيف نونه، فأعراب عن عدم اختصاصه بأحد القليلين : الإسم أو الفعل، وعن إلغاء عمله. ويرفع الالتباس الناجم عن التخفيف بلام فارقة تلحق الخبر، أو بإعمالها استصحاباً للأصل، أو بأصل التوافق أو التخالف الدلالي بين (إن) وبين ما يراكبها. وتشهد المعطيات الكثيرة على أن الفصل باللام الفارقة أقيس، وبه ينبغي الاستعمال الحالي للغة العربية.

5 - تعلق صورة (عن) بمتغيرات دلالية وتركيبية

«المواضع التي تقع فيها (أن) المفتوحة لا تقع فيها (إن) المكسورة. فمتى وجدتهما يقعان في موضع واحد فاعلم أن المعنى والتأويل مختلف» (56).

يتبين بصرح العبارة من النص مطلع هذا المبحث أن ليس للعنصر (عن) أكثر من موضعين : في أحدهما يكون (عن) مفتوح الهمزة إعراباً عن الارتباط العاملي، وفي الآخر يكون مكسوراً للإعراب عن انقطاع العمل. وإذا حصل أن احتمل (عن) في مواضع مخصوصة الفتح والكسر، وجب إناطة قلب صورته بما تحتمله الجملة من

(56) ابن السراج، الأصول في النحو، ج 1، ص. 266.

اختلاف في معناها، أو تغيير في تركيبها، شريطة ألا يتعدى ذلك احتمالين : بأحد المعنيين أو البناءين يتعلق الكسر، وعندئذ يلتحق الناسخ بمواضع كسر همزته ؛ وبالمعنى أو البناء الثاني يتعلق الفتح فالتحاق (عن) بمواقع وجوب الفتح. وإذن، ليس هناك موضع على الإطلاق يجوز فيه الفتح والكسر.

خصر اختلاف التأويل في معنيين يتأتى تصوره عن طريقي «الاختصار»، و«التضمن» أو عدمهما. إذ يمكن، في البنية المعنية (57، ب)، إقرار معنى عامل مختصر لفظه يظهر أثره في الفتح (أن)، أو إخلاؤها من معنى ذلك العامل (57، أ)، فيعكس الكسر انعدامه. وهو طريق الاختصار وعدمه. كما يمكن إقرار كلمة، داخل البنية المعنية، على معناها غير العامل في (عن) ولا في مكونات جملة لم تدخل عليها (عن) كما في (57، د)، أو تجريد تلك الكلمة من معناها الوضعي لشحنها بمعنى كلمة أخرى عاملة في (عن) وما تدخل عليه، (57، ج). فأصبحت هذه الكلمة، بمعنيها الوضعي (د) والتضمني (ج)، عبارة عن «مدخلين معجميين من قبيل المشترك اللفظي» (57). وعلى ما قيل في الاختصار والتضمن أو عدمهما يحمل الاختلاف في التأويل هنا.

(57) (أ) أو تحلفي بهك العلي

إني أبو ذئلك الصبي

(ب) أما والله أن زيدا فاضل.

(ج) أقول أنك بالحياة ممّتع

وقد استبحت دم امرئٍ مُستسلم

(د) آئت قلت للناس إن زيدا يخون أمته.

من خلال المقارنة بين (أ) و(ب)، يظهر أن الناسخ (عن) الواقع بين القسم وجوابه يحتمل الكسر والفتح. لكنه بخلاف ذلك : إن الكسر في (أ) يفسره انقطاع جملة الجواب عاملياً عن جملة القسم (انظر : ب 4، ص. 18). أما الفتح في (ب)، فمحمول على إقرار في بنية هذه العبارة معنى لفظ مختصر أوله سيويه بقوله : «كأنك قلت : قد علمت والله أنه ذاهب» (58). بحيث تُكوّن الجملة (أن زيدا

(57) أفدته من مناظرة خاصة مع الدكتور أحمد المتوكل.

(58) سيويه، الكتاب، ج 1، ص. 462 ؛ انظر أيضاً ابن أبي الربيع، البسيط، ج 2، ص. 817 وما بعدها.

فاضل) معمول (علمت)، والمركب منهما يشكل جواب القسم الواقع بينهما. كأن الأصل : (قد علمت والله أن زيدا فاضل). وعليه يتأكد انقطاع جملة الجواب فكسر همزة الناسخ الداخل عليها، خلافاً لمن اعتبر من النحاة هذا الموضع للفتح والكسر، أو غلب فيه الفتح⁽⁵⁹⁾.

ولرود (قال) في الجملة (ج) بشروط⁽⁶⁰⁾ تُجرده من معناه الوضعي (الحكاية)، متضمناً معنى (ظن) جرى مجراه في العمل، وظهر أثر عمله في فتح الهمزة الداخلة على الجملة أو في مكوناتها إذا تجردت من الناسخ، كما في (فمتى تقول الدار تجمعنا). ولكونه في (د) محتفظاً بمعناه الوضعي، صارت جملة منجزة والمالية محكية. وهو شرط الانقطاع العاملي وكسر همزة الناسخ. كما تقدم في الجملة الائتلافية.

قد يتردد الناسخ، في الموضع الواحد، بين صورتيه : (إن) و(أن)، من غير أن يرتبط ذلك التغير في الصورة باختلاف في التأويل الدلالي. وإنما يتعلق أولاً بتغير يحدث في بنية الجملة، ترتب عنه اختلاف في المعنى أم لا. من هذا القبيل أن يصاغ المعنى الواحد على نحوين، كما في (58، أ، ب) ؛ وأن يتقلب مركب بين مقولتي الاسم والحرف من غير أن يفقد شيئاً من دلالاته، كما في (ج، د) ؛ وأن يحتفظ مركب بمقولته مع تقلبه بين دلالاته، كما في (هـ، و).

(58) (أ) منعت تميمًا منك أي أنا ابنها

وشاعرها المعروف عند المواسم

(59) نسب ابن مالك إلى الكوفيين أنهم غلبوا فتح همزة الناسخ الداخل على جملة جواب على القسم على الكسر (أنظر : شرح عمدة الحفاظ وعدة اللافظ، ص. 132). وجعل ابن السراج الفتح مذهب البغداديين، حيث نقل عن المبرد أنه كان يقول : «يقولون : والله أن زيدا مطلق، فيفتحون (أن)، وهو عندي القياس» (أنظر : الأصول، ج 1، ص. 279). وإليه نسب أيضاً الرضي أنه كان يميز مع الكوفيين الفتح (شرح الكافية، ج 2، ص. 352). لكن الثابت في المختضب وجوب الكسر ؛ قال : «أما (إن) فتكون صلة القسم» (المختضب، ج 4، ص. 107). وقد أجمل ابن أبي الربيع آراء النحاة حول صورة (إن) إذا كان في جواب القسم مرجحاً، بالشواهد، وجوب الكسر. وهو الصواب، لما سبق من أن الانقطاع هنا واجب لاختلاف الجملتين المتوالتين نوعاً، لأن جملة القسم إنشاء وجملة الجواب خبر.

(60) يجري (قال) مجرى (ظن) بأربعة شروط : 1) أن يكون فعلاً مضارعاً ؛ 2) أن يكون بقاء الخطاب ؛ 3) أن يقدم عليه أداة الاستفهام ؛ 4) ألا يفصل بينه وبين أداة الاستفهام بفواصل اجنبية ما لم يكن الفاصل ظرفاً أو مجروراً (أنظر : ابن عصفور الإشبيلي، شرح جمل الزجاجي، ج 1، ص. 462 ؛ وابن أبي الربيع، البسيط، ج 2، ص. 826 ؛ أنظر أيضاً : المبرد، المختضب، ج 2، ص. 348).

- (ب) فَعُضُّ الطرف إنك من نمير
فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
(ج) وكنت أرى زيداً كما قيل سيِّداً
إذا لَّيَّه عبد القفا وللهازم
(د) نظرت إلى السماء إذا أن طائراً تنفجر.
(هـ) عرف الناس أمورك حتى أنك تنجر في العرض.
(و) قال النحاة هذا الكلام حتى إن التلاميذ يقولونه.

تشارك الجملةتان (أ) و(ب) في معنى «التعليل»، تُقدَّر له في (أ) لام الإضافة التي تعمل الجر، فوجب الفتح. ولا تقدر له في (ب)، إذ من الوظائف الدلالية للجملة المنقطعة في وضع الائتلاف التعليل، وهو ما يوجب الكسر أو الإبقاء عليه. وإن احتفظت (إذا) بمعنى (المفاجأة) في (ج) و(د)؛ لكن تقلبها بين مقولتي الإسم والحرف⁽⁶¹⁾ جعلها في حالة الإسمية ظرفاً يضاف إلى الجمل فوجب فتح (عن) الواقع بينها وبين ما أضيفت إليه كما في (د) وتكون عندئذ مثل (مد، ومنذ، وحيث). لكنها في حالة كونها حرفاً غير عاملة فيجب الكسر. أما (حتى)، فكونها عاطفة في (هـ) أشركت المتعاطفين في حال النصب التركيبية وفي وظيفة المفعول النحوية؛ وكونها استثنائية في (و) دلت على انقطاع ما بعدها عما قبلها فوجب الكسر.

نخلص مما سبق، ومن مواضع ذكرها النحاة⁽⁶²⁾، إلى أن الناسخ (عن) لا يحتمل الفتح والكسر، وهو في موضع واحد معنى ومعنى أو دلالة وتركيباً: إذ العبارة، وإن كانت سطحاً شبيهاً واحداً، لكنها عمقاً مختلفة دلالة أو بنية. بأحد هذين الاختلافين يعلق تغاير الصور التي يظهر عليها (عن) الواقع ظاهراً في موضع واحد.

(61) انظر: ابن هشام، المعنى، ص. 92؛ وعبد الحائق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج 1، ص. 210.

(62) مما اعتبره نحاة موضعاً للفتح والكسر ذكر سيبويه (الكتاب، ج 1، ص. 462 و470) ونوع (عن) بين أما والجملة. ويعلق تغاير صورتها باختلاف المعنى كما سبق تحديده. وساق غيره مواضع أخرى بعضها نادر (انظر: الأشموني، شرح الألفية، ج 1، ص. 285-288؛ والمرادي، الجني الداني، ص. 410-416).

6 - إلحاق النظر

بالناسخ (عن) - فيما يعرب عنه الزوجان من صوره، (أن، ان) و(إن، أن) سيلحق، على التوالي، العصران (لكن) و(إنما). فيكون (لكن) مُعَرَّباً بصورته الثقيلة (لكن) عن الاختصاص بالإسم والعمل فيه ؛ وبصورته المخففة (لكن) يعرب عن عدم الاختصاص والإلغاء⁽⁶³⁾. أما العنصر (إنما)، فيُعَرَّب فتح همزته (إنما) أو كسرها (إنما) عن الانقطاع أو الربط العملي كما لو كان (عن)⁽⁶⁴⁾. وبذلك تلحق صورتها كلا العنصرين (لكن، وإنما) بالنظر الذي يظهر عليه الناسخ (عن).

في مجموعة الجمل (59) يُعَرَّب تثقيلاً (لكن) في (أ) عن لزوم اقترانه بالإسم وعمله فيه. ويعرب تخفيفه في (ب، ج) عن إمكان اقترانه بالإسم أو الفعل من غير أن يعمل في أي منهما :

- (59) (أ) ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾ [2 : 38].
 (ب) ﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [38 : 19].
 (ج) ﴿وَلَكِنَّ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [117 : 3].

أما العنصر (إنما) فهو قسمان :

- 1) بسيط يتميز بخاصية «الحصر» الدلالية⁽⁶⁵⁾، ويكونه مهملاً لعدم اختصاصه بأحد القبيلين، الإسم أو الفعل، كما يتضح في (أ) و(ب) من مجموعة الجمل (60).

(63) عبر النحاة عن التناظر بين (أن) و(لكن). وبين (أن) و(لكن) في الصورة اللفظية المعربة عن الخاصية التركيبية المذكورة، فقد المبرد : «لكن بمنزلة (أن) في تخفيفها وتثقيلها في النصب والرفع وما يختار فيهما، ومنه قول سيبويه : «(إن) بمنزلة لكن» (انظر : المقضب، ج 1، ص. 189 ؛ والكتاب، ج 1، ص. 481). وقد ذكر ابن عيش وجهاً آخر للتناظر القائم بينهما يتمثل في محافظة المخفف (ان) و(لكن) على خاصيتها الدلالية : التوكيد الكائن في (أن) والاستدراك في (لكن) (انظر : شرح المفصل، ج 8، ص. 80، 81).

(64) يقول سيبويه، في اتحاد إعراب صورة همزة في العنصرين : «كل موضع تقع فيه (أن) تقع فيه (إنما) ... والموضع الذي يجوز فيه (إن)، (إنما) فيه مبتدأة» (الكتاب، ج 1، ص. 465).

(65) فيما يتعلق بمميزات خاصية الحصر الدلالية للعنصر (إنما)، انظر : محمد الأوراعي، اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم، ص. 246 و270-274، وكذلك ما أحيل عليه هناك.

(2) مركب من (ان) الناسخ المحتفظ بخاصيته الدلالية التأكيد، ومن (ما) الكافة⁽⁶⁶⁾ التي تلغي عمل (ان)، فتدخل (إنما) على جملة صدر إسناده اسم أو فعل، كما في (ج) و(د) ؛ أو منها ومن (ما) : الموصول الاسم أو الحرف المصدرى. وفي هذه الحالة يكون الناسخ عاملاً فيما اقترن به كما يتضح من (هـ) و(ز).

- (60) (أ) ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [2 : 11].
 (ب) ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [28 : 35].
 (ج) ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [2 : 275].
 (د) ﴿إِنَّمَا نُكَلِّمُ لَهُمْ لِيَزِدُوا إِلَيْنَا﴾ [3 : 178].
 (هـ) ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ [5 : 51].
 (و) ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [95 : 19].

(إنما) في مجموعة الجمل (60)، كانت عنصراً بسيطاً للحصر أو مركباً للتوكيد، يعرب كسر الهمزة منها عن انقطاع الجملة التي دخلت عليها لتوكيد محتواها أو لقصر بعض مكوناتها على بعض. ويعرب فتح همزتها في (61) عن تعلق جملتها بعامل سابق عليها.

- (61) (أ) ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [49 : 5].
 (ب) ﴿لَا جَزْمَ لَنَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا﴾ [43 : 40].
 (ج) ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [108 : 21].

انفتحت همزة (أنما) المركبة من (أن) و(ما) الكافة في (أ) للدلالة على أن مؤكداً معمول بالفعل (علم). حاله التركيبية النصب ووظيفته النحوية المفعولية. وهي في (ب) مركبة مع (ما) الموصولة. فتح همزتها يفصح عن كون حيزها معمولاً حاله التركيبية الرفع، ووظيفته النحوية الفاعلية⁽⁶⁷⁾. وفي (ج) يُعَرَّبُ كسر (إنما) (66) حيث يتحدث نحاة عن الناسخ، اكتفوا بذكر قسم المركب من (ان) و(ما) الكافة والموصولة، وإن أفادت بعض أمثلتهم كون (أنما) من قسم بسيط. انظر على سبيل المثال : ابن مالك، عمدة الحافظ، ص. 134.

(67) للنحاة في (لَا جَزْمَ) وما يراكمها أكثر من رأي. انظر مختلف التأويلات في : سيبويه، الكتاب، ج 1، ص. 469 ؛ والمبدع، المقضب، ج 1، ص. 350.

الأولى عن انقطاع جملتها لاختلاف هذه من حيث النوع عن (قل) المتقدمة عليها، وظيفتها الدلالية تفسر منصوب (قال) المختزل لدلالة فعله عليه. أما الثانية (أثماً)، فَيُعْرَبُ فَتَحْ هزتها عن كون الجملة حَيِّزَهَا متعلقةً عاملياً بالفعل (أوحى) المبني للمفعول، حالها التركيبية الرَّفْعُ وَوُظِفَتْهَا النَحْوِيَّةُ المفعولية. وهما معاً (إنما، أنما) في العبارة (ج) من قبيل العنصر البسيط: الأولى لقصر فعل الوحي وما يتعلق به على الموحى إليه، والثانية لقصر الوجدانية على الله جل جلاله (68).

7 - خلاصة

يُسْتَخْلَصُ من هذه الدراسة كَوْنُ الجملة لا تخرج عن أحد الاحتمالين :

(1) جملة منقطعة عاملياً فلا تكون لها حال تركيبية ولا وظيفة نحوية. وهي عندئذ إما افتتاحية أو استئنافية، لا ترتبط أيضاً دلاليّاً بغيرها، وإما اثلافية، بعلاقة دلالية تؤسس مع غيرها خطاباً، فلا تكون لها وظيفة دلالية، أو تُصَوَّبُ المؤسّسة فتكون لها وظيفة دلالية كالتفسير أو التعليل أو التوجيه. إذا دخل على المنقطعة، في أي من الحالات المسرودة، الناسخ (عن) أو نظيره (إنما) من أجل التأكيد أو الحصر وجب كسر هزتها للإعراب عن ذلك الانقطاع وتشخيصه.

(2) جملة معمولة: يتسلط عليها أثر عامل مباشرة أو عن طريق التبعية. وفي كلتا الحالتين، تتلقى حالاً تركيبية ووظيفة نحوية كما لو كانت كلمة مفردة داخل جملة. أما أحوالها ووظائفها، فتحدد استناداً إلى «علاقاتها التركيبية والدلالية». إذا دخل الناسخ (عن) أو نظيره (إنما) على الجملة المعمولة مباشرة أو عن طريق التبعية من جهة العطف أو النعت أو البدل والبيان، وجب فتح هزتها إعراباً عن الارتباط العامل. إلا إذا وُجِدَ مَعْلَقٌ، أُبْقِيَ على الكسر. وإذا صَحَّ ما ثبت هنا، صار بالإمكان أن يُعالج من جديد ما جاء في مغني ابن هشام حول أحكام الجمل، وفي دلائل الجرجاني حول الفصل والوصل.

الناسخ - بنوعه : الحرفي والفعل - من عناصر توجيه الجملة التي تُكوّن صدورها الداخلة عليها، وليست من عناصر تكوينها المنتظمة بعلاقة الإسناد التركيبية ماعدا «أفعال الاعتقاد» نحو (علم، وظن) التي تكون مع مرفوعها صنفاً مستقلاً

(68) للمزيد من التفصيل، انظر : ابن هشام، المغني، ص. 39 ؛ والزعرري، الكشف، ج 3، ص. 139.

يمكن تخصيصه باسم «الناسخ الجملي». تشترك عناصر النواسخ الثلاثة، الفعلي والحرفي والجملي، في خاصيتين عامتين : إحداهما دلالية، تتمثل في «تزمين» الجملة بفعل ناقص يلحقها وفي «توجيهها بناسخ حرفي أو فعل اعتقادي ؛ والثانية تركيبية، تتمثل في نسخ الإعراب الأصلي للمركب الذي يختص كل صنف بموافقه، بحيث يكون الأثر الذي يتلقاه القابل (فتح المبتدأ فقط، أو الخبر فقط، أو فتحهما معاً) إعراباً عن نوع الجهة التي صارت إليها الجملة، ويكون عنصر بعينه من الناسخ العامل مُعَيَّناً لتلك الجهة. بتينكم الخاصيتين ليس الناسخ - أيا كان صنفه - رابطاً قضيئاً، لأن الربط في نمط اللغة العربية يحصل بالرفع المسند إلى مكوفي الجملة.

المراجع

- ابن أبي الربيع، البسيط في شرح جمل الزجاجي، تحقيق الدكتور عياد بن عيد الشيبتي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1407.
- ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، دار الكتب، 1371 هـ.
- ، اللمع في العربية، تحقيق محمد حسين شرف، الكويت، عالم الكتب، 1399 هـ.
- ، المنصف، الطبعة الأولى، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، 1373 هـ.
- ، المحاسب، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرون، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1386 هـ.
- ابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، بغداد، مطبعة الأعظمي، 1393 هـ.
- ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، تحقيق صاحب أبو جناح، القاهرة، 1971.
- ابن فارس، الصحاحي، تحقيق أحمد صقر، القاهرة، البابي الحلبي، 1977.
- ابن مالك، التسهيل، تحقيق محمد كامل بركات، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1388 هـ.
- ، شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، حققه عبد المنعم أحمد، القاهرة، مطبعة الأمانة، 1975.
- ابن الناظم أبو عبد الله محمد، شرح ألفية ابن مالك، تحقيق عبد الحميد السيد، بيروت، دار الجيل، دون تاريخ.
- ابن هشام، مغني اللبيب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي، دمشق، دار الفكر، 1384 هـ.
- ابن يعيش، شرح المفصل، بيروت، عالم الكتب، دون تاريخ.
- أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي، بغداد، مطبعة العاني، 1397 هـ.

الأشموني، علي بن محمد، شرح ألفية ابن مالك، بيروت، دار الفكر، دون تاريخ.
الأنباري، أبو بكر، إيضاح الوقف والابتداء، تحقيق محيي الدين رمضان، دمشق،
1391 هـ.

الأنباري، أبو بكرات، أسرار العربية، تحقيق محمد البيطار، دمشق، 1377 هـ.
— ، الإعراب في جدل الإعراب وملح الأدلة، تحقيق سعيد الأفغاني، دمشق.
الأوراعي، محمد، اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم، الرباط، دار الكلام،
1990.

الجرجاني، دلائل الإعجاز، القاهرة، الخانجي، 1404 هـ.

الرضي، نجم الدين، شرح الكافية في النحو، تركيا، 1310 هـ.

الزخشري، المفصل في علم العربية، القاهرة، مطبع مجازي، دون تاريخ.
— ، الكشف، الطبعة الأولى، تحقيق مصطفى حسين، القاهرة، 1365 هـ.
سيبويه، الكتاب، بغداد، مكتبة المثنى عن بولاق، 1316 هـ.

السيوطي، الأشباه والنظائر، تحقيق عبد الإله نبهان، دمشق، 1406 هـ.
عضيمة، عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، القاهرة، دار الحديث،
1392 هـ.

الفارسي، أبو علي، الإيضاح العضدي، القاهرة، دار التأليف، 1389 هـ.
المبرد، المقتضب، تحقيق عبد الخالق عضيمة، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي.
المتوكل، أحمد، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، الدار البيضاء، دار الثقافة،
1406 هـ.

— ، من قضايا الرباط في اللغة العربية، الرباط، عكاظ، 1978.

— ، الوظيفة والبنية، الرباط، عكاظ، 1993.

المرادي، بدر الدين، الجنى الدالي، حلب، 1393 هـ.

التواجد الألماني بالجنوب المغربي

في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين^(٥)

عمر أفا

كلية الآداب - الرباط

حينما يبحث المؤرخ عن إقامة تصور لإحدى فترات الماضي، لابد من أن يفعل ذلك بحثا عن هدف بعينه.

فأي هدف يمكن الوصول إليه من وراء معرفتنا التاريخية بخصوص التصور المتبادل بين المغاربة والألمان في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؟ ذلك ما يمكن استجلاؤه من دراسة وضعية التواجد الألماني في الجنوب المغربي خلال الفترة المذكورة، انطلاقا من المحاور التالية.

- الإطار العام للعلاقات الألمانية المغربية.
- الاهتمام الألماني بالجنوب المغربي.
- أشكال التواجد الألماني في سوس والجنوب المغربي
- أي تصور متبادل؟ وأي هدف؟

I - الإطار العام للعلاقات المغربية الألمانية

إن التطلع الأول لأحد الرحالين الألمان نحو الجنوب المغربي يعود إلى القرن السادس عشر، حينما استقر هذا الرحالة بميناء أكادير وهو في طريقه إلى البرازيل سنة

(٥) قدم هذا البحث مساهمة في ندوة «المغاربة والألمان : التصور المتبادل» التي نظمت بتعاون بين كلية الآداب بالرباط وكلية الآداب، جامعة باساو بألمانيا بتاريخ 10-12 نوفمبر 1993، وتصدر أعمال هذه الندوة مترجمة إلى الفرنسية والألمانية ضمن منشورات كلية الآداب بالرباط.

1547، فلاحظ بجانب شاطئ أكادير بحارين من قشتالة، كما لاحظ سُفناً راسية مملوءة بالسكر واللوز والتمر وجلد الماعز والصمغ⁽¹⁾.

كان هذا مجرد تطلع أولي إلى هذه الجهات. غير أن الاهتمام الألماني بالمغرب عموماً لم يبدأ إلا بعد قيام الوحدة الألمانية، وصادف ذلك عهد السلطان مولاي الحسن (1873-1894)، حيث بلغ التنافس الأجنبي على المغرب أوجه.

وفي إطار السياسة العالمية الجديدة الرامية لاستعمار مناطق من العالم طالب كيوم الثاني (Guillaume II) بنصيب ألمانيا من الممتلكات والنفوذ، وبالاخصيص في تركيا والصين والمغرب⁽²⁾.

وفي سنة 1873، عينت ألمانيا - ولأول مرة - ممثلاً لها بالمغرب، لكنها بقيت عدة سنوات قبل أن تترجم إرادتها على الصعيد العالمي، وذلك حينما ساند بيسمارك (Bismarck) السياسة الفرنسية في مؤتمر مدريد 1880 تجاه بريطانيا وإسبانيا وإيطاليا، وبذلك دخلت ألمانيا حلبة التنافس الدولي من بابها الواسع⁽³⁾.

وابتداء من سنة 1885، شرعت في مفاوضات مع المغرب لعقد معاهدة تجارية، فظهر للسلطان مولاي الحسن أن يتخذ من ألمانيا حليفاً جديداً للاستفادة من التنافس الدولي، ووضع أمام العلماء والتجار والأعيان استشارة - بشأن هذه المعاهدة - قصد تسريح بيع الحبوب للنصارى⁽⁴⁾، فكان الجواب سلبياً وتعثرت المفاوضات. ومع ذلك، وقع التقارب بين المخزن وألمانيا فدخلت علاقتهما في إطار «الصدافة الجرمانية المغربية» التي امتدت - كما يؤكد جرمان عياش - إلى وفاة مولاي الحسن سنة 1894. وطوال هذه المدة، ظهرت الحكومة المغربية بمظهر المتعاطف مع ألمانيا على حساب فرنسا وبريطانيا. ويتجلى ذلك في إقدام المخزن على

Les sources inédites de l'histoire du Maroc (S.I.H.M.), 1ère série, Dynastie Saâdienne, (1) T. IV, Portugal, 1951. p. 212.

(2) الخديمي علال. - أزمة أكادير، 1911، والعلاقات الألمانية المغربية. ندوة أكادير الكبرى، المحور التاريخي، منشورات كلية الآداب بأكادير، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1990، ص. 125.

(3) Ayache, Germain. - Etudes d'histoire Marocaine — SMER, Rabat, 1979, p. 231.

(4) أفا عمر. - «الاستشارات السلطانية في مجال الإصلاحات بالمغرب في القرن التاسع عشر»، مجلة كلية الآداب، الرباط، عدد 16، 1991، ص. 57-61؛ وانظر كذلك : ابن زيدان، «الانحاف»، ج 2، ص. 389، 394.

افتداء سبعة تجار ألمان وقع أسرهم من طرف قبائل الشكنة الصحراوية بسواحل الجنوب المغربي، وكانوا تحت غطاء النشاط الجغرافي وممارسة التهريب وجمع المعلومات عن منطقة الجنوب. ومهما يكن، فقد سارع المخزن إلى عقد صفقات تجارية مع معامل السلاح الألمانية، كروب (Krupp)، ومنها استورد المدفعية الثقيلة، فأصبح المغرب بذلك زبوناً للصناعة الألمانية، كما استقدم مهندسين معماريين لبناء أبراج حربية في كل من الرباط والصويرة. ومنذ سنة 1888 أصبحت ألمانيا دولة تقدم المساندة الدبلوماسية والمشورة للمغرب في الخلافات الحاصلة مع الدول الأجنبية، وضمنها فض النزاع القائم بين المغرب والولايات المتحدة⁽⁵⁾.

وعلى أثر ذلك، نشط تبادل السفارات بين ألمانيا والمغرب. وفي إطارها تمت سفارة القائد عبد السلام برشيد واستقباله بألمانيا، مما أثار القلق في الصحف الفرنسية والبريطانية⁽⁶⁾؛ وعينت ألمانيا سفيرها بالمغرب، طاطنباخ (Tattenbach)، سنة 1890، لمتابعة التفاوض مع المغرب بشأن المعاهدة التجارية التي وقع الاتفاق بشأنها في فاتح يونيو 1890 ووقعها كل من الوزير محمد المفضل غريط عن الجانب المغربي، وطاطنباخ المفاوض الألماني. وكان من أهم بنودها تلك التي تتعلق بالتسهيلات التجارية وخاصة تصدير الحبوب⁽⁷⁾. غير أن هذه المعاهدة لم تدخل حيز التنفيذ إلا بعد الاعتراف الرسمي من قبل السلطان في 28 مارس 1891.

ومن هذا التاريخ أصبحت الصداقة الألمانية قطب الرحى في العلاقات الخارجية خاصة. وقد اشتدت المنافسة الأجنبية على المغرب، فقامت بريطانيا بتقديم مطالب مجحفة للسلطان، كما رفع سفيرها بفاس العلم البريطاني، مما هيج السكان. وشتت إسبانيا بدورها حملة مسعورة على سكان مليلية سنة 1893.

وبمجرد موت السلطان مولاي الحسن سنة 1894، ونتيجة لاضطراب الأوضاع الداخلية بالمغرب، دخلت العلاقات الألمانية في أزمة دامت ما بين سنوات 1894 و1897 وكانت مادة هذه الأزمة تتعلق بالحوادث التي أدت إلى مقتل بعض الرعايا الألمان أمثال فرانز نيومان (Franz Neuman) الذي وُجد ميتاً بالدار البيضاء بعد

(5) Ayache, G. — Etudes... op. cit. p. 235

(6) Ayache, G. — Ibid, p. 336

(7) «معاهدة فاتح يونيو 1890 بين المغرب وألمانيا»، العلم الثقافي، العدد 761، بتاريخ فبراير 1992،

ص. 3 و 6 (تقديم عبد العزيز التسماني).

تصرفاته العنيفة مع السكان، وتجاوزاته لأوامر المخزن، وكذا مقتل روكستروه (Rockstroh) ومهاجمة السفينة الهولندية وما تلا ذلك من مفاوضات. وازدادت حدة هذه الأزمة بسبب سلسلة من الاستفزازات من قبل السفير الألماني طابنباخ. وقد تكبد المخزن من أجل ذلك كله غرامات باهظة⁽⁸⁾.

ولم تنته الأزمة وتسترجع ألمانيا هذه الصداقة مؤقتا إلا في سنة 1905، عندما ألقى كُيُوم الثاني خطابه بطنجة معلنا بأن سلطان المغرب يتمتع بسيادة كاملة. وقد كانت ألمانيا مدفوعة إلى اتخاذ هذا الموقف على أثر السياسة الفرنسية المبنية على مجموعة من الاتفاقات، منها: الاتفاقان المبرمان مع المغرب سنتي 1901 و1902 والاتفاقات التصفية لإبعاد الدول الأجنبية المتنافسة على احتلال المغرب، وخاصة الاتفاق مع إيطاليا سنة 1902 والاتفاق الودي مع كل من بريطانيا وإسبانيا 1904⁽⁹⁾ مما أرغم الدولة الألمانية على دعوة فرنسا للدخول في مسلسل الاتفاقيات ابتداء من 9 فبراير سنة 1909 كبداية لانتهاء النفوذ الألماني في المغرب وتصفية الحسابات لصالح فرنسا⁽¹⁰⁾.

II - الاهتمام الألماني بالجنوب المغربي

على أثر توقيع المعاهدة الألمانية المغربية سنة 1890، تزايدت المعاملات الألمانية على المستويين التجاري والدبلوماسي في المغرب. وبالرغم من قلة عدد الألمان في المغرب بالمقارنة مع عدد بقية الأجناس الأخرى، فإن الجالية الألمانية كانت نموذجاً في النشاط والحركة والنجاح السريع: إذ سرعان ما اكتسح نشاط المؤسسات التجارية الألمانية مجموع المناطق المغربية⁽¹¹⁾ تساعدها شبكة قنصلية ومصلحة بريدية فاقت مثيلاتها الفرنسية والإنجليزية والإسبانية.

وإذا كان الألمان يتواجدون في مختلف المناطق المغربية، فإن تركيز الاهتمام على سوس بالذات تزايد لديهم بعد خطاب طنجة ومؤتمر الجزيرة. ومن دون شك، فإن

(8) Ayache, G., Etudes, op. cit, pp 255-283

(9) الحديدي علال. - التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب (1894-1910) حادثة الدار البيضاء

واحلال الشاوية، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991، ص. 47-48.

(10) الحديدي علال. - أزمة أكادير (م.س)، 1، ص. 128.

(11) الحديدي علال. - التدخل الأجنبي (م.س)، ص. 56

تزايد الاهتمام بالجنوب من قبل الألمان جاء نتيجة مجموعة من الدوافع على رأسها :

1 - أن ألمانيا تحاشي الدخول المباشر في صراع مع الدول الأجنبية المتنافسة. فنتيجة التواجد البريطاني والإسباني في شمال المغرب والتواجد الفرنسي على الحدود الشرقية وتوات، يكوّن سوس منطقة ملائمة لممارسة النفوذ بالرغم من تواجد بعض الشركات على سواحله.

2 - أن منطقة الجنوب (ما وراء خط الصويرة ومراكش إلى مجرى درعة جنوبا عبر سوس والأطلس الصغير) تُعتَبَر غنيّة بمنتوجاتها المحلية وبجبالا للاكتشافات المعدنية⁽¹²⁾ بالإضافة إلى كونها سوقا لاستهلاك البضائع وإعادة تسويقها.

3 - وجود زعامات محلية يمكن الاعتماد عليها في ضمان أمن المستوطنين الألمان، تتمثل خاصة في قواد المنطقة الجنوبية عموما والباحين بصفة خاصة. ولذلك كله، أصبحت لألمانيا سياسة خاصة نحو سوس بالذات⁽¹³⁾.

وسائل التسرب إلى الجنوب المغربي وضمان أمن المستوطنين

اعتمد الألمان على شبكة التجار المخالطين والسماسة وعلى بعض المغامرين الذين يخترقون المنطقة من حين لآخر. ولكنهم استفادوا أيضا من علاقاتهم الوطيدة مع الزعامات المحلية المناهضة للسياسة الفرنسية، ومن بينها : القواد الباحيون، وأسرة ماء العينين وبالحصوص أحمد الهيبة، وكذلك بعض قواد منطقة سوس.

فبخصوص الباحين، فقد استطاع الألمان أن يربطوا صلتهم بالقواد الكلّولين بالصويرة وحاجة منذ مطلع القرن العشرين، وبالحصوص منهم القائد سعيد الكلّولي وابنه القائد مبارك ومن بعده أخيه عبد الرحمان وكذلك القائد محمد أنفلوس. ويضاف إلى هؤلاء القواد مجموعة من التجار المقيمين بالصويرة أمثال بوشعيب الصويري وغيره من العملاء⁽¹⁴⁾.

كان الألمان يقدّمون هؤلاء الحماية والدعم المالي والأسلحة، فأصبحت بلاد

(12) أفا عمر. - مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (سوس 1822-1906)، منشورات كلية الآداب بأكادير، مطبعة التجار الجديدة، الدار البيضاء، 1988، ص 288-304.

(13) السوسي محمد المختار. - المعسول، مطبعة التجار، الدار البيضاء، 1962، ج 15، ص. 233

(14) السوسي محمد المختار. - المعسول (م.م)، ج 4، ص. 104، ج 14، ص. 159، ج 15 ص. 233.

حاجة عبارة عن جسر يصل بين الصويرة وسوس. وقد مرَّ من خلاله العديد من الخيَّاء السُّريين ورجال التجارة والأعمال الألمانيين، وانتشروا في سوس بالمنطقة الممتدة من نواحي أكادير إلى تارودانت⁽¹⁵⁾.

أمَّا بخصوص أبناء الشيخ ماء العينين - الذين قاوموا الفرنسيين بالصحرَاء ثم هاجروا إلى مدينة تنزيت بسبب الإضطهاد الفرنسي - فإن ألمانيا قد استفادت من هذا الصراع، حيث انتدبت القائد مبارك الكُلُولي للقيام بربط العلاقة بين آل الشيخ والدولة الألمانية. ويعتقد المختار السوسي أن جميع التحركات التي قامت بها المقاومة الجهادية لآل ماء العينين ضد الفرنسيين، ولا سيما ثورة أحمد الهيبية، كان للألمان - بتنسيق مع القواد الحاحيين - دور في تشجيعها⁽¹⁶⁾.

ونظرا لصلة الحاحيين بقواد سوس المحليين أمثال قائد تارودانت المشهور «الكاتب»، فقد وجد الألمان بسوس حماية تكفل لهم أن يجوبوا أرجاء المنطقة أثناء قيامهم بشراء الأراضي والاشتغال بالبحث والتنقيب عن المعادن.

III - أشكال التواجد الألماني في سوس والجنوب المغربي

يمكن تصنيف أشكال التواجد الألماني في منطقة سوس، تبعا لمهام المستوطنين الألمان بهذه المنطقة، إلى أربعة أقسام.

1 - التواجد الاستطلاعي :

فبالرغم من أن هذا النوع من التواجد يعتبر خفيا بسبب سرية وكوننا لا نملك وثائق تتحدث عنه، فإنه أقدم أشكال التواجد، وهو شكل عام يشمل كل الأنواع الأخرى.

ويذكر المختار السوسي في معرض حديثه عن التواجد الألماني بسوس أن «الجواسيس التجاريين والسياسيين كانوا يستخفون كثيرا لاستطلاع شؤون المغرب في جميع أرجائه»⁽¹⁷⁾.

(15) أفا عمر. - «الأبعاد التاريخية لاقتصاد أكادير»، أعمال ندوة أكادير الكبرى (المحور التاريخي)، منشورات كلية الآداب بأكادير، 1990، ص. 216.

(16) السوسي محمد المختار. - المعسول (م.س)، ج 15، ص. 1233 ج 4، ص. 104.

(17) السوسي محمد المختار. - المعسول (م.س)، ج 14، ص. 159.

ويؤكد جرمان عياش، وهو يتحدث عن سبعة من الألمان تم أسرهم من طرف قبائل ثكنة الصحراوية، أن هؤلاء «كانوا تحت غطاء النشاط الجغرافي وكانوا يتعاطون التهريب، ولا شك أنهم أيضا كانوا يتعاطون شيئا من الجاسوسية»⁽¹⁸⁾ وكان الألمان يتسربون إلى سوس ويستقرون كطلبة للعلم في المدارس العتيقة⁽¹⁹⁾. وحسب الرواية الشفوية، فإنهم ينكبون على حفظ القرآن والمتون ويتفوقون في ذلك، وكان الناس يلقبونها بـ«البرصان» فيخلطون بين البرص كمرض جلدي وبروسيا الاسم القديم لألمانيا، إذ كان أولئك الألمان - حسب هذه الرواية - يتصفون بأنهم شقر البشرة والشعر زرق العيون، ولهم اهتمام وعناية باللباس⁽²⁰⁾ ويدعون أنهم من الجزائر⁽²¹⁾ وغالبا ما تكشف هويتهم. وإذا تم ذلك، فإنهم يسلمون للقواد المحليين كما سنذكر ذلك.

2 - التواجد التجاري :

فالتواجد التجاري لألمانيا بالمغرب كان متواضعا بحيث لا يبلغ عند إبرام معاهدة 1890 التجارية مع المغرب سوى 2,9 في المائة، بينما قفز إلى 10 في المائة سنة 1905⁽²²⁾ فقد نشطت المؤسسات التجارية الألمانية وتوسعت بسرعة، وخاصة نحو الجنوب المغربي وسوس، حيث أصبحت منافسا خطيرا للتجارة الإنجليزية والفرنسية. يدفع إلى هذا الاتجاه الحوافز الرأسمالية لرجال المال والأعمال الألمان وموقف الرأي العام الوطني الذي يسعى لإعطاء مكانة لائقة لألمانيا في مجال السياسة الخارجية كمنافس للدول الكبرى.

وهكذا كان الألمان يحتكرون 70 في المائة من النشاط التجاري في مراكش والحوز، وربطوا علاقات متينة مع تجار سوس، حيث يشترون المنتوجات المحلية كما يوفرون للسكان المنتجات المستوردة التي يحتاجونها وتتوافر فيها الشروط التي يطلبها المستهلكون⁽²³⁾. وعن طريق محور مراكش ومحور الصويرة، تسربت التجارة الألمانية إلى سوس كمزاحم للتجارة الإنجليزية والفرنسية والإسبانية.

(18) Ayache, G. — Etudes, op. cit., p. 235.

(19) شاع أن بعض الألمان كانوا يدرسون في مدرسة أنكارفا قرب سوق السبت بأيت باعمران (من رواية شفوية للأستاذ جهادي الحسين الباعمراني سنة 1993).

(20) رواية شفوية من الأستاذ مرادي عبد الحميد الباعمراني (ت 1983).

(21) السوسي محمد المختار. — المصقول (م.ص)، ج 14، ص. 159.

(22) أنا عمر. — تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر. (دروس جامعية سنة 1992)، ص. 27.

(23) الحديدي غلال. — التدخل الأجنبي (م.ص)، ص. 56.

وفي هذا الصدد، فقد حاولنا من خلال بقايا البضائع الأجنبية التي كانت متداولة في سوس أن نكشف في الذاكرة السوسية عن آثار هذا التواجد التجاري من خلال بعض الأسماء التي ما تزال تتردد في كلام الناس، فاكثفينا بأسماء رمزية للدلالة على نوع السلع التي كانت شائعة: فقد شاع استعمال «تينكليت» بمعنى الإنجليزية، والمقصود بها هو «البندقية الإنجليزية» دلالة على انتشار بيع الأسلحة من قبل الإنجليز، وشاع استعمال «تالمانت» بمعنى الألمانية، والمقصود بها نوع من الصحن الحديدية المطلية بالطين وكانت مستعملة بكثرة في هذه المنطقة دلالة على وجود تجارة المصنوعات الألمانية بها، واستعملت كلمة «مالقة» لطاجين الفخار دلالة على تجارة إسبانية من مدينة مالكا. أما الكلمات الدالة على التواجد التجاري الفرنسي، فكثيرة وتوصف باسم «تاروميت» أي الرومية. ولا تزال آثار هذا التواجد التجاري مسجلة في الذاكرة في هذه الجهات.

3 - التواجد الألماني في مجال الاستكشافات المعدنية في سوس :

كان للغزوات المنجمية في المغرب جاذبية كبيرة بالنسبة للمؤسسات الرأسمالية الأوربية، وكان التنافس حادا لاكتشافها والحصول على امتياز استغلالها، وكانت المنافسة بالخصوص بين المؤسسات الفرنسية والألمانية، وكان المخزن يمانع في إعطاء هذه الامتيازات خوفا من تفويت خيرات البلاد للأجانب.

وقد تمكنت الدول الأوربية المتنافسة في مؤتمر الجزيرة من الاتفاق على مطالبة المخزن بإصدار ظهير يعطي الامتياز لاستغلال المناجم ومقاطع الأحجار اعتمادا على التشريعات الأجنبية المماثلة. ونتيجة اغتناء منطقة سوس وجبال الأطلس الصغير بالغزوة المنجمية⁽²⁴⁾ ومنذ سنة 1909، برزت في هذه المنطقة شركة «نقابة المناجم المغربية» التي أسسها الإخوان مانيسمان (Mannesmann) وهي شركة ذات الأغلبية الألمانية⁽²⁵⁾. وكانت ألمانيا تتوغل في سوس وجبال الأطلس الصغير عن طريق هذه الشركة، وكانت تشتري الأراضي في الجهة الممتدة من أكادير إلى ضواحي تارودانت بقصد التنقيب فيها عن المعادن⁽²⁶⁾. وقد تتبعنا، عن طريق الرواية الشفوية، آثار هذه

(24) أفا عمر. - مسألة النقود (م.س)، ص ص. 288-304

(25) Guenane, Djamel, Les relations franco-allemandes et les affaires marocaines de 1901-

1911, Alger, 1975, pp. 174-176

(26) أفا عمر. - «الأبعاد التاريخية لاقتصاد أكادير» (م.س)، ص. 216؛ وانظر أيضا : المعسول، ج 14، ص. 159، ج 15، ص. 233.

الشركة فكان الناس يذكرون أن الفقيه محمد بن أحمد من عائلة الدراخ كان من طلبة فاس. ولما تولى نظارة أحباس تارودانت، كان يكتب العقود التي تضمنت بيع الأراضي لهذه الشركة⁽²⁷⁾. ورغبة في إيجاد النقود اللازمة لشراء هذه الأراضي، فإن هذه الشركة أسست «ماكينه» لضرب النقود المغربية على سبيل التزوير بقلعة القصبية بتارودانت، بعد أن أحضروا آلة تقلد نموذج النقود المغربية المضروبة بألمانيا في العهد العزيري، واستغلوا تلك النقود في شراء كثير من الأراضي⁽²⁸⁾. وما يزال الناس يتحدثون عن هذه الشركة، وكان أفرادها تحت رعاية القائد الكبّاش المشهور بتارودانت. وكان أفراد هذه الشركة يجوبون أراضي سوس بين تارودانت وأكادير، وكانت تكتشف هويتهم ويتعرضون للأمر من طرف السكان، فيساقون إلى قواد المنطقة. ولدينا نماذج من هؤلاء في كتاب «المعسول»، نذكر من بينها الألماني الذي تم اعتقاله على يد القائد الكسيمي بإزنركان⁽²⁹⁾، وآخر على يد القائد علي الديلمي بهشتوك⁽³⁰⁾. وكان القواد الحاحيون يقومون - غالبا - بافتداء هؤلاء الأسرى لصالح الجالية الألمانية القاطنة بالصويرة.

4 - التواجد الدبلوماسي :

فبعد سلسلة من الاتفاقات التي أبرمتها فرنسا بهدف تصفية الحسابات مع كل من ألمانيا وإيطاليا بشأن احتلال المغرب، فإن ألمانيا ما تزال تقف في وجه فرنسا بالرغم من كونها عقدتا اتفاقا مشتركا (9 فبراير 1909) نظرا لأن هذا الاتفاق لم يقرر أي شيء فوري. ولذلك، فعندما قامت فرنسا بتنفيذ مشروع احتلال فاس في 12 يونيو 1911، تأزمت العلاقات الألمانية الفرنسية، وهيأت ألمانيا خطة تلحق بفرنسا ضربة دبلوماسية قاسية، ترغم الفرنسيين على دفع تعويضات هامة عن المصالح الاقتصادية الألمانية بالمغرب. ولما كان ميناء أكادير بالنسبة لألمانيا المنفذ الطبيعي لمنطقة سوس الغنية والتي يستوطنها العديد من رعاياها، فقد اختار كاتب الدولة في الخارجية الألمانية كيدرلن (Kiderlen) توجيه السفن الحربية لاحتلال أكادير

(27) رواية شفوية للأستاذ محمد نجمي الروداني سنة 1990؛ وانظر كذلك : السوسي محمد المختار. - محال جزولة، المطبعة المهدية، تطوان د.ت، ج 4، ص. 112.

(28) رواية شفوية من طرف الفقيه محمد هرامس الروداني رحمه الله (ت 1990).

(29) السوسي محمد المختار. - المعسول (م)، ج 14، ص. 159؛ ج 15، ص. 233.

(30) السوسي. - نفسه، ج 14، ص. 125؛ ج 15، ص. 233.

على أساس أن تغادرها عند الحصول على تعويضات ترضي الألمان. وقد مهد السبيل أمام هذه الخطوة بالاتصال مع قواد سوس وطمأنتهم بواسطة كل من القنصلية الألمانية بالصورة وعملاء الشركات الألمانية بالجنوب⁽³¹⁾.

وباسم الدفاع عن التجار الألمان وحماية مصالحهم بالجنوب، رست سفينة حرية ألمانية بميناء أكادير يوم 1 يوليوز 1911، بعد أن قدم السفير الألماني بباريز مذكرة إلى وزير الخارجية الفرنسية وإلى الدول الموقعة على ميثاق الجزيرة الخضراء، فبدأت بذلك أزمة أكادير الدبلوماسية التي كان لها أكبر الوقع في السياسة الأوروبية⁽³²⁾.

وقد طالبت المفاوضات بين ألمانيا وفرنسا لمدة أربعة أشهر، أسفرت عن اتفاق تعهدت ألمانيا بموجبه بعدم عرقلة الاحتلال الفرنسي للمغرب مقابل تعهد فرنسا بالاحتفاظ ببعض الامتيازات الاقتصادية الألمانية بالمغرب والتنازل لها عن جزء من المستعمرات الفرنسية بالكونغو.

لم يضع هذا الاتفاق حدًا للتواجد الألماني بالمغرب، وخاصة في جنوبه، حتى بعدما تم الاحتلال الفرنسي لهذه الجهات، حيث ما تزال العلاقات الألمانية السرية متواصلة، وخاصة مع أحمد الهبية وأخيه النعمة⁽³³⁾ (انظر الوثيقة في الملحق الأول مع

(31) الخديجي علال. - أزمة أكادير (م.س)، ص. 144

(32) لمزيد من التفاصيل انظر : Agadir, 1911, Paris, 1976. — Allain, J. Clawde.

(33) عفرنا على نسخة من رسالة كتبها أحمد الهبية إلى كل من سفيري ألمانيا وتركيا بمدير تعزز هذه العلاقة، نقرأ منها : «فقد وصلنا من سيادتكم الحاج عمر وبعدة ابراهيم التطاوي، والرسولان من العرايش»، وذلك عن طريق ميناء أركيسيس بأيت باعمران (الرسالة بتاريخ 1 محرم 1335 هـ 10-28-1916، وهي في حوزة القاضي ماء العينين بأكادير). وفي نفس التاريخ، زار ضابط ألماني واثنان من الأتراك مقر أحمد الهبية في كردوس قصد مساعدته ضد الفرنسيين، وقدموا له هدايا منها : السيف والمنظار المقرب، ولكنهم لاقتوا معارضة من أتباع الهبية، فغادروا البلاد خفية عن طريق شواطئ أركيسيس على يد أسرة الشيخ هو (رواية شفهية من الأستاذ جهادي الحسين سنة 1993) وتفيد رسالة أخرى بتاريخ 4-12-1916 أن ممثلين عن ألمانيا وتركيا نزلا بشواطئ أساكا وقد أرسلوا هدية خليفة الشيخ أحمد الهبية وأخيه الشيخ النعمة، وهي حسب عبارة الرسالة : «النيشان العثماني والجمانة (الساعة) من الذهب وكذلك المائة كارطة (ورقة نقدية) فرنسية قدر كل كارطة 50 فرنك وقدر الجميع 5000 فرنك». وعبر الشيخ النعمة في جواب هذه الرسالة عن فرح القبائل بقيام ألمانيا والدولة العثمانية الإسلامية بنصرة «سيدنا نصره الله (يعني الشيخ الهبية) وحماية للدين المحمدي»، حسب تعبيره (الرسالة وجوابها من خزنة القاضي ماء العينين المنوه به سابقا).

هذا البحث). وكانت فرنسا تراقب تحركات الألمان باهتمام زائد، مما جعلها تكشف عن مراسلة سرية مكتوبة إلى أحمد الهبية سنة 1917، وكانت تحمل طابع كل من سفيرى ألمانيا وتركيا بمدريد ويتعلق مضمونها بتهنئة أحمد الهبية بالانتصار على الجيش الفرنسي بقيادة حيدة ميس بأيث باعمران. ويعلنان فيها عن استعداد دولتهما لتقديم العون للمجاهدين لتحرير الوطن من الفرنسيين (انظر الوثيقة في الملحق الثاني مع هذا البحث)⁽³⁴⁾.

IV - أي تصور متبادل وأي هدف ؟

نقف بالأحداث عند هذا الحد لئلا نرى ما هو التصور المتبادل بين الألمان والمغاربة، بعد هذا التواجد الذي تعرفنا عن مختلف أطواره. فهناك مستويان للإجابة، هما المستوى العام والمستوى المحلي.

1 - على المستوى العام : فلئن كانت الصداقة الألمانية المغربية قد نشأت عن دعم حقيقي للمغرب لمناهضة بقية الدول الأوربية المتنافسة لاحتلاله، فإن هذا الدعم ظل في طي الكتمان عن الرأي العام المغربي بحيث لا يعرفه رجل الشارع، ولكن الرأي العام المغربي - على العكس من ذلك - يعرف ويدرك بمرارة نتائج المعاهدة التي أقرت تصدير الجيوب بشكل مستديم يؤدي إلى عدم وجود الاكتفاء الذاتي في هذه المادة مع ارتفاع في مختلف الأسعار، مما تعتبر ألمانيا - في نظره - مسؤولة عنه، وهو من أجل ذلك قلق تجاه موقف جميع الأوربيين الذين يستهدفون سيادة بلاده دون استثناء. ولا يمكن أن نصف قلقه بأنه تعصب ضدّ الأجنبي.

2 - على المستوى المحلي : يتحدث المختار السوسي عن وضعية سكان سوس تجاه الأجنبي في بداية القرن العشرين فيقول : «إن الناس في ذلك الوقت لم يألفوا أن يروا بينهم أي أجنبي كيفما كان»⁽³⁵⁾. وحينما اعتقل القائد علي الدليمي أحد التجار الألمان وقيده، كان كل من أقبل عليه من الزوار يسأله : «أين وضعت الفلوس ؟»⁽³⁶⁾.

(34) حصلنا على هذه الوثيقة من أرشيف وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية سنة 1981 : (Ministère des

affaires étrangères français (Dossier : Maroc 1917-1940, vol. 557).

(35) السوسي محمد المختار. - المصوّل، (م.ص)، ج 14، ص. 159.

(36) السوسي. - نفسه، ج 14، ص. 125، 159.

فكان لا يعرف ما يقال له. فصار هذا الألماني كلما رأى شخصا يقترب منه، يبادره بنفس العبارة : «أين وضعت الفلوس ؟». وهكذا، فالتصور المتبادل بين المغاربة والألمان، سواء على المستوى العام أم على المستوى المحلي، يعتبر غير واضح بتاتا، بل تعتبر الرؤيا بصده كاملة التعيم، وذلك لغياب الوضوح في المواقف ولغياب التكافؤ في التقدير والاعتبار.

وإنَّ كلَّ جواب من قبل البحث التاريخي على التساؤل المقدم في أول هذا الموضوع، لا ينبغي أن يكون تكرسا للماضي ونتائجه، بل عليه أن يعي الراهن لتلافي آثار الماضي وإقامة تصور متكافئ مبني على التقدير المتبادل، وعلى أساسه تتوطد علاقات جديدة بين البلدين.

الملحق الأول

(رسالة سفير ألمانيا ونائب تركيا بمدريد إلى أحمد الهبية)

ضبطت هذه الرسالة مع مخبر خاص في إحدى البواخر الموجهة إلى
مرسى العرايش قصد تسليمها لأحمد الهبية، وهي الآن محفوظة ضمن وثائق
وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية (كي دورساي)، ملف رقم : MAROC
1917-1940 Vol 557.

الحمد لله وحده

أسعد الله أوقات الشريف المعظم المحترم المجاهد في سبيل الله مولاي
أحمد هبية الله بن ماء العينين نصركم الله على أعدائكم وسلام عليكم لا يُعدُّ
ولا يُحصى ورحمة الله وبركاته بوجود وجودكم آمين.

وبعد. فنعلموا سيداتكم بأننا خبرنا الدولتين العثمانية والألمانية بانتصاركم العظيم
على محلة صاحب الفرنضيص وعدو الإسلام القايد هايدة (نحايدا) أومويس ولا تشكوا
أنه تلك الخير يقع في الدولتين المذكوران فرحة وسرور لما يروا أنه بينا هما يناصرون
على العدو في جميع الأمام الأرباوي وفي جميع البحور كذلك أصبحهم وحلافاتهم في

المغرب الأقصى يناصرون أيضاً على مظالمهم، ولا شك أنه كل ذلك هي شهادة أنه الله تعالى يعون المجاهدين لشرف الإسلام ولحرية المسلمين جلالتهن، الأمبراطور الألماني وسلطان العثماني الذان يتخيران بكل فرحة من خدمتكم المهمة لخير أمرنا وأمركم، طلبا منا أن نهتوا سيادتكم في أسمائهما على انتصاركم، ونعلمكم أنهما رغماً عن الصعوبات العظيمة الذين وجدوا حتى الآن لازالين عازمين ليفعلا جهدهما ليعونون سيادتكم بكل جهد وقوة حتى أن تقضيو غراضكم يعني حتى أن تحرروا وطنكم العزيزة من ظلمة الفرنضيص دمرهم الله.

أما نحن من جهتنا نهتوا أيضاً سيادتكم على انتصاركم، ونعلمكم أننا موجودين لنقضيو لكم كل ما يكون نافع لأمركم الشريف.

نطلب الله أن يعاونكم ضض العدو، ودمتم في هناء وسرور.

حرر في مدريد، في 10 فبراير عام 1917 المجامي

نائب دولة العثمانية

سفير دولة الألمانية

طابع بداخله :

«يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد».

إنما أنت منلدرو لكل قوم هاد

محمد رشاد بن عبد المجيد خان

سنة 1336.

طابع بداخله :

DEUTSCHES VATERLAND
MIT GOTT FÜR KAISER
UND REICH.

اسبح الله اوقات التضرع المخلع المعجز المحقق المحاصر في سبيل الله
 مولاي احمد هبة الله رب العرش العظيم صلى الله عليه وسلم
 عليك يا رحمن يا رحيم يا ذا الجلال والإكرام يا ذا الجلال والإكرام
 وعرفنا علموا حسراتكم يا ناظر الدارين العظيمة والامانة
 يا ناظركم العظيم على حلة صاحب البريق وعرو الاسلام
 الفاتر هابرة او موخر وانقذكم انه تلك الخبير يدبر في
 الروتيس المذكوران رحمة وحرور لما يسره انه بينما هما
 يتاحرون على الحروب جميع الامم الارباب وفي جميع الجحيم
 كذلك اصحابكم وجلد عائلهم في المعرب الا تظن يا صبور
 ايضا على هذا لهم والشك انه كل ذلك هي شهادته
 انه الله تعالى يحون المحاصرين لفتن الصلح
 لمحنة المسلمين بسلاطين الامم اطهر الامم
 وسلاطين العقائد الزاين يفتخران بكل رحمة في
 ذمتهم امهنة الحسرة امرا وامرهم طلبا منا ان
 نهضوا سيراتكم في الساعات على انتصاركم وعلمكم
 انها رحمة العفو والتوبة العظيمة الذين هموا حتى
 لان لا يزالوا عازمين ليحذو جهدهما ليعودوا
 ليسد ذنوبكم بكل جهد ووقفة حتى ان تفصلوا عن اصحابكم
 حتى ان تحمروا وكنتم العزيم في ظلمة البريك
 اما نحن في جهنمنا نهضوا انما حسراتكم على انتصاركم
 وعلمكم اننا موجودين لتغصوا لكم كل ما يكون تابع
 لامركم السمع فكلبوا الله ان يعونكم منكم للاعداء
 ودمتم في منا وسرور حرره ما ريد في جسدكم
 باسم الحجاب

ناقص ديانة

سبح دولة الامانة



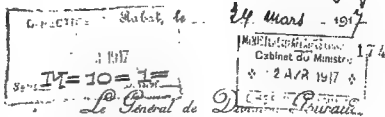
RÉSIDENCE GÉNÉRALE
DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
AU MAROC

Direction du Service des Renseignements

Nota. — Les Rapports doivent
porter le numéro d'ordre, expri-
mer les indications du nombre
à déviser

N° 8a DR.

OBJET :



Le Général de Division
Commissaire Résident Général de la
République Française au Maroc,
à Monsieur le Ministre des Affaires Étrangères

PARIS.

-4 AVRIL 1917

*Madrid
6 Avril*

J'ai l'honneur d'adresser à Votre Excellence,
comme suite à mon télégramme N° 54 du 27 Février dernier
la lettre que les Ambassadeurs d'Allemagne et de Turquie
à Madrid adressaient à EL HIRA pour le féliciter de la
victoire qu'il a remportée, le 7 Janvier, sur la harka du
Pacha de Taroudant et qui a été trouvée sur l'agent
REHAL arrêté en mer le 23 Février.

A cette lettre sont joints la traduction, une
analyse et quelques renseignements sur le service de
rekhas qui relie EL HIRA au Consul d'Allemagne à Lar-
ache./.

main

الصفحة الأولى من التقرير المرفق برسالة سفيري ألمانيا وتركيا
(الملحق الأول)

الملحق الثاني (رسالة أحمد الهية إلى سفيرى ألمانيا وتركيا بمدير)

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد والمنة وصلاته وسلامه على نبيه الكريم.

شمسي ملوك الدول ومن عليهما مع الله المعول، ونقشي خواتمهم، ومجمعي الفضائل، وفخر الأواخر على الأوائل، السلطان القيصر المبراطور غليوم، وصدر ملوك الإسلام السلطان محمد رشاد الخامس، اتحفكما الله في الأعداء بالمراد وزادكما الله تمكيناً في البلاد والعباد، واسود رجال دولتيهما، واقمار نوابهما، ولا سيما سفير الدولة الألمانية ونائبها، ونائب الدولة العثمانية بمدير، الأرشدین الأنجدين ميموني المسعى في الحركة والمسعى بمدير.

أما بعد، فعليكم من أطايب السلام، المشفع بالتبجيل والإكرام، والتعظيم والإنعام ما يناسب المقام. موجبه، أننا في خير وعز، ونرجو منه أن تكونوا فوق ما تحبون لجلالتكم وسيادتكم، وإننا منذ وصلنا من سيادتكم الحاج عمر وبعده ابراهيم التطاوي والرسولان من العرائش، فخلينا (في) القباب عسة بأركسيس وجعلنا فيها الحاج عمر وأقواماً منا تناسب، والخليفة مربية رب يطوف عليهم راصداً بإزائهم، من عشرين من ذي القعدة إلى عشرين من ذي الحجة، ثم نزعنا القباب وبقيت العسات إلى ليلة كتبه، وقد رصدوا ليلاً ونهاراً فلم يظهر لهم شيء - جعل الله المانع خيراً - وقد أعلمنا من هو مثل أنفسنا من عمالنا وعلمائنا فطاروا فرحاً. ولكن في هذه الأيام تكالبت الأعداء لهذه النواحي ببذل الأموال والعسات، ولم يحصلوا في ذلك - لله الحمد - إلا على الخسارة، وزاد ذلك المجاهدين حزمًا على حزم وبقينا على يقين. إلا أنه ليكن في كريم علمكم/ (ص 2) أنه إن استدام عدم الاتصال بيننا مع الدولتين وتكالب الأعداء بمزعبلاتهم وحيلهم وبذل مالهم، فرمى تقع الوسوسة ويعظم الأمر، والاتصال فرصته من جهة البر حاصلة، ويمكن في أي مرسى لم تكن عليها عسة من المراسي التي بإزاء الطرفاية، أو يمكن أن يأتي للطرفاية، فيقال لدولة إصبانيا : هؤلاء حجاج وأحببنا وصورهم لأهلهم بقشهم، أو يقال : هذا شيء نحبكم توصلوه لفلان من عند مواريده بالحجاز، أو تأتي غطاصات أو فراكط وتتحارب مع عسات الأعداء، ويكون ما ذكرتم مهيباً في غطاصات أخرى أو بآبوراً، وساعة المحاربة وشغل

عسّة الأعداء ينزل ما أحبيتم، وحيث ينزل فقد تم الكلام، فإن كانت فيه المدافع فتوجه لجهة البحر تلك الساعة، وإن لم تكن فنشتغل نحن بالبر بالحروب، وستسمعون - بحول الله - من ذلك فوق ما يسركم. وعسّات الأعداء لم ندر هل سببها من إشاعة مرسى أصبانيا التي أذناهم على فتحها بتلك الشروط التي مع ذلك.

وأعظم القصد عندنا فيها، اتصالنا مع الدولتين وكثرة المشوشات على الأعداء لأننا شممنا فيها رائحة الميلاق على الدولتين لإشاعة الخبر الحسن عنهما... (ص 1) في هذا العام أواخر ذي القعدة وقد قدم اليوطي على الحديد، وصاروا يقولون لحزبهم: لا يهكم شيء فنحن متكفلون لكم أن لا يصل فلان من الدولتين عُدّة ولا مال ولا مدافع ولا شيء، فلا يفرنكم فلان، وما زاد ذلك حزبهم الآ شك فيهم/ (ص 2)... أو العسّات، من رقاص لكم أخذوه، وقد أتانا رقاص لكم قبل، فعلمنا بخبره قبل وصوله، فأشعنا الخبر من أنه جاسوس للأعداء إخفاء خبره، والحاصل، جدّوا - أعانكم الله - وأسرعوا، أسرعوا، أسرعوا باتصال بيننا جلّ أو قلّ، بأي سبب أمكنكم، في أي موضع أمكنكم، على يد أيّ أحد، والخليفة الشيخ مربيّه راصدّ دائما بمراسي أيت بعمران، والخليفة الشيخ محمد لأنه راصد بازاء الطرفاية وما بإزائها من المراسي، فمهما نزلتهم (كذا) أو وجهتم أحداً يُرسل لأيهما أردتم وعندهم الإعلام دائماً... فمن نزل يوجه له فيفعل له القصد تلك الساعة، وكل شيء مهمّاً عندهما لذلك ويسير - أدامكم الله - وعلى دوام الكينونية. والسلام.

افتتاح المحرم عام 1335 هـ (28 أكتوبر 1916).

موارد المغاربة المقيمين بالبرتغال وظروف عيشهم خلال القرن السادس عشر

أحمد بوشرب

كلية الآداب، عين الشق - الدار البيضاء

شهد المغرب خلال العقود الأخيرة من القرن الخامس عشر وبداية القرن اللاحق أحداثاً خطيرة: من غزو برتغالي وحروب أهلية وجفاف ومجاعات، انتزعت آلاف المغاربة من وطنهم وألقت بهم في البرتغال أو في الجزر التابعة له. وكان أولئك المغاربة - الذين سنحاول حصر أسباب التحاقهم بذلك البلد المسيحي وتتبع ظروف عيشهم - ففتين: عبيداً وأحراراً. وصادف دخولهم ذلك البلد مُروّرة بظرفية اقتصادية صعبة؛ كما تزامن هذا الدخول مع تزايد التعصب الديني والعربي الذي بلغ أوجّه بإنشاء محاكم التفتيش الدينية سنة 1536⁽¹⁾، الأمر الذي أضاف إلى معاناتهم المادية مضايقات واستفزازات في كل لحظة، وذلك بالرغم من إكراههم على التنصّر والتنكر لعقيدتهم وهويتهم الدينية والثقافية. وسنعمل خلال هذا البحث على تتبع ظروف عيش أفراد تلك الجالية، وانعكاس تلك الظروف على موقف أفرادها من البرتغال وسكانيه؛ وسنعمد في ذلك بالدرجة الأولى على مَحاضير محاكماتهم من قبل محاكم التفتيش الدينية.

لا يسمح المجال بتتبع أسباب ومراحل محاكمات أفراد الجالية المغربية من لدن محاكم التفتيش الدينية البرتغالية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن سلط تلك المحاكم لم تكن تشمل إلا المسيحيين، ولم يكن غيرهم يدخلون في اختصاصها إلا في حالات معينة

(1) A. Boucharb, *Les crypto-musulmans d'origine marocaine et la société portugaise au XVI^e siècle*. Thèse pour l'obtention d'un doctorat d'Etat soutenue le 31 mars 1987, Montpellier.

كامتناع المسلمين عن حمل الشارة الخاصة بهم، أو محاولتهم الفرار من البلد، أو ارتكابهم جرائم أخلاقية تدخل في اختصاص تلك المحاكم. كما تجدر الإشارة إلى أن تلك المحاكمات كثرت بشكل واضح بعد سنة 1550، أي بعد أن انتهت محاكم التفتيش من مطاردة «المسيحيين المحدثين» (اليهود المرتدّين) الذين كانت ترى فيهم، نظراً لأعدادهم المهمة، ولوزنهم الإقتصادي والاجتماعي الخطير الذي يهدد وحدة عقيدة البلاد واستقرارها السياسي والاجتماعي⁽²⁾. ومثل المغاربة أمام المحققين بعد إقامة تجاوزت أحياناً ثلاثة عقود في حالة الذين أدخلوا كرهأ إلى البرتغال، وهم الأغلبية، بينما لم تتجاوز بضعة شهور أحياناً في حالة اللاجئين السياسيين أو من لحق بهم من ذويهم.

1 - ظروف تكون الجالية المغربية

من المعلوم أن البرتغاليين استطاعوا، خلال القرن الخامس عشر وبداية القرن التالي، احتلال ثمانية ثغور مغربية، وأنهم اعتادوا تنظيم غارات خاطفة وفجائية انطلاقاً منها، وذلك قصد الحصول على الغنائم والأسرى. ومن المعلوم كذلك أن الإنسان المغربي كان يُعتبر سلعة مهمة تُهافَت العزاة عليها. وقد أحسن البرتغاليون استغلال ضعف السلطة الوطاسية، وانتشار الفوضى، وتناحر العصبية لتنظيم غارات لم تعد تقتصر على المناطق القريبة من الثغور، بل أصبحت تشمل مناطق بعيدة. ولتعويض النقص الحاصل في عدد حاميات الثغور، اعتمد البرتغاليون على بعض القبائل الحليفة (mouros das pazes) التي كان يوظفها عملاء كبار مثل يحيى أو عفوفت بدكالة، ومالك بن داود بالسوس⁽³⁾.

فقد نظم برتغاليو أصيلا، بمساندة حامية طنجة أحياناً، غارات استهدفت

(2) أنظر الفصل الذي خصصناه لموقف محاكم التفتيش الدينية البرتغالية من الجالية المغربية : Ahmed

.Boucharb, Les crypto-musulmans, op. cit., p 479 s.q.

(3) أحمد بوشرب، دكالة والإستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمور (قبل 1481 - أكتوبر 1541)، الدار البيضاء، 1984، ص ص. 215-221، 355-358 ؛ وانظر كذلك :

D. Lopes, «Bentafuf, alcaide mouro ao serviço de Portugal», in Textos em aljama portuguesa, 2ème éd., Lisboa : Imprensa Nacional, 1940, pp. 107 sq. ; Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, Bibliothèques et archives du Portugal, 1ère série, Paris : Geuthner, 19, t.2, pp.: 128-131.

مناطق أزجن (وزان) وتطوان والقصر الكبير. وقَدَّرَ باحثٌ عَدَدَ الأسرى الذين استولى عليهم برتغاليو الحصن الأول من منطقة بني كَرْفَط وحدها بخمسة آلاف شخص⁽⁴⁾. وكان ما حصل عليه البرتغاليون في السهول الأطلسية خلال العقد الأول من القرن السادس عشر أكبر بكثير. فقد اعتادت حامية أزموور مباغنة دواوير الشاوية ومنطقة الرباط، بينما تجاوزت الغارات التي نظمتها حامية آسفي مدينة مراكش ووصلت إلى منابع تانسيفت في الأطلس الكبير، ومشارف السوس⁽⁵⁾. وانتهت غارة نظمها برتغاليو آسفي على دواوير بمنطقة بدوزة سنة 1511، بأسر 567 شخص⁽⁶⁾. وفي الشاوية وحدها أسر البرتغاليون خلال سنتي 1518 و1519 ما يقارب ألفي شخص⁽⁷⁾. وتحفظ المصادر البرتغالية بأرقام مذهلة عن عدد الأسرى المغاربة الذين حملوا إلى البرتغال. وأحصينا في مؤلفي داميائو دي كويس (Damião de Góis) ولويس دي سوزا (Luís de Sousa) 9287 أسيراً. وبما لاشك فيه أن العدد الحقيقي أكبر بكثير، لأن المؤلفين المذكورين لم يُورِدَا الحصيلة الحقيقية إلا لاثنتين وسبعين غارة من مجموع 136 (حوالي 53%). واستولى البرتغاليون بعد دخول بعض المدن المغربية عنوة على آلاف الأسرى، كما حصل في أصيلا التي استولوا فيها على 5000 شخص⁽⁸⁾، أو في آسفي التي أسروا فيها عدداً كبيراً لم تحدده المصادر، وإن كانت قد أشارت إلى اختطاف الكثير من السكان ومن الوافدين على المدينة، وإلى نقلهم إلى البرتغال أو إلى جزيرة ماديرا⁽⁹⁾. واستولى البرتغاليون كذلك على مئات المغاربة في البحر، خصوصاً بعد تزايد عملياتهم الجهادية ردّاً على العدوان البرتغالي⁽¹⁰⁾.

(4) B. Rosenberger «Compte rendu», in *Hespéria-Tamuda*, XII, 1971, p. 203.

(5) R. Ricard, *Les Portugais au Maroc*, de Damio de Góis, Extraits de la chronique du roi D. Manuel de Portugal, publ. Institut des Hautes Etudes Marocaines, T. XXXI, Rabat : Félix Moracho, 1937. وسنحيل على هذا الكتاب بأسم مؤلفه :

De Góis, D. Lopes, «Os Portugueses em Marrocos», in *História de Portugal*, direct. D. Pires, Barcelos : Portucalense Editora, 1931, pp. 385-544.

(6) أحمد بوشرب، دكالة، ص. 224.

(7) نفسه، ص. 227 ؛ وانظر كذلك : De Góis, op. cit., p. 179-189.

(8) Rui de Pina, «Cronica de Dom Afonso V», in *Cronicas de Rui de Pina*, Porto : Lello e Irmo Editores, coll. Tesouros de literatura e da Historia, 1977 ; D. Lopes, *Historia de Arzila durante o domio português (1471-1550 e 1577-1589)*, Coimbra : Imprensa da Universidade, 1924, p. 50.

(9) S.I.H.M, *Portugal*, I, p. 111.

(10) أحمد بوشرب، «المغاربة والبحر خلال النصف الأول من القرن السادس عشر»، بحث، مجلة كلية الآداب - المحمدية، العدد الرابع، 1991، ص ص. 53-70.

وفضلاً عن الغارات، اعتاد البرتغاليون اقتناص المغاربة العزل واختطاف من فوجي منهم. ومثل ذلك العمل مورداً مالياً مهماً لأفراد الحامية، خصوصاً وقت تأخر دفع الرواتب والأجور. ووصلتنا إشارات إلى تلك الإختطافات التي قام بها جنود عاديون ومسؤولون كبار. فقد اعتقلت محكمة تفتيش لشبونة سنة 1556 حاكم طنجة السابق خواو ألفاريز دي أزيڤيدو (João Alvarez de Azevedo)، لأسره وبيعه لعدد من المغاربة الذين كانوا يلتحقون بالمدينة⁽¹¹⁾. وأكد شهود الدفاع، الذين كان بعضهم من المسؤولين السابقين بالشغور المغربية، أن تلك الإختطافات كانت أمراً عادياً ومعمولاً به في المغرب، وأنها لم تكن تزجج أحداً.

كما بُلِّغ عن قبطان أزموور بدوره لدى الملك البرتغالي، وأنهم بأسر من كان يفد على المدينة وبيعه⁽¹²⁾.

واشترى البرتغاليون كذلك أعداداً كبيرة من الرجال والنساء. وكان المعروضون للبيع في الشغور إما عبيداً أصلاً أو من أسرى الحروب بين القبائل والعصبيات المتناحرة. ومثلت أسفي، وخصوصاً أكدير، أهم سوق للنخاسة، إذ كان بيع العبيد يضمن للملك البرتغالي، عن طريق تحصيل الضرائب، أهم المداحيل في ذلك الشغل. كما كان القباطنة يستفيدون بدورهم من خمس ثمن البيع⁽¹³⁾. وتؤكد وثائق محاكم التفتيش التي اعتمدناها في هذا البحث أن عدداً كبيراً من المغاربة المقيمين بالبرتغال أدخلوا إلى ذلك البلد بعد شرائهم بالمغرب. فقد ذكرت مغربية سميت أنطونا ريوآ (Antona Roboa) للمحققين أنها «أدخلت إلى أزموور بعد اختطافها، وبيعت هناك»، قبل أن تنقل إلى مدينة سيتوبال (Setúbal)⁽¹⁴⁾. وبيع المغربي أنطونيو قاز (Antonio Vaz) بدوره في أسفي على يد محتطفيه⁽¹⁵⁾. وقد اغتنى بعض المغاربة من اختطاف إخوانهم وبيعهم للمسيحيين كما حدث ليعقوب بن الغربي المقيم في أزموور، والذي فر من تلك المدينة وترك بها ستة عشر مليون ريال برتغالي، وهو مبلغ خيالي إذا ما قيس بالرواتب التي كان الوكلاء التجاريون يتقاضونها في الشغور⁽¹⁶⁾.

(11) Inquisição de Lisboa, processo n° 12572, fol. 8. r, 22v

(12) أحمد بوشرب، ذكالة، ص. 412، n° 1، p 177, S.I.H.M., Portugal, II,

(13) Ibid, II, pp. 185-186

(14) Inq. Lix. proc. n° 6753, fol. 4 v.

(15) Inq. Lix. proc. n° 10857, fol. 3 r.

(16) S.I.H.M., Port. II, p. 319

وارتفعت المبيعات خلال مجاعة سنة 1521 التي عرفت في دكالة والشاوية خطورة كبيرة، حتى إن الناس كانوا «يُقْبَلُونَ من تلقاء أنفسهم على المسيحيين مجردين من سلاحهم ليعرضوا عليهم أنفسهم ونساءهم وأطفالهم بشن بخس؛ وكثير منهم كان يسلم نفسه دون مقابل، ولجحد تعهد المقتني بضممان القوت»⁽¹⁷⁾. وترك لنا الإخباريون البرتغاليون برناردو رودريغيز (Bernardo Rodriguez)⁽¹⁸⁾ ودامياو دي كوز (Damião de Góis)⁽¹⁹⁾ ولويس دي سوزا (Luis de Sousa)⁽²⁰⁾ معلومات دقيقة - سبق توظيفها في محل آخر -⁽²¹⁾ عن خطورة تلك المجاعة، وعن العدد الكبير من المغاربة الذين اشتراهم التجار البرتغاليون في أسفي، وفي أمور على الخصوص، قبل نقلهم إلى إسبانيا والبرتغال والجزر الأطلسية. وقدّر بعض المؤرخين، اعتماداً على إشارات المصادر الإيبيرية، عدد أولئك المغاربة الذين أدخلوا الأندلس الإسبانية وحدها خلال سنة المجاعة بستين ألف شخص، وبمجموع ما اقتناه الإسبان والبرتغاليون بمائة ألف شخص⁽²²⁾. وتؤكد مصادر محاكم التفتيش البرتغالية التي اعتمدها أن جل من أُدْخِلُوا بِلَدَ البرتغال والجزر التابعة له جُلُّوا «سنة المجاعة التي حدثت بين المسلمين، والتي نزع بسببها عدد كبير منهم إلى هذه المملكة»⁽²³⁾. وتحدد بعض المحاضر الحدث في «سنة المجاعة التي حدثت سنة واحد وعشرين وخمسمائة وألف»⁽²⁴⁾. وأدخلت أسر مغربية بأكملها إلى البرتغال. فقد نُقِلَتْ خوانا

R. Ricard, «Les Portugais et l'Afrique du Nord sous le règne de Jean III, (1521-1557), (17) d'après la chronique de Francisco de Andrade», *Hespéris*, 1937, XXIV, 4ème trim., pp. 259 sq.

Bernardo Rodrigues, *Anais de Arzila*, publ. D. Lopes, Coimbra : Imprensa da (18) Universidade, 1915, vol., p. 327.

D. de Góis, *op. cit.*, pp. 228 (19)

R. Ricard, *Les portugais et l'Afrique du Nord*, Extraits des «Annales de Jean III» de Luis (20) de Sousa. Publ. Institut Français au Portugal. Paris : 1940, p. 153
وستحيل على الكتاب تحت إسم مؤلفه de Sousa.

أحمد بوشرب، دكالة، ص. 319. (21)

A. Boucharb, *Les crypto-musulmans*, pp. 65-66 ; Bernard Rosenberger et H. Triki, «Famines et épidémies au Maroc aux XVI et XVII siècles», *Hespéris-Tamuda*, Vol. XIV, fasc. unique, 1973, pp. 109.

B. Rosenberger et H. Triki, *article cité*, p. 134. (22)

Inq. Evora, proc. n° 8203, fol. 6 v ; n° 1258, fol. 2 r. (23)

Inq. Lix, proc. n° 3550, fol. 3 r ; n° 1991, fol. 3 v (24)

كالديرا (Joana Caldeira) صحبة أمها وأخيها⁽²⁵⁾، في حين حَمَلَتْ نَفْسُ السفينة فرنسيسكو دياز (Francisco Dias) وأخويه وأختيه⁽²⁶⁾. وبخبرنا دامياو دي كويس (Damião de Góis) بأن عدداً كبيراً من الدكاليين الذين خافوا من الموت جوعاً بسبب المجاعة المذكورة، استأذنوا الملك البرتغالي في عبور البحر للإستقرار في البرتغال، فسمع لهم بذلك⁽²⁷⁾.

وانتقل إلى البرتغال عدد من المغاربة لا يمكن تحديده مع الأسف، فراراً من العدالة المغربية على أثر اقراراف إثم أو جريمة⁽²⁸⁾، أو من بطش الحكام بعد نهاية الدولة الوطاسية، أو على أثر بعض التقلبات التي عرفتها الدولة السعدية⁽²⁹⁾.

2 - مهن المغاربة ومواردهم

ويُفْهَمُ مما سبق أن المغاربة المقيمين في البرتغال بعد سنة 1521 كانوا كثيرين. وقد استقروا في الوسط والجنوب، وفي لشبونة وبابرة «والغرب» البرتغالي (Algarve) على الخصوص. وكانوا فتيين : أحراراً وعبيداً⁽³⁰⁾. ولم يكن من السهل انتعاق الفقة الأولى، إذ كان ذلك يتطلب سنوات من المعاناة ودفع مبالغ مالية كبيرة. إلا أن حدوثه كان يطرح على المغربي مشاكل لم يكن يتوقعها. فقد كان عليه العثور - في أقرب وقت ممكن - على مسكن ومورد رزق. وواجه اللاجئون السياسيون المغاربة (وطاسيون في المرحلة الأولى، وسعديون فيما بعد) هذا المشكل فور وصولهم، مع أنهم كانوا حديثي العهد بالبلد وسكانه، وكانوا لا يتوفرون على خبرة مهنية، ولم يكونوا متعودين الحرف الشاقة⁽³¹⁾. فقد اضطرَّ بَعْضُهُمْ إلى قَبُولِ أعمال لم تكن تتلاءم ووضعتهم الاجتماعي بالمغرب. وهكذا اضطرَّ القَائِدُ الوَطَاسِيُّ سيدي ناصر إلى العمل في إسطنبول والنوم به⁽³²⁾ ؛ كما اضطر التطواني الذي سمي بعد نصره

(25) Inq. Evora, proc. n° 3038, fol. 2 v, 3 r.

(26) Inq. Evora, proc. n° 5174, fol. 1 v.

(27) D. de Góis, op. cit., p. 228.

(28) A. Boucharb, Les crypto-musulmans, op. cit., p. 67.

(29) Idem, p. 68-70.

(30) Idem,

(31) Idem,

(32) Inq. Lix. proc. n° 7700, fol. 8 r.

باسم مانويل بيريرا (Manuel Pereira) إلى مقايضة كرامته بفراش من التبن في إسطنبول (33) ؛ وعرف ابن أحد أعيان تطوان ظروفًا أصعب : فبعد فراقه من مسقط رأسه للانتحاق بأبيه المقيم في لشبونة، وصل إلى الرأس الأخضر ؛ وهناك اضطر إلى التنصر ليتمكن من الالتحاق بالبرتغال، حيث كانت الفاقة في انتظاره، وحيث لم يعثر على مُشغَلٍ إلا بصعوبة، وبعد تدخل محسن برتغالي (34).

لذا مثَّل العُثُورُ على عمل قَوَّر الوصول إلى البرتغال الشُّغْلَ الشَّاعِلَ لأولئك الأجانب الذين كانوا يجهلون كل شيء عن البلاد وسكانها، وكانوا يجهلون لغتها. فقد كان هؤلاء يبادرون - فور وصولهم - إلى الاتصال بمن سبقهم إلى هناك لمعرفة ما تسمح به المدينة من فرص شغل. لقد اعترف مغربيٌّ أمام المحققين الذين اتهموه باستعمال اللغة العربية بعد تنصره - وقد كان ذلك جُرْماً يُعاقَبُ عليه - أنه لم يفعل ذلك إلا مع حديثي العهد بالبلاد، والذين كانوا يسألونه عن «سبل ضمان قوتهم في هذه البلاد» (35) ؛ وأضاف أنه استعمل تلك اللغة «مع نازح مغربي وصل مؤخرًا واستفسرو في شأن الحصول على عمل» (36). وقد أصبح هذا السائل، كغيره من أعيان الدولة الوطاسية، حِمْلًا بسوق الحبوب بلشبونة وبمينائها.

ولم يكن المغاربة المقيمون بالبرتغال - بصفتهم رُحَلًا أو أعيانًا سابقين - يتوفرون على كفاءة تسمح لهم باحتراف المهن اليدوية التي كانت آنذاك قليلة في البلاد، وكانت تُدرُّ على أصحابها موارد مهمة (37). لذا اكتفوا بأعمال شاقة ومؤقتة، لم تكن تسمح إلا بأجور زهيدة كما سرى.

كان جل المغاربة الأحرار حُمَّالين في الميناء، أو في سوق الحبوب في لشبونة وفي الحواضر الكبرى كمدينة يابرة. ولم تعد الشبكة تغادر أكتافهم إلى حد أنهم جعلوا منها رمز إقامتهم في البرتغال. فقد توصلت محكمة لشبونة بتبليغ عن مغاربة أساءوا التصرف مع بعض النازحين من أنصار الوطاسيين واتهموهم بترك بلدتهم من أجل ملء بطونهم، وأكدوا لهم أنه لا مفر لهم من تأبط الشبكة : «لماذا أتيتم من

(33) Inq. Lix. proc. n° 1617, fol. 2 r. - 3 v°

(34) Inq. Lix. proc. n° 1114, fol. 12 v. - 13 r.

(35) Inq. Lix. proc. n° 13187, fol. 5

(36) Ibid, fol. 11

G. Cerejeira, O Renascimento em Portugal, Clenardo e a sociedade portuguesa, (37)

.Coimbra : Coimbra Editora, 1974, I, 258 ; A. Boucharb, Les crypto-musulmans, 145 sq.

بلادكم؟ إذ كنتم ترغبون في تأبط الشبكة، فخذوها، فهي لكم» (38). ومن خلال تبليغ آخر عن سبعة مغاربة كانوا يقيمون بمدينة تافيرا (Tavira)، في جنوب البرتغال، نعلم أن ستة منهم كانوا حمالين، وأن السابع كان راعياً (39).

ولم يكن العمل في الميناء كافياً وحده، لارتباطه بالفصول وبوصول المراكب. لذا كان التنافس شديداً بين أفراد الجالية المغربية على ما كان يُعرض من فرص شغل. واعتاد المغاربة المقيمون في لشبونة وبابرة وسيتوال الانتقال إلى جنوب البرتغال، إما خلال موسم صيد التون (40)، الذي كان يضمن لهم شهراً من العمل، أو في موسم جني محاصيل الحبوب والفواكه التي كانت المنطقة تنتجها بكثرة (41). وكان مغاربة هذه المنطقة الأخيرة ينتقلون بدورهم إلى جزر الأصور للحصاد ولبادلة بعض المنتجات بحبوب ذلك الأرخبيل (42).

وقد كُلف المغاربة - بحكم أصولهم البدوية - بالإعتناء بالدواب، وبالحقول على وجه الخصوص. فقد كان عدد كبير منهم يعمل في إسطبلات الملك وكبار الدولة. كما كان منهم من تخصص في إنتاج بعض اللوازم، كالبرادع (43). ووظف بعض المغاربة مدّخراهم في شراء بهائم خصّصوها للكرء ونقل السلع داخل المدينة أو للربط بين مدينة وأخرى، أو بين البرتغال وإسبانيا (44). وعاش مغاربة آخرون من بيع الكلال والخطب والقصب، أو الماء، أو سمك السردين (45).

واضطُرت المغريّات كذلك إلى العمل ومواجهة جَرَف شاقّة. فقد كانت أغلبيّتهنّ تعيش من غسل الملابس في الأنهار والأودية، أو من عزل الأسماك وتجفيفها في ميناءي لشبونة وسيتوال (46). ووصلتنا إشارات إلى عمل بعض المغريّيات في أفران

.Inq. Lix. proc. n° 1636, fol. 4 v. (38)

.Inq. Evora, proc. n° 9193, fol. 6 r. (39)

.Inq. Lix. proc. n° 10849, fol. 10 v, n° 708, fol. 3 v. etc. (40)

.Inq. Lix. proc. n° 9512, fol. 18 v (41)

.Inq. Lix. proc. n° 10857, fol. 10 r. (42)

.Inq. Lix. proc. n° 6787, fol. 5 v ; n° 5254, fol. 3 r ; n° 12932, fol. 2 r ; n° 10864, fol. 2 r . (43)
.tc.

.Inq. Lix. proc. n° 6471, Fol. 3 v ; n° 12690, fol. 2 r ; n° 3590, fol. 6 r. (44)

.Inq. Lix. proc. n° 12689, fol. 5 v ; n° 10849, fol. 16 v ; n° 4116, fol. 6 v ; n° 172, fol. 3 r. (45)
.tc.

.Inq. Lix. proc. n° 3590, fol. 15 v ; 3191, fol. 8 r ; n° 6762, fol. 7 r ; n° 7693, fol. 3 r. etc. (46)

يبدو أنها لم تكن ملكاً لها⁽⁴⁷⁾. وكانت كاتارينا ديشا (Catarina d'Eça) المغربية الوحيدة التي كان لها اختصاص معين، إذ كانت تصنع الزرابي⁽⁴⁸⁾. وكانت برياتيث پريس (Briatiz Pires) تدير حانة تباع فيها «الخمر وبعض الوجبات»⁽⁴⁹⁾.

وكانت أعمال المغاربة صعبة ومرهقة، خصوصاً وأن أغلبهم كانوا مسنين وكانوا يعانون من سوء التغذية. فقد كان المسمى خواو فيرنانديز (João Fernandes) حملاً بالرغم من تجاوزه الستين سنة، «وكانت ضلوعه توجعه، وكان يشعر بعياء كبير بسبب الأكياس التي كان يحملها»⁽⁵⁰⁾. ومات مغربي تحت ثقل برميل كان يحمله، بينما توفي آخر تحت حزمة تبين⁽⁵¹⁾. ولقيت مغربية حتفها في حي القنطرة، على ضفة نهر تيوخو (Tejo)، وهي تغسل ملابس مشغليها⁽⁵²⁾.

وبالرغم من صعوبة تلك الأعمال، لم يكن المغاربة يحصلون إلا على أجور زهيدة. فقد عبّر أحدهم بحسرة عن العلاقة بين المجهود العضلي المبذول والأجر المحصل عليه بقوله: «إننا نقضي أيامنا في الميناء نحطم ضلوعنا بالتبن كالحمير. ومع ذلك، فإننا لا نوفر في نهاية السنة ريالاً ولا حتى سبتيّاً»⁽⁵³⁾. وأكد آخر أنه وباقي المغاربة لم يعودوا يطبقون ظروف العيش الصعبة في البرتغال، وأنهم «يقضون كل أيامهم في الكد والعمل الدؤوب، دون أن يتمكنوا من ضمان قوتهم»، وأنهم أجمعوا على أن خلاصهم يكمن في فرارهم إلى مسقط رأسهم⁽⁵⁴⁾. ويرر الذين حاولوا الفرار بحراً فعلهم بقولهم إنهم كانوا «متوجهين صوب بلاد المسلمين التي هي موطنهم الأصلي، لأنهم كانوا هنا يكفون دون انقطاع ويموتون جوعاً»⁽⁵⁵⁾. ونفهم من مختصر مُحَاكَمَة مغربي كان يستفيد من معاش ملكي بصفته لاجئاً سياسياً، وكان يُبذَر في الخمر، أن برتغالياً لاهمه على ذلك ونُبّه إلى أن مواطنيه الذين يوجلون في البرتغال منذ أن

(47) Inq. Lix. Livro das denúncias, vol. 2, fol. 44 v, proc. n° 8423, fol. 51 r, etc.

(48) Inq. Lix. proc. n° 9681, fol. 2 r.

(49) Inq. Lix. proc. n° 12932, fol. 3 r ; 6424, fol. 3 r.

(50) Inq. Lix. proc. n° 5488, fol. 13 r.

(51) Inq. Lix. proc. n° 6754, fol. 18 r.

(52) Inq. Lix. proc. n° 9670, fol. n° 8 r.

(53) Inq. Lix. proc. n° 10864, fol. 11 v. ؛ ويعني بـ«السبتي» عملة نحاسية سكهها البرتغال بعد احتلال سبته.

(54) Ibid, fol. 6 v

(55) Inq. Lix. proc. n° 10834, fol. 50 v

كانوا صبياناً «لا يملكون شيئاً، ولا يحصلون من عمل يوم كامل ولو على عشرين رأياً»⁽⁵⁶⁾.

وهكذا اضطرَّ الزوج والزوجة إلى العمل خارج البيت لضمان قوت اليوم : فقد كان أحدهم حاملاً وكانت زوجته تبيع الماء⁽⁵⁷⁾ ؛ وكان آخر في خدمة برتغالي، في الوقت الذي كانت زوجته تبيع بعض المواد بالميناء⁽⁵⁸⁾، الخ. وبالرغم من تعاون الزوجين، كان المغاربة الأحرار يعيشون في فقر مدقع : فقد برزت مغربية أمام المحققين مُحَاوَلَتَهَا الفرارَ من البرتغال بالفاقة التي كانت تعاني منها، «ولرفضها قضاء ما تبقى من عمرها في غسل أثواب الآخرين، ولرفضها كذلك تحمُّل ظروف عيش قاسية»⁽⁵⁹⁾.

وبلغنا في بعض المحاضر ما يفيد عجز المغاربة عن دفع أثمان الوجبات التي كانوا يتناولونها في الحانات والمطاعم، ومطالبتهم بآجال لتسديدها⁽⁶⁰⁾. ونلمس كذلك فقر الجالية المغربية وفاقتها من خلال جرد الأملاك والمتاع الذي كان ضباط المحكمة ينجزونه فور اعتقال المتهم⁽⁶¹⁾ ؛ كما أن بعض محاضر المحاكمات تركت لنا صورة واضحة عن تلك الفاقة. فقد أكدت مغربية للمحققين أنها لا تملك شيئاً، بينما نفت أخرى أن تكون قد تعودت ارتداء قميص نظيف كل جمعة كما يفعل المسلمون، وأكدت أنها لا تملك غير الذي كانت ترتديه وقت محاكمتها⁽⁶²⁾ ؛ وعجز بعضهم عن الحصول على مورد رزق، مما اضطر معه إلى العيش من السرقة أو الإستجداء⁽⁶³⁾. ويمكن أخذ فكرة عن معاناة المغاربة من خلال تتبع أوضاع اللاجئين السياسيين وتعميم حالة الفاسي الذي أصبح يسمى خواو دي سوزا (João de Sousa) على أولئك الأشخاص الذين تعودوا الوفرة والعيش الرغيد. فقد وصل إلى لشبونة سنة 1554 صحبة صهره وأخي زوجته فراراً من السعديين الذين دخلوا فاس تلك السنة. واضطر كمرافقيه إلى التنصر للإقامة في البرتغال والاستفادة من معاشي كان الملك يخصصه لأمثاله. ففي مدينة شسترن، كان عائلة على صهره ؛ وبعد انتقاله إلى لشبونة وزواجه من بنت

.Inq. Lix. proc. n° 12626, fol. n° 24 v. -25 r (56)

.Inq. Lix. proc. n° 172, fol. 3 r. (57)

.Inq. Lix. proc. n° 1636, fol. 10 v ; Inq. Lix. proc. n° 12690, fol. 2 r. (58)

.Inq. Lix. proc. n° 3590, fol. 15 v. (59)

.Inq. Lix. proc. n° 12932, fol. 28 v° ; n° 260, fol. 4 r° etc. (60)

Inq. Evora, proc. n° 4432, fol. 22-23 ; n° 5336, fol. 20r° ; Inq. Lix. proc. n° 7695, fol. 24 r°. (61)

.Inq. Lix. proc. n° 9278, fol. 13 r°. (62)

Inq. Lix. proc. n° 9232, fol ; 4v° ; n° 4026, fol. 8r° ; n° 10831, fol. 10r° ; Inq. Evora proc. n° 8627, fol. 5v°, 13v° etc. (63)

مغربي، اضطُرَّ إلى ترك زوجته في بيت أهلها وأقام في بيت صديق مغربي. وإشفاقاً لحاله، تدخل لصالحه دكالي لدى الملك البرتغالي لجعله يستفيد من المعاش المذكور، الأمر الذي تمكن منه⁽⁶⁴⁾. وكانت تلك المعاشات التي تتراوح قيمتها اليومية بين ثلاثين وأربعين ريالاً غير كافية، وكانت تتطلب القيام بعمل يوفر مدخولاً إضافياً نظراً لغلاء المعيشة. لذا اضطُرَّ أحدهم إلى العمل حَمَلاً، بينما التحق آخر بالبحرية البرتغالية مقابل راتب شهري وصل إلى 1200 ريال⁽⁶⁵⁾. وفضلاً عن ضعف قيمة تلك المعاشات، لم يكن دفعها منتظماً، وكان التأخير يدوم عدة شهور، مما كان يضع المستفيدين منها في وضعية حرجة. وإعطاء فكرة عن بطء الإدارة البرتغالية وثناقلها، وانعكاسات ذلك على أشخاص تعودوا في بلادهم الوفرة والنعيم، نورد معاناة المغربي الذي أصبح يعرف باسم أنطونيو دي كارفالو (António de Carvalho). فبعد أن قرَّ من مراكش والتحق بمانيغن، أحسن الحاكم البرتغالي استقباله وخصه بوسام من درجة فارس قبل أن يشرف على تعميده وإرساله إلى لشبونة ليطلب من الملك البرتغالي تخصيص معاش له. وبالفعل، عينه العاهل البرتغالي جندياً في نفس الثغر وخصه بمعاش قيمته 6 تُستويس (Tostões) وبكمية من القمح والشعير. وللوصول إلى هذه الغاية، انتظر في العاصمة البرتغالية سنة كاملة. لذا اعتقلته محكمة التفتيش على أثر فشل محاولة فرار إلى المغرب مع مجموعة من المغاربة الآخرين⁽⁶⁶⁾. وعانى لاجئ مغربي آخر دخل البرتغال سنة 1550 من نفس البيروقراطية. وهربرتغالي استدعاه دفاعاً مغربي أُعْتَقِلَ بسبب محاولته الفرار إلى المغرب، برَّر تلك المحاولة بالفاقة التي كان ذلك اللاجئ يعاني منها، وتأخر صرف معاشه⁽⁶⁷⁾. وعانى مغاربة آخرون من نفس الوضعية بالرغم من اتصالاتهم بالملك وبكبار الدولة. فقد كان المسمى كوتينو مانويل (Coutinho Manuel) يشتكي خلال شهر أبريل من سنة 1587 من ضعف قيمة المعاش ومن تأخر صرفه، الأمر الذي كان يعرضه وذويه للفاقة، خصوصاً وأنه لم يكن يُتَقَنَّ أية حرفة. فقد اعترف أمام المحققين بتفكيره في الفرار إلى المغرب، لكونه «غريباً في هذه البلاد ولا يعرف فيها وسيلة لكسب عيشه وضمان قوت زوجته وابنته، ولأنه لا يملك غير تِسْتَاوُ (Testão) واجد ينعم عليه به صاحب الجلالة. وبما أنه لاحظ

Inq. Lix. proc. n° 12626, fol. 22r° (64)

Inq. Lix. proc. n° 10934, fol. 7v° (65)

Inq. Lix. proc. n° 10820, fol. 6r° (66)

Inq. Lix. proc. n° 6466, fol. 38 v° (67)

أنهم لم يدفعوا له أي شيء منذ شهر، ونظراً لقلقه على مصيره، ولعدم معرفته بحرفة ما، فقد صادف يوماً كونستانتينو دي مينيزيس (Constantino de Menezes) ومانويل دا كروز (Manuel da Cruz)، وهما مورسكيان كذلك، لم يتوصلا بدورهما بمعاشهما، وكانا بدورهما قلقين، فاتفقا جميعاً على ألا يترددوا في العودة إلى بلاد البرابرة لو عثروا على وسيلة إلى ذلك» (68).

وقد أشرنا إلى معاناة اللاجئين الذين دخلوا البرتغال من تلقاء أنفسهم وفي حالة حرية، والذين كانوا يستفيدون من معاشات، لنؤكد من خلال ذلك على انعدام الشروط المادية لإندماجهم داخل المجتمع البرتغالي. أما باقي المغاربة الذين أدخلوا كرها إلى البرتغال، فقد كانت دوافع تفكيرهم في مغادرته بكل الطرق والوسائل أكبر بكثير.

ونظراً لفقر المغاربة، فإنهم كانوا يعانون من ظروف العيش القاسية التي كان البرتغاليون أنفسهم يعانون منها (69). فقد كانت إحداهم تقتصر في غذائها على الخبز والزيت في حالة توافرها (70). وبالطبع لم يكن هذا النوع من الوجبات يتلاءم والمجهد المبذول يومياً من لدن أفراد تقدم العمر بجلهم. وكادت الوجبات المقدمة من لدن أفراد الجالية المغربية بمناسبة زفاف أو وفاة، أن تمثل الفرص الوحيدة لأكل كثير من اللحم والكسكس (71).

وبالرغم من قلة مداخيل المغاربة، كان عليهم التوفير لأيام العطل أو المرض، أو لتحقيق مطعم الجميع: الفرار إلى المغرب. وقد وصلتنا إشارات إلى ما استطاع بعضهم ادخاره، إما نقداً أو ذهباً وفضة أو إلى ما استثمروه في اقتناء بعض العقارات. فحين اعتقل المغربي المدعو خواو موريسكو (João Mourisco)، وجد موظفو المحكمة في حوزته 10000 ريال برتغالي، بينما عثروا على 30000 ريال في حوزة آخر (72). كما ادخر مغربي ثالث 50000 ريال برتغالي (73). واستثمرت ماريا فرنانديث (Maria

(68) Inq. Lix. Livros das visitasões ; San Roque, fol. 23-24.

(69) A. Boucharb, *Les crypto-musulmans*, op. cit., pp 145 sq.

(70) Inq. Lix. proc. n° 6747, fol. 8r°

(71) توجد إشارات كثيرة إلى تلك الولايم بمحاضر محاكمات المغاربة. انظر على سبيل المثال :

Inq. Lix. proc. n° 7692, fol. 4-5 ; n° 3184, fol. 5r° ; n° 12689, fol. 2v° ; Inq. Evora, proc.

n° 8582, fol. 7r° etc.

(72) Inq. Lix. proc. n° 9884, fol. 14 r°

(73) Inq. Lix. proc. n° 8493, fol. 2 v°

(Fernandez) ما ادخرته في اقتناء بيت صغير بمدينة يابرة⁽⁷⁴⁾. وبلغ ثمن البيت الذي اقتنته مغربية أخرى 100000 ريال⁽⁷⁵⁾. واستثمر آخرون مدخراتهم في شراء الدواب التي سخرها للركاء أو في اقتناء بعض العبيد. فقد كانت مغربية - حين اعتقلتها محكمة التفيتيش -، تملك أمة تنوي بيعها بمبلغ قدره 40000 ريال، وبغلة يبلغ ثمنها 10000 ريال⁽⁷⁶⁾. وتجبرنا محاضر أخرى بامتلاك مغاربة لعبيد سود⁽⁷⁷⁾. ونظراً لغلاء البغال وباقي الدواب، كان بعض المغاربة يدفعون ثمنها بالتقسيط. فقد كان أحدهم يدين، حين اعتقاله، بنصف ثمن البغل الذي كان يخصصه للركاء⁽⁷⁸⁾. ويبدو أن جل المغاربة الأحرار المقيمين بالبرتغال كانوا يملكون شيئاً ما. فقد بكت مغربية حظها السيء، لأن باقي المغاربة امتلكوا «الدار والعقار» في حين بقيت تعاني هي من الفاقة⁽⁷⁹⁾.

غير أن ما سبقت الإشارة إليه من مدخرات وممتلكات لا يعكس مستوى عيش لائق، بل على العكس من ذلك: يمكن الجزم بأن ما تم اقتناؤه كان بعد تقشف كبير. فقد كان مؤاطنو المغربية بريتيز فييرا (Brytiz Vieyra) يعتبرونها ذات مال، ومع ذلك «كانت دائماً وسخة وملينة بالوحل، وكانت لا تشتري بالسوق إلا خبز النخالة لتقدمه لزوجها»⁽⁸⁰⁾. وكان حمال مغربي في ميناء سيثويال يعتبر نفسه «رجلاً فقيراً»، بينما كان يملك منزلاً صغيراً، ووجد موظفو المحكمة 1700 ريال برتغالي في حوزته يوم اعتقاله⁽⁸¹⁾.

إلا أن الحظ ابتسم لبعض المغاربة. فقد كان مغربي مقيم في مدينة يابرة يقرض مواطنيه مبالغ مهمة قصد مساعدتهم على اقتداء أنفسهم واستعادة حريتهم⁽⁸²⁾. وكان آخر يملك بمدينة أوليفنسا (Olivença) بيتين قيمة كل واحد منهما 100000 ريال،

(74) .Inq. Evora, proc. n° 4432, fol. 23r°

(75) .Inq. Lix. proc. n° 10839, fol. 5v°

(76) .Inq. Evora, proc. n° 5336, fol. 20 r°.

(77) .Inq. Lix. proc. n° 1117, fol 3 v; n° 10817, fol. 37v; Livros das denúncias, IV, fol. 128 v.

(78) .Inq. Evora, proc. n° 8110, fol. 2r.

(79) .Inq. Lix. proc. n° 6762, fol. 12r.

(80) .Inq. Lix. proc. n° 7693, fol. 3 v.

(81) .Inq. Lix. proc. n° 7590, fol ; 13-14.

(82) .Inq. Evora, proc. n° 8582, fol. 11 r, 20v.

وبستاناً بقيمة 70000 ريال⁽⁸³⁾. وصرح آخر أمام المحققين بأنه يحمد الله على نعمه، إذ أصبح يملك «بيتاً وبستان عنب وزيتون»⁽⁸⁴⁾.

وعرف الشاوي الذي أصبح يسمى أنطونيو ألبرتو (António Alberto) أحسن ترقية اجتماعية على الإطلاق. فبعد اقتداء نفسه بدفع مبلغ مالي، افتتح في لشبونة حانة لبيع الخمر والطعام. وسرعان ما اهتم بالمضاربات وشراء غلات كروم شخصيات كبرى. كما أصبح يقرض متتجي العنب قبل وقت الجنني، ليسترجع أمواله من خلال كمية معينة من الخمر. وكانت المبالغ المقدمة للمزارعين وقت اعتقاله مهمة. فقد اضطر أحد مدينه إلى التنازل له عن ضيعته. وبعد أن اعتقلته محكمة التفتيش في لشبونة لمحاولته الفرار رفقة مغاربة آخرين إلى مسقط رأسه، طلب من القضاة العفو والمغفرة، والتبس إطلاق سراحه «في أقرب وقت ممكن، لأن ماله مشتت في كل مكان، وذلك ليتسنى له جمعه وتفاذي ضياعه»، وكانت مدخرات المغربي المذكور مهمة : فقد استطاع كراء بيت بمبلغ مالي مقداره 14000 ريال، واشترى 40 برميل خمر واكترى بستان كروم بمبلغ مالي مقداره 15000 ريال. وكان المزارعون يدينون له بمبلغ قدره 70000 ريال توصلوا بها ديناً أو أداء مسبقاً عن المحصول المقبل. كما كان ينوي اقتناء بيت في لشبونة بأكثر من 300000 ريال. وللتأثير على المحققين، ولنفي نيته في الفرار، صرح : «بأنه لا يمكنه الذهاب إلى مكان آخر، ما دام الإله قد حباه بهذه الأرض». إلا أنه - وبالرغم من الثروة التي جمعها - اعتقل بسبب إعداداته للفرار 'بحراً' رفقة البحار الملقب بـ«الألكن» الذي اعتقل بدوره⁽⁸⁵⁾. وكانت الحجج دامغة، الأمر الذي يؤكد أن الأوضاع المادية لم تكن وحدها كافية لفرض اندماج المغاربة في المجتمع البرتغالي، وتَجَرُّدِهِمْ من هُوِيَّتِهِمْ الثقافية ومن ارتباطهم بوطنهم.

لقد كانت غالبية الجالية المغربية تجد صعوبة كبرى في ضمان قوتها اليومي. وكان الصراع بينهم من أجل لقمة العيش حاداً. واحتد التنافس حول الشغل إلى حد أنه مثل أهم أسباب الخلاف بينهم. فقد كان المدعو أنطونيو فرنانديث (António Fernandez)، حين اعتقاله، على خلاف حاد مع حمّال مغربي آخر، كان ينعتة

Inq. Evora, proc. n° 9823, fol. 16v. (83)

Inq. Lix. proc. n° 7457, fol. 3v. (84)

Inq. Lix. proc. n° 10837, fol. 2 sq. (85)

باللص والسكير. وكان التنافس على إفراغ سفن التبن التي تدخل ميناء لشبونة سبباً في عداء الشخصيين. وقد أكد عدد من الشهود للمحققين أنهم شاهدوا عدة مرات يتشاجران أو على وشك تبادل اللكمات⁽⁸⁶⁾. وأخبر مغربي آخر المحكمة بعلاقته السيئة مع أحد مواطنيه بقوله : «كنا نتخاصم ونتشاجر بسبب التبن والمراكب وحول من يدخل قبل الآخر المراكب المحملة بالتبن، وكذا بسبب أشياء أخرى يختلف في شأنها المورسكيون كل يوم قبل أن يتصالحوا وأن يعودوا للأكل والشرب مع بعضهم البعض»⁽⁸⁷⁾.

وهكذا كان التنافس على الشغل والعياء المترتب عليه، والمعاناة من مختلف مضايقات المجتمع المسيحي، وإحداث محاكم التفتيش، من أهم أسباب خلاف أفراد الجالية المغربية مع بعضهم البعض. فقد وصلتنا إشارات كثيرة إلى تشاجر مغاربة «جول الكسب بالميناء»، أو حول الحطب وموارد عيش أخرى⁽⁸⁸⁾. فقد كان مكثرو البهايم في تنافس و«تحاسد» مستمرين⁽⁸⁹⁾. وبلغ إلى علم المحققين أن ثلاثة مغاربة كانوا «كالفأر مع القط، وذلك بسبب تنافسهم المستمر على شراء التبن»⁽⁹⁰⁾. وتشاجر إثنان منهم مرّة فبُتِرَ أصبع أحدهما، الأمر الذي جعله يرفع دعوى أمام القضاء⁽⁹¹⁾. وكان التنافس في شأن الشغل بين المغريبات حاداً كذلك⁽⁹²⁾.

3 - انعكاس ظروف العيش على موقف المغاربة من البرتغال وسكانه

وبالطبع، انعكست ظروف العيش القاسية للجالية المغربية على موقفها من البرتغال. فقد كان اندماج أولئك الغرباء وانصهارهم داخل المجتمع البرتغالي رهينين بشرطين إثنين هما : ظروف العيش التي يوفرها ذلك البلد، ونوع العلاقات التي تربطهم بسكانه. وإذا يتعذر علينا - في هذه العجالة - أن نعود إلى مختلف مظاهر عداء المجتمع المسيحي لكل الأقليات التي كانت تعيش بين ظهرانيه، فإنه يمكننا الجزم - في ضوء ما سبقت الإشارة إليه - بأن الشروط المادية لذلك الاندماج لم تكن

⁽⁸⁶⁾ Inq. Lix. proc. n° 12720, fol. 31-32.

⁽⁸⁷⁾ Inq. Lix. proc. n° 2570, fol. 3-4 r.

⁽⁸⁸⁾ Inq. Lix. proc. n° 708, fol. 16r ; n° 1104, fol. 10v

⁽⁸⁹⁾ Inq. Lix. proc. n° 6471, fol. 6r.

⁽⁹⁰⁾ Inq. Lix. proc. n° 10864, fol. 2r.

⁽⁹¹⁾ Inq. Lix. proc. n° 10864, fol. 2r ; n° 1636, fol. 33r.

⁽⁹²⁾ Inq. Lix. proc. n° 6762, fol. 8r ; Evora, proc. n° 9470, fol. 8 r.

متوافرة. فقد عبرت المغربية كاتارينا دو كوتو (Catarina do Couto) عن ظروف عيشها البرتغال بقولها : «إنها كانت في هذا البلد لا تتوقف عن العمل، وكانت تعاني من ضوضائه، وإنما لذلك أصبحت تفكر في بيع متاعها ومغادرتها، لأنه لا يستطيع أي أحد تحمل ظروف العيش في لشبونة»⁽⁹³⁾. لقد كان البرتغال الذي لم «يكن الجوع يبارحه»، «وحيث كانت ورقتان من العشب تباعان بريالين»⁽⁹⁴⁾، يفرض على الأجانب المقيمين به، سواء أكانوا عبيداً أم أحراراً، ظروف عيش لا تُطاق. وقد استنتج بعض المغاربة - بعد إقامة قصيرة جداً في البرتغال - أنه يتعذر المقام فيه لأسباب اقتصادية واجتماعية. فقد نصح المسمى أنطونيو دي أبرو (António de Abreu) قريباً له وصل إلى لشبونة بالعودة إلى وطنه وعدم تصره لتفادي المصير المأساوي الذي يعانيه من سبقه من المغاربة⁽⁹⁵⁾. وحينما علم مغربيان - وهما مسلم ويهودي - أن أحد مواطنيهما ينوي التنصر ليتمكن من الإقامة في البرتغال الذي التحق به منذ مدة قصيرة، خاطباه بقولهما : «لقد أتيت إلى هنا لتتنصر اعتقاداً منك أن هذه الأرض تشبه أرض المسلمين، إلا أن الأمر عكس ذلك : فحينما يلتحق بها مسيحي ليسلم يعطونه الخيل ويخصونه بالماش، هذا فضلاً عن أن البلاد شاسعة ورخيصة. أما هنا، فستموت جوعاً ويقطعون أذنيك ويجلدونك. لماذا تركت بلدك ؟ إن أرضك ودينك أفضل بكثير من أرض المسيحيين ودينهم»⁽⁹⁶⁾.

ولم يكن المغربي أنطونيو فرنانديز (António Fernandes) الذي كان حراً، وكان يبيع الثين بمبناء لشبونة، لم يكن يرى إلا نهاية واحدة لكل من يصل إلى البرتغال : الموت جوعاً⁽⁹⁷⁾. وبما أن المغاربة قد عجزوا عن ضمان مستوى عيش محترم، فإنهم خلصوا إلى هذه النتيجة : «أن هذه البلاد فقيرة وتلزمهم بأن يكذبوا دون توقف، وأنهم وإن فعلوا ذلك لا يجدون ما يقتاتون به، لذا يتوجب عليهم أن يغادروها»⁽⁹⁸⁾ للعودة إلى مسقط رأسهم.

(93) Inq. Lix. proc. n° 3184, fol. 17v-18 r.

(94) Inq. Lix. proc. n° 5086, fol. 21 r, 22 r.

(95) Inq. Lix. proc. n° 10817, fol. 4 v.

(96) Inq. Lix. Livros das denúncias, III, fol. 16v.

(97) Inq. Lix. proc. n° 1636, fol. 4v.

(98) Inq. Lix. proc. n° 10854, fol. 10r.

لقد أصبح البرتغال لدى الأغلبية منهم، إن لم نقل لديهم جميعاً، بلد الحرمان والجوع وسوء المعاملة⁽⁹⁹⁾. فقد أُطْلِعَ خواو لورنسو (Joao Lourenço) زوجته المغربية ليلة زفافهما على نيته في الفرار من البرتغال والعودة إلى بلده، وعزمه على أخذها معه، وبرّر رغبته تلك بظروف العيش الجيدة التي يوفرها المغرب، «حيث ستتحسّن أحوالهما... لكونه بلد الرخاء والأثمان البخسة، كما أنه لا يرغب في قضاء عمره في حمل الأكياس في سوق الحبوب»⁽¹⁰⁰⁾. لذا خيم شعور من اليأس على كل المغاربة، عبيداً كانوا أم أحراراً. فلم يكن هؤلاء يرون في البرتغال بلداً يشجع على الإقامة فيه، دخلوا إليه من تلقاء أنفسهم ودون إكراه. فيما أن رفيق مغربيّ بززانة محكمة التفتيش - وكان بدوره من أصل إسلامي وإن لم يكن مغربيّاً - عبّر عن رغبته في أن يطلق المحققون سراحه بسرعة ليتزوج ويستقر في بلد البرتغال، فإن المغربي «تمنى ألاّ يمكنه الله أبداً من الزواج والإنجاب في البرتغال»⁽¹⁰¹⁾، وذلك طبعاً حتى يسهل عليه الفرار والعودة إلى وطنه. وقد وقفنا من خلال محاضر محاكمات مسلمين آخرين من بلدان أخرى، فرض عليهم بدورهم التنصر واعتناق المسيحية، على خيبة أمل مماثلة، وعلى رغبته في الفرار من البرتغال والالتحاق ببلد إسلامي، وبالمغرب على وجه الخصوص، نظرا لقربه وسهولة الوصول إليه بحراً. لذا كانت المحاكمات التي تمت في محكمة لشبونة بسبب فشل محاولات الفرار تفوق من حيث العدد تلك التي تمت لأسباب دينية محضة⁽¹⁰²⁾.

(99) Inq. Lix. proc. n° 6440, fol. 2r ; n° 9519, fol. 7r.

(100) Inq. Lix. proc. n° 1636, fol. 37r.

(101) Inq. Lix. proc. n° 1669, fol. 27r.

(102) انظر الفصل الذي خصصناه لمراحل محاكمة الجالية المغربية المقيمة في البرتغال ومختلف التهم التي وجهها لها المحققون، ضمن : A. Boucharb, *Les crypto-musulmans*, op. cit., pp. 479, s.q.

من مظاهر الحياة الاجتماعية بالأندلس (طقوس الجنائز)

عصمت دندش

كلية الآداب - الرباط

محطات ثلاث تُعدُّ أهمُّ الأحداث في حياة الإنسان : الميلاد، والزواج، والموت. ومع أن الميلاد والموت لا تدخل للإنسان فيهما، مع ذلك تكثر الكتابات حول هذه الأحداث، ولكنها تختلف وتتفاوت من حدث لآخر. فالميلاد بداية الحياة، والزواج مرحلة النضج والسعادة وإنجاب الذرية، بينما الموت نهاية المطاف الذي لا بُدَّ منه.

وترتبط بكلُّ من هذه المناسبات مظاهر اجتماعية واحتفالات بالمناسبات السعيدة أو الحزينة. ولا شك في أن هذه الاحتفالات تصحبها كثير من العادات والتقاليد والبدع التي قد تختلف - في كثير أو قليل - من بلد إلى آخر. والمجتمع الأندلسي أمتاز ببعض السمات والخصوصيات التي لازمتها في معظم فتراته، نظرا لتعدد أجناسه وتداخلها نتيجة التزاوج وانصهار هذه الأجناس وذوبانها في المجتمع الإسلامي مع احتفاظها بكثير من عاداتها وتقاليدها قبل الإسلام. كما كان لوجود عدد من النصارى واليهود داخل هذا المجتمع أن جعله مجتمعاً تُمَيِّع فيه التقاليد الإسلامية وتختلط بين ما هو إسلامي وما هو غير إسلامي.

فإذا أخذنا طقوس الجنائز في الأندلس، فهذا لا يعني أنه يختلف في كثير من العادات والتقاليد عنه في أنحاء شتى من العالم الإسلامي، ولكنه مع ذلك له بعض الخصوصيات.

ومن الملاحظ في الفتح الإسلامي تخصيص مكان يكون مقبوة للمسلمين. وبعد فتح الأندلس، أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز والي الأندلس السمح بن مالك

الخولاني بتحسيس قطع من أراضي الخمس لتكون مقابر للمسلمين، كما كان بعض المسلمين يحبس قطعة أرض أو فدانا أو أكثر للمقبرة، ويمنع استغلال هذه الأحباس في غير ما حُبست له. وكانت لهذه الأحباس احترامها وعدم المساس بها، حتى ولو هجرت المقبرة ولم يعد يدفن فيها. ومع ذلك، فهناك بعض التجاوزات وعدم احترام ذلك باغتصاب بعض القبور، ولكنها حالات فردية ونادرة الحدوث. فقد ذكر ابن حيان ما فعلته صنهاجة بجثة أحدهم الذي قتله باديس بن حبوس، إذ خرجوا بالجثة على نعش للمقبرة فوجدوا قبراً قد احتفر لميت من أهل البلد فصبوا صاحبهم الصنهاجي فيه وواروه من غير غسل ولا كفن ولا صلاة؛ فعجب الناس من سجيئتهم في الاغتصاب حتى الموتى في قبورهم⁽¹⁾.

والمقابر عادة ما تقام خارج المدينة أو خارج أسوارها بجوار أحد أبوابها، ومن خلال المصادر، تعرفنا على عدد كبير من المقابر المشهورة بالأندلس. في قرطبة مقبرة أم سلمة وابن عباس وقريش والربض العتيقة والجديدة وروضة الصلحاء ومقبرة متعة وموصرة وحلال وابن عباس الوزر وغيرها.

وفي اشبيلية مقبرة مُشكّة والنخيل والفخارين وروضة سوق البقر خارج باب قرمونة أحد أبواب لإشبيلية، ومقبرة الصلحاء خارج باب مقرانة، وكدية الخيل خارج إشبيلية.

ومن غرناطة مقبرة باب فنتالة، وجبانة باب الفخارين من أسفل السفح تجاه القصور الحكمية، ومقبرة الصلحاء.

وفي ألمرية مقبرة الأخرس بالربض ومقبرة باب بجانة ومقبرة الحوض.

وفي بنسية مقبرة باب الحنش وباب بيطالة وباب الخير والمصلى.

وفي مرسية مقبرة ابن فريخ بربض سرحان ومقبرة باب أحمد.

ولكن كثيراً ما تتسع المدينة وتمتد خارج أسوارها. وبذلك تصبح بعض من هذه المقابر داخل المدينة فيجتازها الناس والعجلات والحيوانات اختصاراً للطريق كما حدث في مقبرة متحة. بل كانت جنائز النصارى تمر منها، مما استدعى تدخل قاضي

(1) ابن الخطيب، الإحاطة، ج 1، ص. 466.

المدينة ومحتسبها لمنع هذه الأمور التي تخل بحرمة الموقى⁽²⁾؛ بل من الممكن أن تتقارب مقبرة للمسلمين مع أخرى لأهل الذمة، إذ كانت مقبرة حلال لا يفصلها عن مقبرة اليهود إلا الطريق السالك بجوفي قرطبة⁽³⁾.

وأحياناً تصب بعض القنوات في المقابر، ممّا يتسبب في إتلافها كما حدث لقنوات عامر التي رفعت بشأنها شكاية للأمير، فأمر القاضي والفقهاء بالانتقال والمعاينة وإعلامه بصحة الشكوى ومدى التلف الذي لحق بالمقبرة، فكان الرأي وجوب ردم هذه القنوات لكف أذاها عن إتلاف المقابر وصيانة حرمة الأموات مهما طال عهدها، إذ لا تقادم ولا تهاون في تلك الحرمة⁽⁴⁾.

ولم يأنف البعض أن تكون سكناء بجوار المقبرة، تطل عليها. فقد كان لنصر الحصي قصر بمنيته إلى جانب مقابر الرض، ويطل أيضاً على الوادي الكبير⁽⁵⁾؛ وكان يطيب للفقيه أبو وهب عبد الأعلى الإقامة بمنته بقرب مقبرة قريش، وكان يعتمرها بيده ويقابل بها طلبة العلم⁽⁶⁾.

والقبور في بداية الفتح كانت بسيطة البنيان ترتفع قليلاً عن الأرض، وكان القضاة والمحتسبون يأمرّون حفاري القبور بتعميقها قدرًا معقولاً بحيث لا تظهر روائحها ولا يتمكن السباع والكلاب من نبشها، وأن يستر ما خرج من عظام الموقى في التراب ولا يتركه ظاهراً⁽⁷⁾. وتظهر المشكلة عندما يكون الدفن في وقت الشتاء وتكون الأمطار غزيرة فتدخل المياه للقبر الذي حُفّر، مما يستدعي نزع المياه وفرش القبر بالرمال⁽⁸⁾.

وبمرور الزمن واتساع العمران والرخاء بالأندلس، شمل التغيير كل مناحي الحياة، حتى الموت ومراسيم الجنازة والقبور، ولم يستثن منها طبقة الخاصة أو العامة،

(2) خلاف، القضاء، ص. 412.

(3) ابن بشكوال، الصلاة، ج 1، رقم 675، ص. 295.

(4) خلاف، م.س.، ص. 405.

(5) ابن حيان، المفتش، تحقيق مكّي، ص. 12.

(6) ابن الأثير، التكملة، ج 2، رقم 1863، ص. 751.

(7) عياض، تَوَازُلُ الأحكام، تحقيق د. بنشريف، ص. 301؛ وابن رشد، الفتاوى، رقم 1242؛ وابن

عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص. 27.

(8) ابن عبد الملك، الدليل والتكملة، سفر 6، رقم 440، ص. 166.

فتبدع الأندلسيون في بناء القبور والقباب والسقائف والروضات عليها، وتفننوا في زخرفتها ونقشها، وبلغت أوجها في دولة غرناطة النصرية. ولكن هذا لم يمنع بعض أولي الأمر من العلماء في كل عصور الأندلس - من الإمارة إلى السقوط - من أن يأمرؤا بهدمها وتغييرها وحط سقفها وما علا من حيطاتها، ولا يترك منها إلا ما أباحه أهل العلم من الجدران اليسير ليميز به قبور الأهلين والعشائر. وقد حفلت كتب النوازل وكتب الحسبة بمثل هذه الأوامر. كما كان يلاحظ في المباني المطلّة على المقبرة ألا تكون لها نوافذ أو أبواب تفتح أو تطل عليها، ويؤمر أصحابها بإزالة المخالفات أو سد الكوى والنوافذ المطلّة على القبور، حتى لا تكشف النساء. ويمنع بناء الأحيية على القبور أو السكنى بها، أو تجول الباعة في طرقها، وشدد أولو الأمر على المحتسب بأن يمر في اليوم مرتين لمراقبة الشباب العاثر الذي يعترض النساء داخل أفنية المقابر خصوصاً أيام الصيف عند خلاء الطرق في القيلالات⁽⁹⁾.

واتخذ أهل الأندلس شواهد للقبور من الرخام الفاخر المصقول الذي كانت تشتهر به ألمرية وغيرها من مدن الأندلس، ونقشوا عليه إسم المتوفى وتاريخ وفاته. وتبارى البعض في كتابة المراثي وذكر فضائل الميت والمبالغة في ذكر خصاله وأفعاله، وكانت تتسم بالطول أو القصر على حسب مكانة صاحب القبر. وهناك أمثلة كثيرة لذلك، منها على سبيل المثال ما كتب على قبر ملك غرناطة النصرى إسماعيل بن فرج : فقد كتب على لوح من الرخام بإزاء رأسه : «هذا قبر السلطان الشهيد فتاح الأمصار، وناصر ملة المصطفى المختار، ومحبي سبيل آبائه الأنصار، الإمام العادل الممام الباسل، صاحب الحرب والخراب، الطاهر الأنساب والأثواب، أسعد الملوك دولة، وأمضاهم في ذات الله صولة، سيف الجهاد ونور البلاد.

وفي الجهة الأخرى من اللوح قصيدة طويلة من نظم ابن الحياض⁽¹⁰⁾.

ومثل الأشعار التي كتبت على قبر المنصور بن أبي عامر :

آثاره تنبئك عن أوصافه حتى كأنك بالعيان تراه
تأله لا يأتي الزمان بمثلته أبداً ولا يحمي الثغور سواه⁽¹¹⁾

(9) المصادر السابقة.

(10) ابن الخطيب، الإحاطة، مجلد 1، ص. 401، 402.

(11) المقرئ، م.ص.، ج 3، ص. 189.

ومن الناس من كان ينظم لنفسه بعض الأبيات ويوصي بأن تكتب على قبره بعد وفاته. وهناك نماذج كثيرة : فقد نظم ابن زهر الحفيد أبياتا أوصى أن تكتب على قبره، وفيها إشارة إلى طبه ومعالجته للناس :

تأمل بفضلك يا واقفاً ولا حظ مكاناً دفعنا إليه
تراب الضريح على صفحتي كأني لم أمش يوماً عليه
أداوي الأنام حذار المنون فها أنا قد صرت رهناً لديه⁽¹²⁾

وأمر الوزير الكاتب أبو بكر بن مغاور بكتِّب هذه الأبيات على قبره، وهي له :

أيها الواقف اعتباراً بقبري استمع فيه قول عظمي الريمي
أودعوني بطنَ الضريح وخافوا من ذنوب كلومها بأديمي
قلت لا تجزعوا عليّ فإني حسن الظن بالرووف الرحيم
ودعوني بما اكتسبت رهيناً غلق الرهن عند مولى كريم⁽¹³⁾

ونظم ابن الزقاق هذه الأبيات، ويقال إنها مكتوبة على قبره :

إخواننا والموت قد حال دوننا وللموت حكم نافذ في الخلائق
سبقتكم للموت والعسر طيه وأعلم أن الكل - لايد - لاحقي
بميشكم أو باضطجاعي في الرى ألم تك في صفو من العيش رائق
فمن مر بي فليمض لي مترحماً ولا يلك منسياً وفاء الأصادق⁽¹⁴⁾

وأوصى أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بكتابة هذه الأبيات على قبره :

سكنْتُك يا دارَ الفناء مصدقاً بأني إلى دار البقاء أصير
وأعظم ما في الأمر أني صائر إلى عادل في الحكم ليس يحور
فيا ليت شعري كيف ألقاه عندها وزادي قليل والذنوب كثير
فإن ألك مجزياً بذنبي فأنسي بشر عقاب المذنبين جدير
وإن يلك عفو من غني ومفضل فكلم نعيم دائم وسرور⁽¹⁵⁾.

(12) المقرئ، نفع الطيب، ج 3، ص. 434.

(13) ن.م.، ج 3، ص. 331 ؛ ج 4، ص. 342.

(14) ن.م.، ج 4، ص. 340 ؛ الديوان، ص. 205.

(15) المقرئ، م.س.، ج 3، ص. 297.

ولبس أهل الأندلس البياض في المناسبات الحزينة بعكس أهل المشرق الذين يلبسون السواد. وقد قال بعضهم في هذا المعنى :

أَلَا يَا أَهْلَ أَنْدَلَسٍ فَطِئْتُمْ بِلُطْفِكُمْ إِلَى أَمْرِ عَجِيبٍ
لَبِستم فِي مَاتِمِكُمْ بِيَاضاً فَجِئْتُمْ مِنْهُ فِي زَيٍّ غَرِيبٍ
صَدَقْتُمْ فَالْيَاضَ لِبَاسَ حُزْنٍ وَلَا حُزْنَ أَشَدَّ مِنَ الْمَشِيبِ (16).

وتختلف المراسم المتبعة في الوفاة من حالة إلى أخرى، خصوصاً إذا كان الميت مغضوباً عليه من السلطان أو بالأحرى قتل بأمره أو بيده. وكثيراً ما نجد إشارات كثيرة في المصادر إلى قيام بعض أولي الأمر بقتل منافسيهم أو الخارجين عليهم، أو حتى أبنائهم بأيديهم. وتكون سمة الوحشية ظاهرة في الانتقام : فقد أمر المستنصر الموحدي بضرب ابن غالب الداني ألف سوط وصلب، فضرِبَ بإشييلية خمسمائة وفاضت روحه؛ إلا أنهم استمروا في ضربه بقية الألف حتى تآثر لحمه ثم صُلب، فرثاه ابنه بقصيدة منها :

جَهلاً لَمِثْلِكَ أَنْ تُبْكِي لَمَّا قُدِّرَا وَأَنْ يَقُولَ أُسَى يَا لَيْتَهُ قُبِرَا
فَاضَتْ دَمْعُوكَ أَنْ قَامُوا بِأَعْظَمِهِ وَقَدْ تَطَايَرَ عَنْهُ اللَّحْمُ وَأَنْتَ ثَرَا
ضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ مِمَّا كَانَ حَمْلَهَا مِنَ الْأَيَادِي فَمَجَتْ شِلْوُهُ ضَجْجَرَا
وَعَزَّ جَسْمُكَ أَنْ يَحْطَى بِهِ كَفَّنٌ فَمَا تَسْرِيهِ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (17).

وقام علي بن حمود بقتل الخليفة المستعين بالله سليمان بن الحكم صبراً بيده في قرطبة بدعوى أخذه بدم هشام المؤيد، وقال عندما هَمَّ بقتله : «لا يقتل الزلطان إلا الزلطان»، يعني السلطان، ثم أمر بقتل أخيه وأبيه، وقطعت رؤوس الثلاثة في طست، وأخرجت من القصر إلى المحلة ينادي عليها هذا جزاء من قتل هشاماً، ثم ردت الرؤوس الثلاثة وغسلت وطيبت وأمر بدفنها مع أجسادها (18).

وأمر المعتضد خادمين من فتيانه بقتل الفقيه أبي حفص عمر الهوزني، ولكنهما أشفقا من سوء فعله، وفرّا لا يباليان بغضب المعتضد أو سروره، فقام إليه بنفسه وباشر قتله بيده ثم أمر بدفنه بثيابه دون غسل أو جنازة.

(16) المقرئ، م.س.، ج 3، ص. 440 ؛ الشريشي، المقامات، ج 1، ص. 49.

(17) ن.م.، ص. 310.

(18) ابن الخطيب، م.س.، ج 4، ص. 274.

وإذا كانت المثلة بجثث الموتى أو بنش قبور المسلمين من قبل النصارى قد أصبحت عادة متبعة من قبلهم، فإنه كان من غير المقبول من قبل المسلمين في أي عصر من العصور مهما كان الدافع. فالإسلام نهى عن المثلة وأمر باحترام الميت، ومع ذلك كان يحدث في بعض الأحيان المثلة بجثث الخصوم أو بنش قبورهم تشفياً وحققاً. فعندما أوقع ابن حفصون بسوار بن حمدون سنة 277 هـ - وكان علماً من أعلام العرب وصاحب لواء قيس بالأندلس - جيء بجثة سوار إلى ألبيرة لعرضها، فذكر أن الثكالي من نساها قطع لحمه مزقاً، وأكلته حنقاً لما نالهن من الثكل إغراقاً في شهوة التشفي⁽¹⁹⁾.

وكان المعتضد يتلذذ برؤية رؤوس ضحاياه التي احتفظ بها بطريقة تمنعها من التحلل، ووضع في أذن كل رأس إسم صاحبها. فلما فتح المرابطون لإشبيلية، دفعوا بهذه الرؤوس إلى أهلها لدفنها⁽²⁰⁾.

واعتاد أهل الأندلس في حالة الوفاة الطبيعية أن ينعوا الميت بأن يصعد أحد الناس إلى صومعة المسجد الجامع أو الأعظم في ريع النهار ويقرأ شيئاً من القرآن، ويذكر مثل ما يفعل المؤذن بالليل، ثم يدور في الصومعة ويقول فلان مات وجنازته في كذا، فاشهدوا جنازته؛ كما يسير شخص في أسواق وطرق المدينة يعلن عن الوفاة ومكان الجنازة⁽²¹⁾.

ويُجهَّز الميت للدفن. وكان الذي يقوم بهذا العمل مستأجراً أو متطوعاً، فكان يستأجر من يقوم بالغسل والتكفين لقاء أجر معين يُتَّفَقُ عليه، ويشترط فيه أن يكون على معرفة بخطوات الغسل. فكثيراً ما يكون الغاسل جاهلاً بما هو متبع، أو يهمل أو يسهو عن بعضها، فكان يستحب أن يقف معه أحد قرابة الميت أو أحد أصدقائه من العلماء⁽²²⁾.

وفي حالة وفاة أحد العلماء كثيراً ما يقوم بعض من رفاقه بهذا العمل متطوعاً أو يكون المتوفى قد أوصى بأن يقوم بهذه المهمة أحد بعينه. فعندما توفي أبو عبد الله

(19) ن.م.، ج 3، ص. 331.

(20) ابن الأبار، الحلة السرياء، ج 2، ص. 50.

(21) ابن الحاج، المداخل، ج 2، ص. 226؛ ابن رشد، البيان والتحصيل؛ الزنبري، المعيار، ج 1،

ص. 317؛ ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة، ص. 69، 76.

(22) ابن الحاج، م.ن.، ج 3، ص. 254.

محمد بن نوح وكان من كبار المقرئين، تولى غسله المؤذن أبو عبد الله بن الرقام، وتولى صب الماء عليه أبو الحسن بن خيرة الخطيب وابن واجب وأبو الربيع بن سالم⁽²³⁾.

واستعمل في تكفين الميت أثواب القطن أو الكتان أو الحرير تباهاً وفعراً. وكان بعض العلماء يوصي بأن يكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة⁽²⁴⁾. وكان بعض الأمراء يتولون تجهيز الميت، خصوصاً إذا كان من الفقهاء والعلماء ورجال الدولة احتراماً وتقديراً، فيرسلون إلى ذويهم الأكفان والحنوط⁽²⁵⁾.

ومن البدع التي شاعت وأصبحت من أعرافهم في بعض الأوساط أنهم، بعد غسل الميت وتكفينه، يأتون به إلى حضرة الرجال إن كان رجلاً أو إلى النساء إن كانت امرأة، فيلقي المعزون بالمال فوقه⁽²⁶⁾. بعد ذلك، يحمل السرير أو الحفة المشيعون من الأهل والأصدقاء أو فرسانه وخدمه⁽²⁷⁾. وكان يحدث عند حمل الميت الجهر بالتهليل والتصلية والتبشير والتنذير ونحو ذلك على صوت واحد⁽²⁸⁾.

وعند خروج الميت من منزله يقيمون الصبحة العظيمة نساء ورجالا وقد يختلطون ويسمون ذلك وداعاً للميت وقياماً بحقه⁽²⁹⁾. والأدهى أن هذه الأمور كانت تحدث من بيوت اشتهر عن أصحابها العلم. فابن حزم يذكر ذلك عند حديثه عن وفاة إحدى قريباته⁽³⁰⁾.

وإذا كان المتوفى فتى أو فتاة لم يتزوج، كانوا يودعونه بالزغاريد⁽³¹⁾.

وقد يتبع الجنائز الشموع والنساء والنوائح حاسرات الرأس مكشوفات الوجوه،

(23) ابن عبد الملك، م.س.، سفر 6، رقم 346، ص. 137؛ ابن بشكوال، الصلوة، ج 1، رقم 557، ص. 240.

(24) ابن بشكوال، الصلوة، ج 1، رقم 557، ص. 240.

(25) عياض، المدارك، ج 4، رقم 647.

(26) ابن الحاج، م.س.، ج 3، ص. 258.

(27) ابن الخطيب، م.س.، ج 3، ص. 344.

(28) الوئشري، م.س.، ج 1، ص. 313.

(29) ابن الحاج، م.س.، ج 3، ص. 257.

(30) ابن حزم، طرق الحمامة، ص. 80.

(31) الوئشري، م.س.، ج 1، ص. 334.

مما يستدعي في كثير من الحالات تدخل القضاة والمحسين لمنعهم من السير وراء الجنائز، وزجر من يشجعهم على ذلك⁽³²⁾.

وقد ذكر أن القاضي أبا بكر بن يعيش كان يتصدى بنفسه لمنع النساء من الخروج من باب طليطلة خلف الجنائز، وكان هذا العمل أحد الأسباب التي أدت إلى كراهية الناس له وأدت إلى عزله⁽³³⁾.

ويختلف موكب الجنائز بحسب مكانة المتوفى. فإن كان من أكابر الدولة والعلماء والفقهاء أو الصلحاء، فإن الأمراء كثيراً ما كانوا لا يتخلفون عن تشييع الجنائز، فكانوا يسيرون على أقدامهم إكباراً واحتراماً لشخصية المتوفى. وربما ذهب ركباً وترجل أمام قبره ويقف إلى أن يوارى لحده تنوياً بقدره وإشادة ببقاء الحرمة على خلفه⁽³⁴⁾.

ولم يكتف الأمراء بتشيع رجال الدولة بل تعدوه إلى تشييع بعض نساء الخاصة أيضاً. فقد مشى الأمير الحكم بن هشام في جنازة زوجة الفقيه طالوت بن عبد الجبار راجلاً إلى مقبرة الرض، ثم انصرف معه إلى منزله مشاركة منه في حزن الفقيه على زوجته. وعندما توفيت أم الخليفة هشام المؤيد السيدة صبح سنة 388 هـ⁽³⁵⁾، احتفل المنصور بن أبي عامر في جنازتها ومشى فيها حافياً مبالغاً في الحزن وصلى عليها ووزع خمسمائة دينار على قبرها⁽³⁶⁾.

وكانت الجنائز التي يشيعها الأمراء وأصحاب السلطان فرصة لأن يتصدى لهم المتظلمون لعرض مظلمتهم⁽³⁷⁾.

ويزدحم الناس خاصة وعامة لشهود جنازة المتصوف الذي شهر عنه الصلاح وإجابة الدعوة. ويتنافسون على حمل نعشه على الأنامل⁽³⁸⁾. وربما مزقوه أو كسروه

(32) السقطي، رسالة في الحبسة، ص. 48.

(33) عياض، م.س.، ج 4، رقم 755.

(34) انظر على سبيل المثال: الدليل والتكملة، سفر 6، رقم 424، ص. 159، رقم 684، ص. 236،

705، ص. 252، 833، ص. 318، 306، ص. 316، 1021، ص. 380، 1263،

ص. 489، التكملة، رقم 162؛ الإحاطة، ج 4، ص. 80، 110، 107.

(35) عياض، المدارك، ج 2، ص. 506، ابن عبد الملك، الدليل والتكملة، بقية سفر 4، رقم 274.

(36) خلاص، م.س.، ص. 90.

(37) الثوري، م.س.، ج 3، ص. 37.

(38) ابن عبد الملك، م.س.، سفر 6، رقم 1021، ص. 380.

تبركا به⁽³⁹⁾. فكانت جنازة الشيخ الصوفي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري المعروف بالصناع (ت 749 هـ) «آخذة في الاحتفال قدم لها العهد، ونفر لها الناس من كل أوب، وحيء يسريه تولخ عليه العناية وتحفه الأتباع المقتاتون من حل أموالهم وأيديهم من شيوخ البادية، فتولوا مواراته تعلق الأصوات حول ببعض أذكاره»⁽⁴⁰⁾.

ويصف ابن الخطيب جنازة الصوفي أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بالساحلي بأنها «كانت مشهودة : تراحم الناس على نعشه، وتناولوه تمزيقاً على عادتهم من ارتكاب القحة البادرة في مسلخ حسن الظن»⁽⁴¹⁾.

ولم يقتصر الأمر على صلحاء الرجال، بل كانت جنازة بعض النساء اللائي عرف عنهن الصلاح يتراحم عليها المشيعون من الرجال والنساء والصبيان. فقد وصف ابن بشكوال جنازة فاطمة أخت الفقيه يوسف بن يحيى المغامي بأنه «لم ير على نعش امرأة قط مارئي على نعشها»⁽⁴²⁾.

وكثيراً ما كان يصلي على المتوفى أحد من أفراد أسرته، خاصة إذا كان أسرة من العلماء، كأن يصلي الإبن على الأب أو العكس أو يصلي الأخ على أخيه. وهناك شواهد كثيرة على ذلك⁽⁴³⁾. ومنهم من كان يوصي بأن يصلي عليه شخص بعينه، مثل وصية أبي القاسم محمد بن عبد العزيز بن عتاب الذي أوصى بأن يصلي عليه صهره القاضي أبو عبد الله بن أصبغ⁽⁴⁴⁾. وهناك أمثلة كثيرة.

ويتم الدفن عادة في مقابر المدينة إلا إذا أوصى المتوفى بغير ذلك : بأن يدفن مثلاً داخل مسجد بناه⁽⁴⁵⁾، أو في داره. فقد أعد أبو الوليد سعد السعود بن عفير الأموي قبراً لنفسه بجوفي داره وأوصى أن يُدفن فيه وكان يتعاهده بتقديسه والقراءة فيه

(39) ابن الأبار، التكملة، ج 2، رقم 1671، ص. 652.

(40) ابن الخطيب، الإحاطة، مجلد 1، ص. 230.

(41) ن.م.، ص. 241.

(42) ابن بشكوال، م.ص.، رقم 1527، ص. 653.

(43) على سبيل المثال: صلاة قاضي الجماعة ابن رشد على آبنه، وصلاة ابن حمدين على والده، وابن حسون صفوان بن ادريس على ابنه، وأبي القاسم بن يشكوال على أخيه أبي عبد الله.

(44) ابن عبد الملك، م.ص.، سفر 6، رقم 1046، ص. 391.

(45) ابن الأبار، التكملة، ج 1، رقم 242، ص. 93، رقم 532، ص. 201.

حتى توفي (ت 588 هـ) (46). وأوصى الوزير أبو عامر بن شهيد بأن يدفن بجانب صديقه أبي الوليد الزحالي (47).

وغالباً ما يدفن العلماء والصالحون بجوار بعضهم إجلالاً لقدرهم، أو يختار بعض الناس الدفن بجوارهم لما ورد : «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم». فابن عبد الملك يذكر أن بأاً الحسن محمد بن عبد العزيز الشقوري (ت 579 هـ). دفن بمقبرة أم سلمة على قارعة الطريق إزاء قبر هارون بن سالم وحيث قبر ابن حبيب وابن وضاح، قدس الله تربتهم (48).

وفي كثير من الأحيان يلحد العلماء أقرانهم أو شيوخهم. فعندما مات أبو عبد الله محمد بن قاسم المعروف بالقطان، ألحده في قبره الخطيب القاضي أبو عبد الله الطنجالي (49). وقام أبو الحسن بن خيرة الخطيب بجامع بلنسية بالصلاة على ابن نوح وإقباره في مقبرة باب الحنش ونزل معينا له في إقباره الأستاذ أبو عبد الله بن أبي البقاء (50).

وفي حالة الأوبة أو الفتنة والفوضى، كثيرا ما يخاف الناس من الاشتراك في صلاة الجنازة كما حدث أثناء الفتنة البربرية في قرطبة التي لقي فيها كثير من القضاة حتفهم. وتدفن الجثث جماعياً، وفي بعض الأحيان تترك في العراء لا تجد من يدفنها مدّة (51).

وإذا مرت الجنازة أمام أحد، عليه أن يقف إذا كان جالسا ويقول إنا لله وإنا إليه راجعون، ويدعو للميت بالرحمة والغفران. ومن الناس إذا مرت أمامه جنازة حركت فيه الموهبة الشعرية فيرتجل بعضها من نظمه. قال أبو الحسن الألبيري (52) عندما مرت أمامه جنازة أحد أصدقائه :

تَمُرُّ لِدَائِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَأَعْلَمُ أَنِّي بَعْدَهُمْ غَيْرُ خَالِدٍ

(46) ابن عبد الملك، م.س.، سفر 4، رقم 44، ص. 18.

(47) ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، مجلد 1، ص. 333.

(48) ابن عبد الملك، م.س.، سفر 6، رقم 1037، ص. 387 ؛ ابن الأبار، م.س.، ج 2، رقم 1436.

(49) ابن الخطيب، م.س.، ج 3، ص. 242.

(50) ابن عبد الملك، م.س.، سفر 6، رقم 346، ص. 137.

(51) ابن بشكوال، م.س.، ج 1، رقم 571، ص. 246، رقم 580، ص. 254.

(52) المقرئ، م.س.، ج 3، ص. 189.

وَأَحْيِلْ مَوْتَاهُمْ وَأَشْهَدْ دَفْنَهُمْ كَأَنِّي بَعِيدٌ عَنْهُمْ غَيْرُ شَاهِدٍ
فَهَا أَنَا فِي عِلْمِي لَهُمْ وَجْهَاتِي كَمَسْتَبْقِظُ يَرْتُو بِمَقْلَةٍ رَاقِدٍ

وفي نفس السياق قال أبو إسحق الفزاري (53) :

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان - قبل الموت - بانيها
فإن بناها بخير، طاب مسكنها وإن بناها بشرًا، خاب بانيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها
وللحتوف ترى كل مرضعة وللـبلى برأ الأرواح بارها

ومن المفارقات في الجنائز التي لا تتناسب مع جدية الموقف ما يفعله الذين يسبقون الجنائز ويجلسون لانتظارها ويتحدثون في التجارات والصنائع وأمور الدنيا، بل بعضهم يفعل ذلك والميت يُقبر، وبعضهم يتضحكون حين يتكلمون، وآخرون يتسمنون، وآخرون يستمتعون منشغلين عما يلزم من إظهار الحزن والاعتبار (54). خرج القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى بن يحيى إلى حضور جنازة. وكان لرجل من إخوانه منزل بقرب مقبرة قريش، فعزم عليه في الميل إليه، فنزل وأحضر طعاما، وغنت جارية :

طابَتْ بِطَيْبِ إِثَائِكَ الْأَقْدَاخُ وَزَهَتْ بِحُمْرَةِ وَجْهِكَ التُّفَّاحُ
وَإِذَا الرِّبْعُ تَسَمَّتْ أَرْوَاحُهُ نُمْتُ بِعُرْفِ بَسِيمِكَ الْأَرْوَاحُ
وَإِذَا الْخُنَادِسُ أَلْبَسَتْ ظِلْمَاءَهُمَا فُضِيَاءَ وَجْهِكَ فِي الدَّجَى مَصْبَاحُ
فكتبتا القاضي طربا على ظهر يده. قال الراوي : فلقد رأيته يكبر على الجنازة والآيات على ظهر يده (55).

وفي بعض الأحيان يفاجأ بأن تابوت القبر ليس على قياس الميت، مما يستدعي حشره أو خروجه عدة مرات حتى يسوى على قده. يقول ابن عبدون : «فإني رأيت ميتا قد أخرج من قبره ثلاث مرات، ورأيت آخر يدخل فيه بالضغط» (56).

(53) ابن الأثير، م.س.، ج 2، رقم 1929، ص. 786.

(54) ابن عبد الرؤوف، رسالة من الحسبة، ص. 76 ؛ ابن الحاج، م.س.، ج 3، ص. 269.

(55) المقرئ، م.س.، ج 3، ص. 564.

(56) ابن عبدون، م.س.، ص. 48.

بعد الدفن يتلقى أهل الميت العزاء عند المقبرة أو في منزلهم أو ترسل تعزية إذا تعذر الحضور. وهناك نماذج كثيرة لذلك. وذكر ابن بسام أن الوزير أبا الوليد بن زيدون عندما توفيت ابنته، وبعد الفراغ من دفنها، وقف الناس عند منصرفهم من الجنائز ليتشكر لهم. فقليل إنه ما أعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لأحد. فإذا كان في تلك الجنائز على الأقل ألف رئيس ممن يتعين عليه أن يتشكر له ويضطر إلى ذلك، فيحتاج في هذا المقام إلى ألف عبارة مضمونها الشكر. وهذا كثير إلى الغاية، لا سيما من محزون فقد قطعة من كبده» (57).

وتحفل المصادر الأدبية وغيرها بما يسمى أدب التعازي، فشهروا عن كثير من كتاب الأندلس البراعة فيه أمثال ابن أبي الخصال وابن الحافظ بن عبد البر وغيرهم كثير، كما لا يخلو ديوان من دواوين شعراء الأندلس أو غيرهم من أشعار قيلت في العزاء أو الرثاء. وأصدق ما نظم ممن له صلة بالمتوفى؛ فإنه نابع من قلب محزون لفقد حبيب أو صديق.

ويقام المأتم سبعة أيام يُزارُ القبر فيها كل صباح ويقرأ عليه القرآن (58). وقد ذكر أن أبا بكر محمد بن حمز المعروف بالمتانجشي بلغ به الحزن على فقد زوجته بنت الحضرمي مبلغا كبيرا، فكان يذهب إلى قبرها ويرثل قطعة شعر فيها كل صباح حتى أكمل السابع منها، قال :

يا ربة القبر فوق القبر ذو حرق يكي له القبر من شجو ومن شجن
تباينت فيك أحوالي أسى فمضى إلى لقاءك صبري طالب الوسن
وخالف القلب فيك العين من كمد فاسود بالغم وأبيضت من الحزن (59)

ويقول أبو عامر بن الحمارة في رثاء زوجته وكان يهواها :

أَنْزَبَ إِنْ ظَعَنْتِ فَإِنْ ظَهَرَأ أَقْلَلِكِ سَوْفَ تَرْكِبُهُ الْمَقِيمِ
بَأَيَّةِ حِجَّةٍ أَسْعَى لِأَنْتَسَى سَوَاكِ وَأَنْتِ هَامِدَةٌ هَشِيمِ
وَلَمَّا أَنْ حَلَّتِ التَّرْبَ قَلْبَنَا لَقَدْ ضَلَّتْ مَوَاقِعُهَا النُّجُومِ

(57) ابن بسام، م.س.، مجلد 1، رقم 1، ص. 339؛ المقرئ، م.س.، ج 3، ص. 565.

(58) الرنثريسي، م.س.، ج 1، ص. 323.

(59) ابن الأبار، م.س.، ج 2، رقم 1400، ص. 44.

ألا يا زهرة ذبلت سريعاً أضن المزن أم ركسد النسيم⁽⁶⁰⁾
وعندما نعى إلى ابن حزم امرأة كان يحبها، قام فائراً نحو المقابر وصار يمشي
بينها مرتجلاً :

وددت بأن ظهر الأرض بطن وأن البطن منها صار ظهرًا
وأنسي مت قبل ورود خطب أتي فائسار في الأكباد جمرا
وأن دمسي لمن قد بان غسل وأن ضلوع صدي كُن قبرا⁽⁶¹⁾

وكان بعض الناس يوقدون في البيت الذي توفي فيه الشخص شمعة أو مصباحا
طوال أيام المأتم السبعة، ويقرأ القرآن على قبره، كما يقرأ في المنزل. وكان يستأجر لذلك
قراء للرجال وقارئات للنساء وأحياناً يقرأ عميان الرجال للنساء⁽⁶²⁾.

ولم تقتصر هذه المراسيم على طبقات النخبة من المجتمع، بل تعدته إلى شرائح
أخرى قلدتها فيه. فقد أقيمت جنازة كبيرة لقنبوط الملهي وزربوط الطنبوري المغني.
وأقام الطنبوريون أصحابه عليه مأتما مشهودا، وحزن الناس عليهما. يقول ابن حيان :
«فهيئات أن يخلف الدهر مثلهما»⁽⁶³⁾.

ويصف ابن حيان⁽⁶⁴⁾ طقوس امرأة من الطبقة الدنيا، وعندها من عجائب
الزمن لقيام أهلها بنعيها ودعوة عليّة القوم إلى جنازتها. يقول : «ومن غرائب هذا
الدهر الفضل في اعتبار تحول العالم والتنويه بمصنوعي الأسافل، أن هلكت عجوز
لبني كوثر، فاهتبل بنوها في السعي لها، وإنذار طبقات الناس لشهود جنازتها
بأنفسهم والمشى على أعظم القرية بنعيها، فسارعت طبقاتهم لشهود جنازتها فجيء
بسريرها، وابن جمهور الوزير يقدم حضارها ماشيا على قدميه، قد اتسّى به كل ذي
منزلة رفيعة، ووقف على جَدِّتها إلى أن وريت وانفضّ جمعها، ثم ضرب على قبرها قبة
عالية تمهيدا للمبيت عليها طوال أسبوعها ومدة زيارة قبرها، حسبا كانت الجبارة
تفعله في الأعصر الخالية على قبور الملوك الأعزة، ففضى العجب بمشاهدة هذه النادرة

(60) ابن سعيد، رأيات المزين، تحقيق د. النعمان القاضي، ص. 128.

(61) ابن حزم، طوق الحمامة، ص. 88.

(62) النوشري، م.س.، ج 1، ص. 323.

(63) ابن بسام، م.س.، قسم 1، مجلد 1، ص. 44.

(64) ن.م.، قسم 1، مجلد 2، ص. 595.

في امرأة من نساء حثالة العامة، مرددة في الحمل، لم يكن قط بينها وبين النباهة من كلا طرفيها نسبة في الدولة القريبة ولا البعيدة، ولا ظفرت ببعل مُثَرٍّ ولا ذرية نبيهة، عهدت ببعليها الشيخ مطرف ناجل هؤلاء الصبيان من بنينا قريني حذقة، أحد سماسرة البُرِّ بقرطبة يروح بها يومه الأطول كميّش الأزار أعظم أفراحه ظفرو بقوت يومه، وكان مع ذلك كثيراً ما ينتاب الحانات على قلة وقماء حاله، فيروح نشوان العشيات يمسح الأرض بأسماله، وكان له ضرب القرقرة، محكما لأفانين إيقاعها فسبحان الكبير المتعال نافل الأحوال مبدل العسر يسراً⁽⁶⁵⁾.

وزيارة المقابر كانت من العادات الشائعة. فالبعض كان يزور مقابر الأهل للترحم، أو قبور الصالحين للتبرك وقضاء وقت بها. فيذكر ابن الخطيب أن الناس كفوا بقبر أبي عبد الله المعروف بالمواق، وأولوا حجارتها من التعظيم وجلب أولي المياه للمداواة ما لم يولوه معشاره في أيام حياته⁽⁶⁶⁾. وزعم الناس أن رائحة المسك تفوح من قبر الصوفي ابن شاطر، وقصد قبره المرضى وأهل الحاجات وبقي القراء يقرأون القرآن عليه مدة طويلة، ويصدق على قبره بجملة كبيرة من المال كان يفتدى به طائفة من الأسرى⁽⁶⁷⁾.

ولم يقتصر الأمر على التبرك بقبور الصالحين من الزهاد والصوفية، بل تعدّاه إلى قبور بعض القادة الذين يُعْتَقَدُ في صلاحهم. فكان الناس يقصدون قبر الأمير يحيى بن غانية الموجود داخل المسجد الصغير المتصل بقبر باديس بن حبوس داخل القصبة بغرناطة للتبرك⁽⁶⁸⁾.

وإذا كانت زيارة المقابر - من حين لآخر أو في المواسم والأعياد - فرصة للتذكر والاعتبار والترحم، فقد كان بعض الناس يخرج للمقابر ترويحاً عن النفس في حالة الضجر خصوصاً إذا كانت بالمقبرة رابطة أو زاوية يلتقي بها الناس. فقد حكى أبو عمر بن سالم المالقي قال: «كنت جالسا بمنزلي بمالقة، فهاجت نفسي أن أخرج إلى الجبانة وكان يوماً شديد الحرارة، فراودتها على القعود، فلم تمكّنني من القعود، فمشيت حتى انتهيت إلى مسجد يعرف برابطة الغبار وعنده الخطيب أبو

(65) ابن بسام، ن.م، قسم 1، مجلد 2، ص. 595.

(66) ابن الخطيب، م.س، ج 3، ص. 231.

(67) ن.م، ص. 272.

(68) ن.م، ج 4، ص. 37.

محمد عبد الوهاب بن علي المالقبي، فقال لي : إني كنت أدعو الله تعالى أن يأتيني بك وقد فعل، فالحمد لله. فأخبرته بما كان مني، ثم جلست عنده. فقال : أثنيني، فأنشدته أشعاراً لأبي عبد الله بن البين البطليوسي :

عَصَبُوا الصَّبَاحَ فَقَسَمُوا حُدُوداً وَأَسْتَوْعَبُوا قَضْبَ الْأَرَاكِ قُدُوداً
وَرَأَوْا حَصَى الْيَاقُوتِ دُونَ نَحْوِ رِهِمْ فَتَقَلَّلُوا شُهَبَ النُّجُومِ عُقُوداً
وَأَسْتَوْدَعُوا حَذَقَ أَلَمَهَا أَجْفَانَهُمْ فَسَبَّوْا بِهِنَّ ضَرَاغِمًا وَأُسُوداً
لَمْ يَكْفِهِمْ حَذُّ الْأَسِنَّةِ وَالظُّبَى حَتَّى اسْتَعَارُوا أَعْيُنًا وَحُدُوداً

فصاح الشيخ وأغمي عليه وتصبَّب عرقاً، ثم أفاق بعد ساعة، وقال يا بني أعذُرني فشيئان يقهراني ولا أملك نفسي عندهما : النظر إلى الوجه الحسن، وسماع الشعر المطبوع» (69).

بل إن بعض النساء اتَّخذن من زيارة المقابر فرصة للخروج والمجون ومحادثة الرجال الأجانب ومزحهن وملاعبتهن وكثرة الضحك مع الغناء في موضع الخشوع والاعتبار. وقد وصف ابن قزمان النساء اللاتي يذهبن لزيارة المقابر في الأعياد وهن مُزَيَّنَات الوجوه :

كل وجه مزين	ليلة العيد ه برا
والبكا بالمقابر	على الأحباب ذ مرا
احتفال الفجائع	فاحتفال المسير
ودموع الترحم	في ثياب الشطار (70).

واستغل الشباب الماजन أيام المواسم والأعياد للجلوس على طرقات المقابر لاعتراض النساء. وكثر الحساب والقصاص بالمقابر، واتخذوا لهم أخبية للانفراد بالنساء بحجة الكلام في أسرارهن، واعتبرها ابن عبدون «مراودة وحيلة وسرقة، ولا يأتي إليهم من النساء إلا الفاجرات» (71).

وذكر ابن المناصف أنه يجب لفت أنظار الحكام وتنبههم إلى منع اجتماع النساء في الجبانات والمواضع التي يتخذنها مجالس للتنزه، وعلى من يمر عليهن من

(69) المقرئ، م.م.، ج 3، ص. 403.

(70) ابن قزمان، زجل، رقم 48.

(71) ابن عبدون، م.م.، ص. 27.

شُبَّان الرِّجال، وقد يعارضهن بتلك الحالة كثير من الفساق، وربما جلبهم على المرور عليهن ما اعتيد من اجتماعهن، وعرف من أعراضهن، وقد يعمدن إلى نصب الأخبية على الجبانات تباهياً وزعماً أن تستر من تطيل الجلوس منهن. وهذا أدعى إلى الشهرة والشر، وأشدُّ لصرف أعين الفساق وقلوبهم إلى من فيها، مع ما يتوقع من جرأة من لا يتقي الله تعالى على موافقة المعاصي بها لاستتار الكائن بها عن كثير من الإطلاع عليه. واعتبر القاضي ابن المناصف أن كل هذا من المناكر التي يجب أخذها بالشدة ومنعها بالقوة⁽⁷²⁾، ومع ذلك فبرغم محاولة القضاة والمحتسبين محاربة مثل هذه البدع الخارجة عن الإسلام، إلا أنهم لم يوفقوا.

وكثيراً ما كانت تحدث الخلافات بين الأزواج بسبب إصرار المرأة على زيارة المقابر، تأتى عليه إلا الخروج أو تفارقه، فيضطر للخروج معها، فيرى أو يسمع أو يشاهد استمتاع الأجانب برؤية زوجته. فإذا غلبته الغيرة، يقع الضرب والخصام وينتهي الأمر بالطلاق.

فإذا كان الزوج ممن له رئاسة ولا يرضى أن يخرج مع زوجته ولا يقدر على تركها تسير وحدها لما يعلمه من مفساد ترككها في المقابر، يَضْطَرُّ لإرسال من يصحبها ويكون عوناً لها من صبي أو عبد أو عجز أو غير ذلك، فيكون أكثر فساداً من خروجها وحدها، لأن أكثر الناس يهاب أن يتدعى المرأة بالكلام أو المزاح إذا كانت حرة. فإذا وجدوا أحداً ممن ذكر، توصلوا بسببه إلى ما يريدون بسبب توسل الوسطة وتزيينه للعمل الذميمة وتيسيره لذلك. وقد يكون بعضهم قد عدم الطرفين، أي أن الزوج ليس بصاحب منصب يستحي أن يسير مع زوجته، أو آخر لا يقدر على إرسال أحد معها وعنده غيرة لا يقدر على تركها تخرج وحدها وتأتى عليه إلا الخروج؛ فيضطر للخروج معها، ويمشي بعيداً عنها. وفي هذا الوضع، يكون أصعب وأشدُّ عليه: إذ يسمع بأذنيه ويرى بعينه معاكسة المنحرفين لزوجته. فمنهم من يسكت على مضض ويرى ذلك من السياسة والستر على نفسه وعلى عرض زوجته؛ وإن غلبته الغيرة وضاق ذرعه بما يرى، يقع الضرب؛ وقد يؤول ذلك إلى الوالي أو الحاكم والحبس والطلاق وغير ذلك.

وخروج النساء على الدواب لزيارة المقابر كانت له مشاكله التي انزعج لها

(72) ابن المناصف، تنبيه الحكام على ماخذ الأحكام، ص. 339.

بعض الفقهاء. ففي ركوبهن على الدواب في الذهاب والإياب ومس المكاري لهن وتحسينه للمرأة في إركابها وإنزالها وحين مضيها ربما يتعمد وضع يده على فخذهما، وتجعل يدها على كتفه حتى لا تقع ويدها ومعصمها مكشوفان لا ستر عليهما لا سيما مع ما ينضاف إلى ذلك من الخواتم والأساور من الذهب والفضة أو هما معاً، مع الخضاب في الغالب، وتقصد إظهار ذلك كله. وأثناء الطريق تناجي المكاري وتحذثه كأنه زوجها أو ذو محرم. يقول ابن الحاج: «والعجب أن زوجها وغيره يشاهدون ذلك بالحضرة ويعلمونه بالغيبة، وهذا فيه من المحرمات وجوه كثيرة وكل من يعاينهم من الناس سكوت لا يتكلمون ولا يغيرون ولا يجدون لذلك غيرة إسلامية في الغالب. فإثماً لله وإثماً إليه راجعون» (73).

وفي الأخير، لابد من التأكيد على أن كل هذه المظاهر أو البدع التي صارت من الأعراف والتقاليد ليست من الإسلام في شيء، بل هي مكروهة؛ وشدد الرسول عليه الصلاة والسلام على النهي عنها. وفي فقه الجنائز الكثير من أقوال الرسول عليه السلام، التي تنهى بل تكاد تحرم مثل هذه العادات السيئة والتي لا تزال مستمرة إلى وقتنا الحالي.

(73) ابن الحاج، م.س، ج 1، ص. 261.

الربط البري بين الموريطانيتين الطنجية والقيصرية (القرن الخامس للميلاد)

محمد اللهار
كلية الآداب - وجدة

لقد توفرت إفريقيا الشمالية في العهد الروماني على شبكة كثيفة من الطرق، عمل الأباطرة الرومان على صيانتها وتوسيعها مع الزمن واستغلالها في نقل الجند بسرعة من إقليم إلى آخر⁽¹⁾، متخذين لإياها أداة لدعم السيطرة على المنطقة. وقد استغل التجار هذه الشبكة أحسن استغلال لنقل السلع والبضائع

إلا أن الحديث عن محور ويلي - نوميروس سيرووم بالذات، وفي مطلع القرن الخامس للميلاد، حديث ذو شجون وله مغزاه، لأن الذين خاضوا غماره اتخذوه وسيلة فقط لتبهر آرائهم حول الخط الذي سلكه الوندال في إفريقيا الشمالية، بين مؤيد لفكرة خط بحري ركبه الوندال من إسبانيا أو البوغاز نحو ميناء أد فراترس (Ad Fratres) (غزوات اليوم) في غرب موريطانيا القيصرية⁽²⁾، وبين مؤيد لفكرة خط بري نهج الوندال سبيله عبر موريطانيا الطنجية انطلاقا من سواحل البوغاز الجنوبية نحو موريطانيا القيصرية⁽³⁾.

(1) Albertini, E, L'Afrique du Nord française dans l'histoire, Lyon-Paris, s.d. (1937), p. 73

(2) Gautier, E. F., Geniercl, Rol des Vandales, Paris, Payot, 1951, pp. 169-171 ; Albertini,

L'Afrique du Nord..., op. cit., p. 118.

(3) Legall, J, L'itinéraire de Genseric», Revue de Philologie, 3ème série, T. 62, 1936, pp.

268-273 ; Halphen, L, Les Barbares, des grandes invasions aux conquêtes turques du

XIème siècle, Coll. peuples et civilisations, T. V., Paris, 1926, p. 22. ; Courtois, Chr, Les

Vandales et l'Afrique, Paris, 1955, p. 162.

والجدير بالملاحظة أن هذا المحور في حد ذاته يبقى أكثر المحاور الإفريقية الشمالية إثارة للمشاكل، باعتبار أن ولبلي (Volubilis) هي آخر مركز روماني في موريطانيا الطنجية ذكرته المصادر بصريح العبارة مرتبطا بالشبكة الطرقية لهذه الولاية(4)، وباعتبار أن نوميروس - سيرووروم (Numerus Syrorum) في موريطانيا القيصرية - كما أجمعت على ذلك المصادر والأركيولوجيا والأبحاث المعاصرة - كان يمثل آخر مركز مرتبط بالشبكة الطرقية لهذه الولاية(5).

ومن هناك جاءت أهمية الموضوع الذي نحن بصدده والمتعلق بدور هذا المحور ولبلي - نوميروس سيرووروم (مغنية) في التواصل بين الموريطانيتين الطنجية من جهة والقيصرية من جهة ثانية.

وحتى لا نخوض الموضوع من زوايا مستهلكة، لا نرى أية فائدة في دراسة الحدود الفاصلة بين الموريطانيتين الطنجية والقيصرية. لأننا نعتقد أن تباعد الحدود أو تقاربها وتماسها لا يشكل بأي حال من الأحوال دليلا على استمرارية الطرق بين الولايتين أو دليلا على قطيعتها.

وإذا كان الباحث المقتفي لأثر الطرق في إفريقيا الشمالية على العهد الروماني يلاحظ ثبوتها وكثافتها - حسب المصادر والأركيولوجيا - فيما بين شرق ولاية الطرابلسية (La Tripolitaine) وغرب ولاية موريطانيا القيصرية، فإنه يلاحظ أن مسألة الطرق في غرب إفريقيا الشمالية في العهد الروماني، أي في موريطانيا الطنجية لا زالت في حاجة إلى الكثير من البحث التاريخي والتنقيب الأركيولوجي(6). واجتنابا للتكرار نرى أن نقسم هذا الموضوع الى ثلاثة محاور متكاملة وهي :

أولا : الشبكة الطرقية في موريطانيا القيصرية.

ثانيا : الشبكة الطرقية في موريطانيا الطنجية.

ثالثا : الطرق الرابطة بين القيصرية والطنجية.

أ - إشكالية الربط البري بين الموريطانيتين.

ب - المحاور الرئيسية لتواصل الموريطانيتين.

(4) L'Itinéraire d'Antonin, éd. Leroux, p. 232 et p. 235.

(5) Marion, J, «La Liaison terrestre entre la Tingitane et la Césarienne», B.A.M., IV, 1960,

.pp. 442-447 ; Salama, P. Les voies romaines de l'Afrique du Nord, Alger, 1951, p. 131.

(6) Ibid, p. 14

أولا : الشبكة الطرقية في موريتانيا القيصرية

وهي شبكة ترتبط ارتباطا وثيقا بالشبكات الطرقية المتكاملة لولايات ذوقية إفريقيا - كما حددتها الإصلاحات الإدارية والعسكرية للأباطورين دقليانوس 284 - 305م (Dioclétien) وقسطنطين الأكبر (Constantin le Grand) 306 - 337م. وهذه الولايات هي، زيادة عن موريطانيا القيصرية : موريطانيا الصطيفية، نوميديا، زوجيطانا، بيزاكينا، والطرابلسية.

وبسبب هذا الارتباط الإداري والتكامل العسكري، درج الباحثون على التعامل مع شبكة الطرق في هذه الولايات الست وكأنها شبكة واحدة. شبكة تتكون من خط رئيسي محاذ لشاطئ البحر الأبيض المتوسط ينطلق من شرق ولاية الطرابلسية ليمتد غربا حتى وادي تامنا - حسب ألبرتيني - على مسافة ألفي كيلومتر. وتتفرع عن هذا الخط الفقري عدة محاور من الشرق إلى الغرب توازي مبدئيا خط الليمس وتعمل على تزويده بالمؤن والامدادات، ومحاور أخرى شمال - جنوب تربط بين شواطئ المنطقة وموانئها وبين هذا الليمس⁽⁷⁾. وقد رأى سالاما (Salama) أن هذا الخط الفقري له امتداد ساحلي من ميناء أد فرائرس بموريطانيا القيصرية إلى ميناء روسادير (Russadir) (مليلية) في موريطانيا الطنجية⁽⁸⁾.

هذا وقد قدر الباحثون طول هذه الشبكة الرابطة بين شرق الطرابلسية وغرب موريطانيا القيصرية بحوالي 20.000 كيلومتر⁽⁹⁾. كما أثبتت الحفريات الأركيولوجية أن عموم هذه الشبكة في ذوقية إفريقيا بولاياتها الست كان يتكون من طرق مبلطة مرصفة، على امتداد القرن الرابع للميلاد، تقوم على جوانبها علامات الأميال الدالة على المسافات (Les Milliaires)⁽⁹⁾.

ثانيا : الشبكة الطرقية في موريطانيا الطنجية

إذا كانت المصادر القديمة قد تحدثت عن الشبكة الطرقية في ولايات ذوقية

(7) Albertini, L'Afrique du Nord..., op. cit., p. 73.

(8) Salama, Les voies romaines..., op. cit., p. 143.

(9) Decret, F., et Fantor, M., L'Afrique du Nord dans l'Antiquité, Histoire et civilisation des

origines au V^e siècle, Paris, Payot, 1981, p. 222.

(9) Tissot, Ch, Recherches sur la géographie comparée de la Mauritanie Tingitane, Paris, 1877,

p. 264.

إفريقيا بتفصيل وعناية، فإن هذه المصادر لا تفيدنا عن الشبكة الطرقية في موريطانيا الطنجية بما فيه الكفاية، نظرا لعدة عوامل :

أولها، جفاف المعلومات التي تقدمها مسالك أنطونينوس من مطلع ق 3 م - بصفتها أهم مصدر في الموضوع. وقد اكتفت بتحديد المسافات بين المدن والمراكز لا غير⁽¹⁰⁾.

ثانيها، ضياع الجزء الذي يغطي موريطانيا الطنجية من خريطة بوتنجر من ق 3 م بصفتها مصدرا مهما كذلك حول الطرق في إفريقيا الشمالية خلال العصر الروماني⁽¹¹⁾.

ثالثها، نظرا لاختفاء جغرافي راقنا - وإلى سنة 700 م - باستغلال سيء لخريطة قديمة يرجح أنها نسخة مشوهة من خريطة بوتنجر، وتقديمه المعلومات الجغرافية دون أي ترتيب أو منهجية⁽¹²⁾.

ذكرت مسالك أنطونينوس للطرق الرئيسية الثلاثة في موريطانيا الطنجية وحددت المسافات بين أهم مراكزها⁽¹³⁾ وهكذا تحدث هذا المصدر عن الخط البحري الرابط بين طنجة (تبجي في الخريطة) وبورتوس ديقينوس (Portus Divinos) (المرسی الكبير غرب وهران مباشرة) في موريطانيا القيصرية على امتداد 607 ميل روماني (897,5 كيلومتر) وعبر مجموعة من المرافئ المتوسطية نذكر منها على الخصوص (انظر الخريطة) :

- أد برومنتوريوم بارباري (Ad Promontorium Barbari) عند مصب وادلاو.

- باريتينا (Parietina) باديس القرون الوسطى.

- أد سيكس إنسولاس (Ad Sex Insulas) وهي حجرة نكور في خليج الحسيمة.

- روسادير (Russadir) مليلية.

(10) Roget, Raymond, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924, p. 13.

(11) Thouvenot, R, «Le géographe Ptolémée et la jonction terrestre des deux Mauritanies», R.E.A, T. LXIV, 1962, p. 82 ; Euzennat, M., «Les voies romaines du Maroc dans l'itinéraire d'Antonin», *Hommages à Albert Grenie.*, II, Latomus, LVIII, 1962, p. 595.

(12) Roget, Raymond, *Le Maroc...*, op. cit., p. 13.

(13) Idem, Ibid.

— أد فراترس (Ad Fratres) غزوات في غرب الجزائر⁽¹⁴⁾.

في حين تحدثت مسالك أنطونينوس عن خطين برين رئيسيين : (انظر الخريطة) :

أولهما : خط ساحلي طوله 174 ميل روماني (257,259 كيلومتر) يمتد ما بين تينجي شمالا وإكسبلوراتيو أد مركوريوس (Exploratio Ad Mercurios) جنوبا عبر مجموعة من المراكز⁽¹⁵⁾.

— أد مركوري (Ad Mercury)	الحجرة.
— زيليس (Zilis)	الدشر الجديد.
— طابرناي (Tabernue)	للا الجبلية.
— ليكسوس (Lixus)	على الضفة اليمنى لمصب واد اللكوست أمام مدينة العرائش.
— فريجداي (Frigidae)	عزيب الحراق.
— بناسا (Banasa)	سيدي علي بوجنون.
— ثوسيدا (Thamusida)	سيدي علي بن أحمد.
— سالا كولونيا (Sala Colonia)	شالة.
— إكسبلوراتيو أد مركوريوس	ولعلها الدشيرة في وادي إيكيم جنوب الرباط بـ 24 كيلومتر بين عين غبولة وعين عتيق.

ثانيهما : خط داخلي طوله 148 ميل روماني (218,818 كيلومتر) يمتد ما بين تينجي شمالا وتوكولوسيدا (Tocolosida) جنوب مدينة وليي مباشرة عبر مجموعة من المراكز⁽¹⁶⁾ :

— أد مركوري (Ad Mercury)	الحجرة وهي مفترق الطريقين الساحلي والداخلي.
— أد نوفاس (Ad Novas)	الصويسر.
— أوبيدوم نوفوم (Oppidum Novam)	ولعلها القصر الكبير أو الصنادلة.

(14) «L'Itinéraire d'Antonin», op. cit., pp. 232-233.

(15) Ibid, p. 232.

(16) Ibid, p. 235.

الطرق والمسالك في غرب أفريقيا الشمالية خلال العهد الروماني.

معدن و مزارع رومانية
 ○ مدينة حديثة
 طريق ومساكن رومانية متصلة
 ————— مجاري مائية
 (الأنهار) واستمدت لمركز روماني

طريق رومانية
 ○ مدينة حديثة
 طريق ومساكن رومانية متصلة
 ————— مجاري مائية
 (الأنهار) واستمدت لمركز روماني

0 50 100
 ميل
 كلم

- تريمولي (Trimulis) ولعلها عرياوة.
 - فويسكيانا (Vopisciana) ولعلها سوق الأربعاء الغرب.
 - جيلدا - ريغا (Gilda-Rirha) سيدي سليمان.
 - أعواد كيكاي (Aqua Dacicae) سيدي مولاى يعقوب بقبيلة كروان
 وهو غير مولاى يعقوب الموجود قرب
 فاس.

- فولوبيليس وليلي (Volubilis)
 - توكولوسيدا (Tocolosida) عين تاكورارت جنوب وليلي بحوالي
 4,5 كيلومتر.

هذا وقد فسحت قلة المصادر من جهة، وجفاف المعلومات المتوفر منها من
 جهة ثانية، المجال للعديد من الباحثين لتقديم فرضياتهم حول الكثير من الطرق في
 موريطانيا الطنجية.

وهكذا جاء الباحثون منذ نهاية القرن التاسع عشر ليقترحوا العديد من الطرق
 في موريطانيا الطنجية، انطلاقا من دراساتهم لتضاريس المنطقة، معتقدين بأن السبل
 الطبيعية عبر الأودية كانت في القديم والحديث ذات تأثير واضح على كل التحركات
 البشرية سياسيا واقتصاديا، ومقتنعين بأن الحتمية الجغرافية في إقليم ما غالبا ما تكون
 من وراء تحديد الخطوط الكبرى لشبكته الطرقية⁽¹⁷⁾.

كان دولامارتيينيير (De La Martinière) أول من أفترض ثلاث طرق في موريطانيا
 الطنجية زيادة عن طرق مسالك أنطونينوس⁽¹⁸⁾، وهي الآتية : (انظر الخريطة) :

« واحدة تحاذي الريف الغربي وتوصل بين تينجي وتوكولوسيدا عبر المراكز
 التالية : البنيان (El Banian) : تمودا (Tamuda) 5 كيلومتر غرب تطوان، بابا يوليا
 كامبستري (Baba Jalia Campestris)، وليلي.

« وثانية تربط ما بين شالة وليلي عبر مدينة جيلدا - ريغا.
 « وثالثة، توصل ما بين وليلي ومدن غرب موريطانيا القيصرية.

(17) Salama, Les voies romaines,... op. cit., p. 52.

(18) De la Martinière, Souvenir du Maroc, d'après : Roget, Raymond, «Index Topographique

Antique du Maroc», P.S.A.M., IV, pp. 3-4.

وأطلت علينا بعض الأبحاث بعد ذلك بعدة اقتراحات حول طرق ثانوية تربط ما بين مراكز المحورين الرئيسيين المذكورين في مسالك أنطونينوس⁽¹⁹⁾ (انظر الخريطة) علما أن كل هذه الاقتراحات لن تعتمد أي أساس مصدري أدبي أو أركيولوجي، باستثناء ما يستفاد من إشارة واضحة عند بلين الشيخ (ت سنة 79 م) أن مدينة بناسا من المحور الساحلي. كانت مرتبطة مباشرة بمدينة وليلي من المحور الداخلي⁽²⁰⁾ عبر جيلدا - ريغا واكوادا كيكاي⁽²¹⁾.

هذا وانطلاقا من إشارة لبلين الشيخ كذلك حول موقع مدينة وليلي على نفس البعد من كلا البحرين المتوسط والأطلسي⁽²²⁾، قام الباحث «أولشي» باقتراح طريقين برين يربطان ما بين وليلي وسواحل البحر الأبيض المتوسط (انظر الخريطة) :

أولهما : يوصل وليلي بخليج الحسيمة عبر أودية ورغة وغيس، نرى أنه يصل إلى أد سيكسن إنسولاس، ويتفرع منه طريق نحو باريتينا عبر وادي بوفراج.

وثانيهما : يوصل وليلي بخليج الحسيمة كذلك، ولكن هذه المرة عبر أودية واد اللبن وواد نكور، ويتفرع منه طريق عبر وادي كورت نحو مدينة روسادير⁽²³⁾.

وبعدما عرّفنا بالشبكتين الطريقتين في القيصرية والطنجية، ماذا نعرف عن الربط البري بين الولايتين؟

ثالثا : الطرق البرية الرابطة بين الموريطانيتين القيصرية والطنجية

أ - إشكالية الربط البري بين الموريطانيتين :

غير خاف أن آراء المؤرخين والباحثين قد اختلفت حول هذه المسألة بين المدافع عن وجود هذا الربط، والمعارض له، والمشكك في وجوده، والمهمّل لأهميته.

Thouvenot, «La route romaine de Salé à l'Oued Beht», C.R.A.I., 1956, pp. 120-124 ; (19)

Ouachi, M, «La Mauritanie Tingitane», *Mémorial du Maroc*, I, Rabat, 1983, p. 228 et p. 232.

Plin, *Histoire Naturelle*, V. 5, d'après Roget, Le Maroc, op. cit., p. 30. (20)

Ouachi, op. cit., p. 235. (21)

Plin, H.N., V. 5, d'après Roget, Le Maroc..., op. cit., p. 30. (22)

Ouachi, op. cit., p. 229. (23)

وهكذا شكك في وجوده فابريكوس⁽²⁴⁾ (Fabricius) وهنري طراس⁽²⁵⁾ (Henri Terrasse).

ورأى دولا شاييل (De la Chapelle) أن هذا الربط لم يكن إلا في الحالات الاستثنائية⁽²⁶⁾.

وأكد غوتيه (Gautier) أن هذه الطريق وإن وجدت فإنها لم تكن معبدة ولم تكن صالحة لمروء العربات⁽²⁷⁾.

وكان لوكال (Legall) أول من رأى أن الاتصال كان عاديا بين الولايتين⁽²⁸⁾ وتبنى رأيه كاركوبينو (Carcopino) الذي قال إن هذا الربط كان عاديا ومستمرًا واستدل على ذلك بوجود علاقات عادية بين ساكنة ويلي وبين ساكنة ألتاوا (Altava) (أولاد ميمون اليوم) وبوماريا (Pomaria) (تلمسان اليوم) ونومروس سيزوروم (مثنيت)، كما استدل على ذلك كذلك بالعديد من المراكز الرومانية المنبثة في نظره في المغرب الشرقي وخاصة منها :

• قلعة امسوت 37 كيلومتر غرب جرسيف.

• قلعة النصراني جنوب شرق ويلي في جبل زهون⁽²⁹⁾.

واستدل سيستون (Seston) على وجود طريق رابط بين الموريطانيتين بفكرة عبور الأمباطور ماكسيميانوس هرقل (Maximien Hercule) سنة 297 م من الطنجية إلى القيصرية عبر البر⁽³⁰⁾. كما رأى ريبوفا (Rebuffat) في مشروع حملة الأمباطور ماجوريان على إفريقيا الوندالية انطلاقًا من إسبانيا سنة 460 - كما ورد ذلك عند المؤرخ بروكوبيوس من ق 6 م - دليلًا على وجود طريق بين الطنجية والقيصرية⁽³¹⁾.

(24) Fabricius, «Lionco», Pauly-Wissowa, Real Encyclopædia, XIII, 1926, d'après Marion, «La liaison»..., B.A.M. IV. op. cit., pp. 442-447.

(25) Terrasse, H., Histoire du Maroc, I. s.d., (1949), Casablanca, p. 52.

(26) De la Chapelle, «L'expédition de Suetonius Paulinus», Hesperis, XIX, 1934, p. 113.

(27) Gautier, Genserre, op. cit., p. 170.

(28) Legall, op. cit., p. 272.

(29) Carcopino, J., Le Maroc Antique, Gallimard, 10^e éd., 1948, pp. 233-244.

(30) Seston, W., Diocletien et la Tétrarchie, I, Guerres et réformes 284-300 ap. J.C., Paris, 1946, p. 118.

(31) Rebuffat, R., «Notes sur les confins de la Mauritanie Tingitane et la Mauritanie Césarienne», Studi Maghrebini, IV, 1971, pp. 52, n. 80 (Procopius, Bellum Vandalorum, éd. Dewing, 1916, I, 7, 11.)

وأيد كل هؤلاء الأربعة - لوكال، كاركوينو، سيستون، وروبوا - الباحث الألماني شميت (Schmidt) صاحب كتاب «تاريخ الوندال»⁽³²⁾.

وجاء كورتوا (Courtois) بدقته ليؤكد فكرة عبور الوندال سنة 429 م برا لكل إفريقيا الشمالية انطلاقا من سواحل البوغاز إلى مشارف مدينة هيبورييجوس (عناية). ولكنه لم يدع وجود طريق بين الموريطانيتين الطنجية والقيصرية، إذ لم يكن للوندال في نظره في حاجة إلى طريق للتنقل بينهما مثلهم في ذلك كممثل القائد الروماني سويتونيوس بولينوس (Suetonius Paulinus) الذي كان قد التحق انطلاقا من بورتوس ديفينوس بوادي كبر الأعلى سنة 41-42 م دون الاعتماد على استعمال طريق⁽³³⁾. وهكذا كان كورتوا (Courtois) أول من ميز بين البحث عن وجود طريق بين الموريطانيتين في العهد الروماني وبين البحث عن إمكانية التنقل بينهما بغض النظر عن وجود طريق وبغض النظر كذلك عن الفترة الزمنية.

وربما اعتمادا على هذه النظرة إلى مشكل التواصل بين الموريطانيتين - علق ماريون (Marion) على ما استدل به كاركو بينو حول عفوية هذا الربط واستمراريته، فقال بأن أبحاث كاركو بينو تبين لنا مدى أهمية التواصل البشري والحضاري بين سكان الموريطانيتين، ولا تبين بأي حال من الأحوال وجود طريق رومانية بين الولايتين⁽³⁴⁾.

أما الرافضون لفكرة وجود طريق بين الموريطانيتين، فقد استدلوا على ذلك بكون بقايا نصب المسافات وآثار التبليط تقف أركيولوجيا عند نوميروس سيروروم، ولا تتعداها نحو الغرب علما أن الأركيولوجيا قد أثبتت أن عموم شبكة دوقية إفريقيا بولاياتها الست كان يتكون من طرق معبدة مرصفة تقوم عليها نصب المسافات، وأن عدد هذه النصب التي عمر عليها في موريطانيا القيصرية وحدها قد وصل إلى ثمانية وأربعين نصبا في حدود سنة 1933 م⁽³⁵⁾، وأن هذا العدد قد ارتفع بعد ذلك بفضل المجهودات الأركيولوجية إلى أرقام جد مشجعة.

(32) Schmidt, L, *Histoire des Vandales*, Tr. fr., Paris, Payot, 1953, p. 77.

(33) Courtois, V.A., *op. cit.*, p. 159, n. 8.

(34) Marion, *La liaison...*, B.A.M., IV, *op. cit.*, pp. 442-447.

(35) Gauthier, R, «Contribution, à l'Etude du Tracé de la route frontrière de la Mauritanie Césarienne», *Revue Africaine*, 1933, p. 449.

ومما يشجع أصحاب الرأي الراض لفكرة وجود طريق روماني بين الموريطانيتين هو خلو المنطقة ما بين مغنية ووليلي من أي أثر روماني في شكل تحصين أو بناء معماري على عكس ما جرت به عادة الرومان، الذين كانوا يقيمون المراكز العسكرية على طول الطرق الساحلية والداخلية على حد سواء وعلى فروع للطرق الرئيسية.

وإذا كان كاركوبينو قد استدلل على وجود هذه الطريق بذكره لبعض المراكز الرومانية المنشئة في نظره على طول المسافة الرابطة بين نوميروس سيوروزم ووليلي، ونخاصة منها قلعة امسون⁽³⁶⁾ وقصبة النصراني⁽³⁷⁾ وإذا كان أوزينات (Euzennat) قد ساند هذا الرأي ودعمه اعتمادا على التنقيبات الجوية التي أجراها براديز (Baradez) سنة 1956، باعتبار مركز واد بوحلو مركزا رومانيا⁽³⁸⁾. إذا كان هذا هو رأي كاركوبينو وأوزينات، فإن ثوقونو (Thouvenot) كان أول من نبه إلى كون المراكز الأولين امسون وقصبة النصراني لا يعودان إلى الفترة الرومانية.. إذ الثابت اليوم أن قصبة النصراني بناء مرابطي شبيه ببناء قصبة مريت، وأن قلعة امسون بناء إسلامي متأخر⁽³⁹⁾. في حين استدرك أوزينات (Euzennat) نفسه سنة 1964 رأيه حول مركز واد بوحلو ليوضح أن ليس هناك أي أثر للوجود الروماني⁽⁴⁰⁾.

أما التحليل الذي قدمه دولا شابيل (De la Chapelle) عن غياب الربط البري بين الموريطانيتين في العهد الروماني، فملخصه أن وادي ملوية بصفته الحد الرسمي الفاصل بين الولايتين لم يكن في حد ذاته حاجزا طبيعيا مانعا لتواصل الموريطانيتين، ورغم ذلك لم يكن في متناول الرومان استعمال الطريق بينهما. وتفسير ذلك أن وادي ملوية كان يشكل طيلة العهد الروماني معبرا فصليا للرعاة الرحالة الذين كانوا يتبعون مياهه أو الهضاب المجاورة له قاصدين الشمال أو عائدين منه نحو الصحراء. وقد كانت هذه الرحلات في حد ذاتها كافية لمنع كل حركة رومانية مطمئنة بين الولايتين.

هذا ولم يستبعد دولا شابيل كذلك أن تكون الحملة التي قادها سوطونيوس بولينوس (Suetonius Paulinus) سنة 42 م ليس ضد إيدمون (Aedmon) فحسب،

(36) Carcopino, M.A., op. cit., p. 242.

(37) Ibid, p. 236.

(38) Euzennat, B.C.T.H., 1955-1956, pp. 204-205.

(39) Thouvenot, Compte-rendu du M.A. de Carcopino, Hesperis, T.XXXVIII, 3-4 trim., 1951, p. 476.

(40) Euzennat, B.C.T.H., 1963-1964, p. 123.

ولكن ضد هؤلاء الرجل أيضا. ورجح دولا شايل كذلك أن تقسيم الرومان موريطانيا إلى ولايتين متميزتين مستقلتين عن بعضهما البعض سنة 40 م – بعد اغتيال ملكها بطليموس بن يوبا الثاني بأمر من الأمبراطور كالكولا – (Caligula) رجح أن تقسيمها كان اعترافا صريحا من الرومان بعجزهم أمام هؤلاء الرجل، ويعدم قدرتهم على ضمان عبور وادي ملوية ما بين سهول أنجاد وسهول غرسيف⁽⁴¹⁾.

إن كل ما قيل عن إشكالية الربط البري بين الموريطانيتين كان بمنظور روماني، أوروبي ضيق في نظرنا، لأنه لا يأخذ بعين الاعتبار سكان المنطقة وقدرتهم على الإتصال والتواصل. وعليه فرأينا واضح مفاده أن إشكالية الربط البري بين إقليمين جغرافيين متجاورين غير متفصلين لا بماء ولا بصحراء – كما هو الحال بين الموريطانيتين القيصرية والطنجية – لا تستحق كل هذا التعقيد والعناد، على اعتبار أن سكان المنطقة الأصليين ما كانوا أبدا في حاجة إلى طريق مبلط معين للتنقل عبر بلادهم⁽⁴²⁾، لحسن معرفتهم بها طبقا للمثل العربي الشهير : أهل مكة أدرى بشعابها. وهكذا لم يبق لنا إلا أن نتكلم على المحاور الرئيسية لتواصل الموريطانيتين.

ب – المحاور الرئيسية لتواصل الموريطانيتين القيصرية والطنجية :

إذا كان صاحب مسالك أنطونينوس لا يشير إلى أي طريق بري بين الولايتين، وإذا كانت خريطة بوتنجر تعاني من ضياع جزئها الغربي، فإن أول إشارة حول طريق بري يوصل بين الموريطانيتين وردت عن المؤرخ بروكوبيوس (Procopius) من القرن السادس للميلاد في كتابه تاريخ الحروب الوندالية دون أدنى تفصيل⁽⁴³⁾، في حين تحدث جغرافي راقنا في نهاية القرن السابع الميلادي عن طريق بري يوصل بين المحيط الأطلسي وموريطانيا القيصرية عبر ويلي بالتدقيق⁽⁴⁴⁾.

ومعلوم أن جل الباحثين الذين تصدوا لحل إشكالية الربط بين الموريطانيتين سكتوا عن هاتين الإشارتين اللتين لا نستبعد أن تكونا من وراء فرضية دولا مارتنير حين اقترح سنة 1891 طريقا رومانيا يوصل ويلي بمدن غرب موريطانيا

De la Chapelle, Hesperis, XIX, op. cit., p. 112 et sq. (41)

.Marion, «La liaison...», B.A.M., IV, op. cit., pp. 442-447. (42)

.Procopé, B.V., I, 7, 11. (43)

.Voinot, L, Oujda et l'Amalal, Maroc, Oran, 1912, p. 232. (44)

القيصرية⁽⁴⁵⁾. كما لا نستبعد أن تكونا من وراء فرضية ثوفونو حين اقترح سنة 1956 طريقا رومانيا مباشرا بين شالة وتوكولوسيدا عبر الحميسات ووادي بهت وسوق الكور⁽⁴⁶⁾، وبذلك تكتمل إشارة جغرافي رافنا عن طريق يوصل المحيط الأطلسي بغرب موريطانيا القيصرية (انظر الخريطة).

وقد عمد مولر (Muller) سنة 1901، الذي قام بتحقيق جغرافية بطليموس، إلى تطوير هذه الإشارة وفرضيتها وتحديد مسار خطها ما بين توكولوسيدا بالذات وألتابا (أولاد ميمون اليوم، 30 كيلومتر شرق تلمسان) عبر مدن ذكرها بطليموس في جغرافيته وحدد إحداثياتها. وهذه المدن هي بالتتابع من الغرب إلى الشرق ترسيديس (Trisidis)، بنطا (Benta)، مولوكات (Molocath)، جالافا (Galapha)⁽⁴⁷⁾.

وفي نظرنا نؤيد أن يكون الوندال بزعامة جنسريق قد سلكوا هذا الطريق بالذات سنة 429 منطلقين من القصر الصغير على البوغاز نحو مدينة ألتابا في موريطانيا القيصرية عبر ويلي.

وجاء الباحث روبوفا (Rebuffat) سنة 1971 ليقتراح طريقا يربط بين بابا يوليا كامبستري الواقعة في وادي ورغة الأسفل وبين موريطانيا القيصرية عبر مدن ذكرها بطليموس كذلك وحدد إحداثياتها وهي بالتتابع من الغرب إلى الشرق : بيسكيانا (Pisciana)، فوبريكس (Vobrix)، إريس (Erpis)⁽⁴⁸⁾ (انظر الخريطة).

ولعلها الطريق التي يرجح أنها كانت تحاذي وادي ورغة الذي وصلتنا عنه شهادة من عهد البكري تقول بغناه وكثرة قراه الشبيهة بالمدن⁽⁴⁹⁾.

وقد استدل روبوفا على فرضيته هذه بتفسير دخول عقبة بن نافع الفهري

De la Martinière, Souvenir du Maroc, d'après : Roget, Raymonde, P.S.A.M., IV, op. cit., pp. 3-4. (45)

Thouvenot, C.R.A.I., 1956, op. cit., pp. 120-124. (46)

Idem, «Les vestiges de la route romaine de Salé à l'Oued Beht», Hesperis, 1957, pp. 73-84.

Potomée, éd. Müller, T. II, p. 590, n. 5, d'après : Thouvenot, R.E.A., T. LXIV, op. cit., p. 83, n° 7. (47)

Rebuffat, Stndi Maghrebini, IV, op. cit., p. 53, n. 85. (48)

(49) البكري، أبو عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، تحقيق دوسلان، الجزائر، 1857، ط. منقحة، باريز، 1965، ص. 114.

بجنوده إلى طنجة قبل وليلي⁽⁵⁰⁾، حسب رواية صاحب «الجمان» وابن خلدون⁽⁵¹⁾، بسلك هذا القائد عبر أودية امسون، وورغة، وأنه لو نهج طريق وادي إينانوك كان دخل وليلي قبل طنجة.

كما أن رويوفا لم يستبعد أن يكون القائد موسى بن نصير قد سلك نفس الطريق في مطلع القرن الثامن للميلاد⁽⁵²⁾، وأن إدريس الأول في نهاية القرن الثامن كذلك لما دخل من تلمسان نزل بطنجة قبل التحاقه بوليلي كما يفهم ذلك بكل وضوح من كلام ابن أبي زرع⁽⁵³⁾، وهو الطريق نفسه الذي اقترحه رويوفا كذلك لحملة عبد المؤمن بن علي الموحد على المغرب الأوسط سنة 1151 م انطلاقاً من القصر الكبير بعدما كان متجهاً بها نحو الأندلس⁽⁵⁴⁾.

وإذا كان ولابد من مقارنة بين الحورين المذكورين، محور بابا يوليا كامبستري - نوميروس سيروروم من جهة، ومحور وليلي توكولو سيدا - نوميروس سيروروم من جهة ثانية، لا يسعنا والحالة هذه إلا أن نبدأ بملاحظة مفادها أن الحفريات الأركيولوجية في عموم موريطانيا الطنجية بمفهومها الواسع (كل ما هو غرب موريطانيا القيصرية إلى البحر المحيط) لم تزودنا لحد اليوم بأية أدلة إثبات حول هذه الطرق سواء تعلق الأمر بآثار التبليط والترصيف أو بعلامات الأميال الدالة على المسافات⁽⁵⁵⁾، ولا يستثن من ذلك سوى طرقات المدن داخل الأسوار كوليلي وتمودا وباناسا وثموسيدا وشالة مثلاً.

وبناء عليه، فإن الشبكة الطرقية في موريطانيا الطنجية لم تكن إلا شبكة من المسالك التقليدية (Pistes traditionnelles) التي ألفها السكان منذ أقدم العصور، والتي استغلها الرومان خلال فترة حكمهم⁽⁵⁶⁾، وحرصوا على صيانتها جهد المستطاع

(50) Rebuffat, Studi Maghrébini, IV, op. cit., p. 53.

(51) الناصري، أبو العباس أحمد، الإمتصاء، الدار البيضاء، 1954، ج 1، ص. 82.

(52) Rebuffat, Studi Maghrébini, IV, op. cit., p. 53.

(53) ابن أبي زرع، القاضي، الأئيب المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ط. الرباط، 1973، ص. 19.

(54) Rebuffat, Studi Maghrébini, IV, op. cit., p. 53.

ابن أبي زرع، روض القرطاس، مصدر سابق، ص. 193.

(55) Tissot, ... La Mauritanie Tingitane, op. cit., p. 264. أوعشي، مصطفى، «حدود موريطانيا الطنجية في عهد الاحتلال الروماني»، مجلة تاريخ المغرب، العدد الثالث، يونيو 1983، ص. 73.

(56) Tissot, ... La Mauritanie Tingitane, op. cit., pp. 264-265 ; Voinot, op. cit., p. 232 ;

Euzennat, Latonius, LVIII, op. cit., p. 595.

خدمة لمصالحهم الاقتصادية والعسكرية على حد سواء. كما أن هذه المسالك لم تكن صالحة للتنقل بسهولة إلا خلال فصلي الربيع والصيف⁽⁵⁷⁾.

وإذا كنا نستبعد أن يكون الوندال قد نهجوا طريق بابايوليا كامبستري - نوميروس سيروروم عبر ورغة - امسون فلنا في ذلك أعذار نذكر منها :

أولا : إن الأمثلة التي يذكرها أنصار هذا المحور كلها حركات عسكرية أبطلها قادة مشهورون بدهائهم العسكري وحيلهم الاستراتيجية (عقبة، موسى، عبد المومن)، وأن اختيارهم لنهج هذا المحور كانت من ورائه عوامل ذات اعتبارات أمنية واستراتيجية وظرفية، كاختصار الطريق وريح الوقت والاستفادة من عنصر المباغثة. في حين كان مرور إدريس ابن عبد الله من هذا الطريق عوناً له على التكر بغيّة الوصول إلى مراده.

ثانيا : إننا وإن كنا نقدر سهولة السير من خلال هذا المحور عبر شعاب أودية ورغة وامسون السفلية، فإننا نسجل تحفظنا الكامل لجزاء صعوبة اختراق أوعار الجبال الفاصلة بين أعالي النهرين المذكورين، وخاصة ما بين طاهر سوق وأكنول.

ثالثا : إذا لم يشكل اختراق الأوعار عائقاً في وجه الجيوش التي أغلب عناصرها من الرجال، فإن اختراق جنسريق وشعبه الوندالي لها أمر مستبعد، ما دام أنه كان يجر من ورائه حشوداً أكثر من ثلاثة أرباعها من النساء والأطفال والمسنين، زيادة على أنعامهم وعربات أمتعتهم.

هذا وردا على الذين يزعمون بأن الوندال ركبوا البحر من إسبانيا أو من البوغاز إلى ميناء أد فراترس في موريطانيا القيصرية تجنباً لعبور موريطانيا الطنجية، بسبب عدم وجود شبكتها الطرقية أو عدم صلاحيتها. نقول ردا عليهم إن الوندال لم يكونوا في حاجة إلى طرق مبلطة لاختراق موريطانيا الطنجية، ما دام أن عدم وجود طرق مرصفة لم يقف حجر عثرة في وجه هجرتهم وهجرات الشعوب الجرمانية قاطبة فيما وراء الدانوب والراين في وسط القارة الأوروبية⁽⁵⁸⁾.

وهكذا يظهر جليا أن محور وليلي - نوميروس سيروروم كان هو المحور العادي للاتصال والتواصل بين الموريطانيّين على طول امتداد فترة التاريخ القديم، وخاصة في قرونه المتأخرة.

(57) Tissot, ... La Mauritanie Tingitane, op. cit., p. 264.

(58) Legall, op. cit., p. 262 ; Courtois, V.A., op. cit., p. 159, n. 8.

در استعاره و عروضی بلیغ خرافیه

من المصادر الأثرية لتاريخ المغرب

نماذج من معروضات المتحف الأثري بالرباط (ثانيا : الحضارة الرومانية)

محمد عبد الجليل المجرأوي

المتحف الأثري - الرباط

مقدمة

تطرقنا في القسم الأول⁽¹⁾، من هذا المقال لحضارات ما قبل التاريخ بالمغرب ومختلف خاصياتها، وفي نفس السياق أي التعريف بالمتحف وما يختزنه من ذخائر ندرج جزءا آخر من المتحف التي يزخر بها والتي تعود إلى الحقبة الرومانية. وسنعمل في البداية على استدراك ما أغفلناه في القسم الأول، فنعطي لمحة تاريخية عن تأسيس المتحف وتطوره ومختلف المرافق التي يحتوي عليها.

I - لمحة تاريخية عن المتحف

تأسس المتحف الأثري⁽²⁾ في بداية الثلاثينات ببنائة مصلحة الآثار سابقاً، وذلك ليعوض «متحف وليلي». وقد احتضن في بداية عهده جميع المعثورات الأثرية التي تم استخراجها من جميع المواقع الأثرية المغربية آنذاك، وخاصة مواقع وليلي وباناصا وتاموسيدا.

ونظراً لوفرة المواد الأثرية، تم خلال سنة 1952 بناء قاعة جديدة بيضوية الشكل كان من المحتمل أن تضم بقايا ما قبل التاريخ. وفي بداية سنة 1960، تم إعادة تنظيم المتحف.

(1) نشرنا القسم الأول من هذا المقال في عدد سابق من المجلة انظر : م. ع. المجرأوي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1992، عدد 17، ص. 67 - 86.

(2) يوجد هذا المتحف التابع لوزارة الشؤون الثقافية بزنقة البرهي رقم 23 الرباط.

وأمام كثرة المهتمين بحقل الآثار بالمغرب وتزايد المعثورات واكتشاف مواقع جديدة وتطور النظرة إلى المتاحف بصفة عامة، بحيث أصبحت تعتبر مؤسسات ثقافية تكميلية لكل ما يدرس في المدارس والمعاهد والكلليات؛ وكذلك أمام تشبُّث المغاربة بتاريخهم الجيد، كان من الضروري أن تراجع طريقة العرض من حيث المضمون والشكل... هكذا تم خلال سنة 1985 تقديم العروض في حلة جديدة وبطريقة بيداغوجية تساهل متطلبات العصر، وتسهل على الزائر استيعاب محتوى جميع العروض. كما خصص لأول مرة جناح للفترة الإسلامية.

II - مرافق المتحف

يتوفر المتحف الأثري على عدة مرافق يمكن ترتيبها على الشكل التالي :

1 - هو المدخل الرئيسي :

تم تخصيص هو المدخل الرئيسي للتعريف بمختلف المواقع الأثرية المغربية، والعلوم الأركيولوجية الحديثة. ولهذا الغرض تم عرض خريطة تبين أهم هذه المواقع وكذا جميع المنشورات التي تمه الأبحاث التي أجريت بها (النشرة الأثرية المغربية...).

ولتقريب الزائر من مختلف العلوم والتقنيات الحديثة المستعملة في البحث الأركيولوجي، تم عرض عدة صور ونصوص تفسيرية لها، كالتحري الميداني (بالصور الجوية، والتحري المغناطيسي...) وطرق التأريخ النسبية والمطلقة، وعملية الترميم. وفي هذا الصدد عرضت عدة صور لمجموعة من الآثار والأدوات الأثرية قبل الترميم وبعده، كقوس كراكالا بوليلي وبعض الأمفورات.

2 - القاعة الأولى :

تتكون القاعة الأولى من طابقين : طابق أرضي وطابق علوي.

أ - الطابق الأرضي :

يوجد في مقدّمته تمثال يجسد الأمير بطليموس، وهو مصنوع من الرخام الأبيض. وبأرض القاعة نسخة طبق الأصل لفسيفساء هندسية الشكل عثر عليها بوليلي.

أما فيما يخص جميع الواجهات الموجودة بهذا الطابق، فقد خصصت لفترة ما قبل التاريخ. وحسب عرض المواد يمكن تقسيم القاعة إلى قسمين :

- الجانب الأيمن من القاعة :

خصص هذا الجانب للتعريف بفترة ما قبل التاريخ ومختلف مراحلها وميزاتها.

- الواجهة الزجاجية الأولى :

تعرض بهذه الواجهة أنواع متعددة من الأدوات الحجرية تختلف من ناحية الشكل والحجم وكذا تقنية النحت...

- الواجهة الزجاجية الثانية :

يلخص الجدول المعروض مختلف مراحل فترة ما قبل التاريخ حسب تسلسلها الزمني مع إعطاء الفترة الزمنية لكل مرحلة وكذا الأدوات المميزة لها، وأهم المواقع التي اكتشفت بها وصنف الإنسان البشري المسؤول عنها.

- الواجهة الزجاجية الثالثة :

تبين هذه الواجهة مختلف مراحل النحت بين الحجر العادي والفؤوس الحجرية من جهة، والأدوات على الشظايا من جهة أخرى.

- الواجهة الزجاجية الرابعة :

تضم هذه الواجهة أهم بقايا الإنسان القديم المعروفة بالمغرب في الفترة الممتدة ما بين 400 ألف سنة تقريبا و4500 سنة قبل الميلاد. وبالرغم من قلة المعروضات، يمكن ملاحظة أهم التطورات التي عرفتها جمجمة الإنسان القديم.

- الواجهة الزجاجية الخامسة :

من بين أهم العلوم التي تساعد الباحث في فترة ما قبل التاريخ على معرفة التاريخ النسبي لحضارة ما، وكذا المحيط الطبيعي للإنسان القديم وبعض مظاهر حياته اليومية، دراسة البقايا الحيوانية. وكمثال على ذلك، عرضت بعض بقايا الحيوانات المستخرجة من موقع دكالة 2 الموجود قرب مدينة الرباط، والتي يعود تاريخها إلى 30 000 سنة تقريبا. ومن هذه الحيوانات ما اندثر تماما، ومنها ما عرف تطورا تدريجيا.

- الواجهة الزجاجية السادسة :

تظهر هذه الواجهة بعض المظاهر من الحياة اليومية لإنسان ما قبل التاريخ كالنقوش الصخرية وأدوات الصيد وبعض التقاليد المعروفة عند بعض الحضارات كإزالة الأسنان عند الإيبيروموروزيين حين يبلغ عمر الفرد حوالي الرابعة عشرة، كما تعرض قولة جمجمة أجريت عليها عملية جراحية تعد أقدم عملية معروفة على الصعيد العالمي وجدت بمغارة تافوغالت (منطقة وجدة).

- الجانب الأيسر من القاعة :

يعد هذا الجانب مكملًا لما عرض بالجانب الأيمن، بحيث تم إدراج جميع مراحل ما قبل التاريخ مع تقديم مستفيض للأدوات المستخرجة وصور بعض المواقع وكذا الشروح والنصوص التعريفية لكل مرحلة. وهكذا تم تخصيص الواجهة الزجاجية السادسة لحضارتي الحصى والآشولية، والواجهة الثامنة للحضارة المستيرية والعتيبة، والواجهة التاسعة للحضار الإيبيروموروزية، والعاشر للعصر الحجري الحديث. وأمام هذه الأخيرة، تم عرض قولة لجنتين تعودان لنفس الفترة. أما الواجهة الحادية عشرة، فلقد خصصت لموقع الصخيرات بحيث عرضت أهم المواد الجنائزية المستخرجة منه. كما تبين الواجهة الزجاجية الأرضية طريقة الدفن عند هذه الجماعات وكيفية وضع الأدوات الجنائزية، بحيث تم عرضها على نفس النحو الذي وجدت عليه بالموقع. أما الواجهة الأخيرة، فلقد تم تخصيصها للفترة الممهدة للتاريخ.

وعلى مشارف الأدرج المؤدية إلى الطابق العلوي يظهر نصف تمثال لإمبراطور نقشت على صدره صورة أسوي في عراك مع وحشين من حراس الذهب.

ب - الطابق العلوي :

- الواجهات الزجاجية رقم 13 و 14 و 15 و 16 :

خصصت الواجهات الزجاجية الأربع الموجودة على الجانب الأيسر للقاعة لموقع شالة نظرا لقيمتها التاريخية وكونه أهم موقع أثري بعاصمة المملكة.

وهكذا عرضت بالواجهة رقم 13 عدةلقى أثرية تعود إلى فترة ما قبل الإسلام كساق غلام مذهبة، ومحور عاجي منحوت وعدة أدوات برونزية وفخارية.

وتبين الواجهة رقم 14 تعدد الأواني الزجاجية والفخارية وتطورها خلال فترة ما قبل الرومان وكذا القرن الأول والثاني والثالث ثم الرابع الميلادي.

أما الواجهة رقم 15، فلقد خصصت للأواني الجناثرية الرومانية، بينما خصصت الواجهة رقم 16 لعدة بقايا تعود إلى الفترة الإسلامية خلال عهد الموحدين وخاصة أدوات من البرونز المذهب، وتاج عمود، وعدة أدوات فخارية.

- الواجهة الزجاجية رقم 16 :

تهم هذه الواجهة الفترة الممتدة ما بين الفترة الرومانية وظهور الإسلام بالمغرب. وتبين عدة معروضات أن المنطقة عرفت تعايش الديانة المسيحية واليهودية : من ذلك قنديل من البرونز مزين بحسكة ذات فروع سبعة، وتمثال صغير يجسد الراعي الأمين).

- الواجهة الزجاجية رقم 17 :

تبين هذه الواجهة الأهمية التاريخية لموقع سجلماسة الأثري، والدور الرئيسي الذي لعبته المدينة في العلاقات التي كانت قائمة بين المغرب وبلاد إفريقيا السوداء.

- الواجهة الزجاجية رقم 19 :

تلعب النقود دوراً أساسياً في معرفة قوة اقتصاد الدول. وهذه الواجهة تبين بعض هذه المظاهر وتطور العملة عبر العصور.

- الواجهتان رقم 20 و 21 :

من خلال التنوع والزخرفة اللذين يميزان الأدوات الفخارية وصور الآثار العمرانية المعروضة التي تم الكشف عنها بموقع بليونش، يتبين مدى اهتمام سكان هذه المدينة الاصطيفانية بهذا النوع من الأدوات والبنائيات خلال «القرون الوسطى».

- الواجهتان رقم 22 و 23 :

توضح الآثار العمرانية لمدينة القصر الصغير وكذا الأدوات الفخارية التي وجدت بها، الدور الهام الذي لعبته المدينة في العلاقة ما بين شمال إفريقيا والجزيرة الإيبيرية، وذلك خلال «القرون الوسطى».

- الواجهات رقم 24 و 25 و 26 :

تهم هذه الواجهات موقع شيشاوة الأثري. وهكذا خصصت الواجهة رقم 24 لتبين الأنواع الفخارية المستعملة بالموقع كمصفاة للماء والسكر، وقناديل زيتية. وخصصت الواجهة رقم 25 لعدة قطع جصية ونماذج من الزخارف تعكس مدى مهارة الصانع المغربي ودقته في النحت خلال العصور العتيقة، فيما اهتمت الواجهة رقم 26 ببعض مظاهر صناعة السكر فقدمت صورا فوتوغرافية وهندسية لمعامل السكر، وكذا عدة أواني كانت تستعمل لنفس الغرض كالقالب...

3 - الساحة الأولى :

توجد هذه الساحة على الجانب الأيمن للقاعة الأولى، يتوسطها صهريج عرضت بجانبه عدة نقوش صخرية تعود إلى فترة ما قبل التاريخ، وكذا عدة نصب تذكارية وجنائزة منقوشة أو مكتوبة بالحروف اللبية أو اللاتينية أو العربية.

4 - قاعة حضارات ما قبل الإسلام :

تتسم هذه القاعة بواجهة زجاجية كبيرة مسترسلة عرضت بها مواد أثرية تعود لمرحلة ما قبل الإسلام كالحضارة البونيقية والموريطانية والرومانية. وتعرض بمدخل القاعة نسخة طبق الأصل لرصيعة فسيفساء تم اكتشافها بمنزل «الفتى الجميل» بوليلي، وهي صورة لحورية البحر ممتطية صهوة قنطورس بحري.

- الحضارة البونيقية الموريطانية :

تتمثل اللقى البونيقية الموريطانية في عدة أدوات فخارية تبين العلاقة التي كانت قائمة بين شمال إفريقيا ومختلف دول البحر الأبيض المتوسط. إلى جانب ذلك، نجد عدة مواد برونزية ورخامية.

- الحضارة الرومانية :

تشغل الحضارة الرومانية أكبر جزء من القاعة، وتعرض فيها المعثورات الأثرية حسب مواضيع متنوعة ومتعددة بحيث تجسد مختلف المظاهر الحضارية التي عرفها أقصى شمال المغرب خلال الحقبة الرومانية.

- الحياة السياسية :

تتمثل الحياة السياسية في اللوحات البرونزية التي نقشت عليها عدة مراسلات رسمية وأعراف وقوانين كانت سائدة خلال تلك الفترة والتي كانت تعلق بالساحات العمومية (انظر الصورتين رقم 17 و18).



رقم 17 : لوحة الحماية

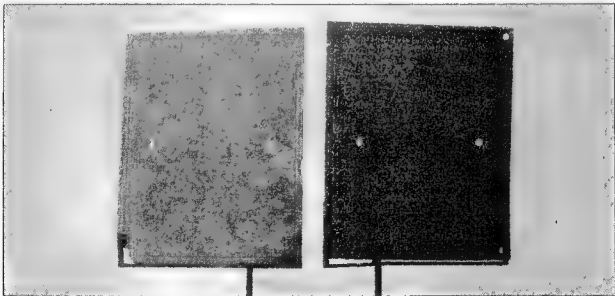
- الجانب العسكري :

يعرف هذا الجانب من خلال بعض أنماط السلاح المستعمل، كالخناجر

والأحجار المدفعية..، ومن عدة نياشين وميداليات وشهادة عسكرية (انظر الصورة رقم 16) ورسوم على الرخام تصور جنوداً بعدتهم وعتادهم... إلخ.



رقم 18 : لوحة بناصا



رقم 16 : شهادة عسكرية

- الحياة الاقتصادية :

تبلور الأنشطة الاقتصادية من خلال عدة نقود وأوان فخارية متعددة الأحجام والأشكال والزخارف وقناديل زيتية صنعت من مادتي الفخار والبرونز وكذلك عدة أمفورات وأدوات فلاحية كمطاحن الزيوت... كما نجد أدوات لبصم الحيوانات بجانب عدة موازين. ويتخلل هذه المعروضات عدة صور توضيحية، كطريقة عصر الزيتون مثلاً...

- البناء :

نجد من بين مواد البناء عدة نماذج كالمطارق والقرميد والآجر والمثلث وميزان البناء، تواكبها عدة صور تبين طرق نقل الأحجار الضخمة.

- الحمامات :

لعبت الحمامات دوراً بارزاً في الحياة اليومية عند الرومان، ويظهر ذلك بجلاء في تعدد الصنابير وتنوع أشكالها. كما تعرض مسخنة مائية وكروسي وعدة صور مختلف مرافق الحمام...

- المنزل الروماني :

يعتبر المنزل الروماني بدوره صورة معبرة عن مدى تطور الحياة الاجتماعية عند الرومان، وتبرز ذلك عدة أواني للطبخ والأكل (من صحون وسكاكين وملاعق وقناديل زيتية) (انظر الصورتين رقم 15 و 14) وأدوات لتزيين الأسرة (انظر الصورة رقم 13) وعدة أوان زجاجية.



رقم 15 : قنديل برأس إوز



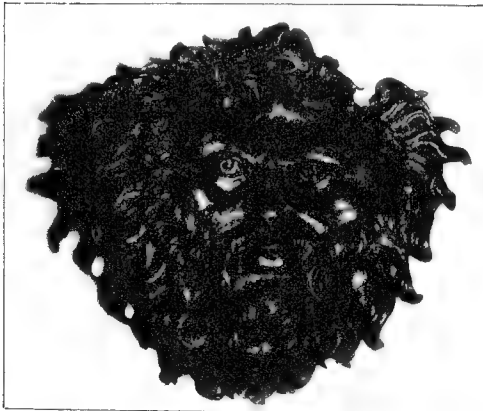
رقم 14 : القنديل ذو القناع السحري



رقم 13 : رأس فرس



رقم 7 : فينوس



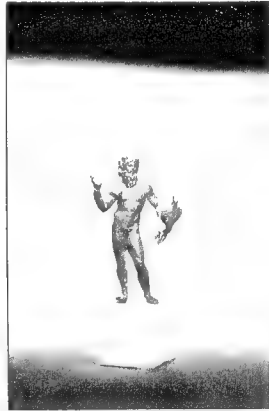
رقم 9 : قناع إله البحر

- العربات والخيول :

آهت الرومان كثيرا بتزيين العربات والخيول، ويظهر ذلك من خلال تنوع الأدوات المستعملة لهذا الغرض وجماليتها.

- الحياة الدينية :

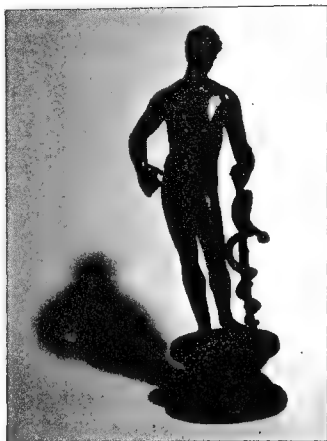
عرف الرومان عدة آلهة، وكانوا يجسدونها بتماثيل برونزية أو رخامية. ويذكر المتحف بعدة نماذج من هذه التماثيل تتمثل في الإله باخوس وفينوس وجوبيتر وأبولون ومركير (انظر الصور رقم : 6، 7، 8، 9، 10، 11).



رقم 6 : جوبيتر



رقم 8 : فورتين



رقم 10 : ايسكولاب



رقم 11 : باخوس

- الموت :

تختم الواجهة الزجاجية الكبيرة بظاهرة الموت. وتجسد الأدوات الجنائزية المعروضة كالقوارير والطلاسم والتمائيل والشواهد القبية مختلف التقاليد والاعتقادات التي كان يمارسها الرومان عند الدفن.

تعرض بالجانب الأيسر للقاعة التماثيل البرونزية الجميلة والمعروفة عالمياً، كـرأس تمثال يوبا الثاني وكاتون والغلام الساقى والغلام المتوج والصيداء العجوز وكلب وليلي (انظر الصور رقم : 1 و 2 و 3 و 4 و 5) ويضم وسط القاعة عدة تماثيل رخامية كـرأس الشاب البربري وجينون وفينوس وباخوس... وبجانب ذلك، تعرض بداخل واجهة زجاجية عدة أنماط من الحلبي الروماني المصنوع من الذهب والبرونز وكذلك عدة أنواع من أدوات الألعاب التي كان يمارسها الرومان...

III - معروضات من الحقبة الرومانية

وصل إلينا من الحقبة الرومانية العدد الكبير من التحف الأثرية، ومنها ما هو مصنوع من مادة البرونز، وما هو مصنوع من مادة الرخام أو الفخار أو الحديد،... ومن خلال عرضنا هذا، ونظراً لوفرة المواد المعروضة، سنكتفي بإلقاء نظرة على بعض التحف البرونزية.

ظهرت الصناعة البرونزية خلال الفترة الممهدة للتاريخ (حوالي 5000 سنة). ليدخل الإنسان بذلك في مرحلة جديدة من الابتكار والتعبير عن مختلف اعتقاداته الدينية وميولاته الفنية، كما ساعدته على حل بعض مشاكله اليومية.

والبرونز مزيج من النحاس والقصدير، أو النحاس والألنيوم. ولقد استعمل لعدة أغراض فذكر من بينها صناعة التماثيل والمواد الحربية وأدوات لتزيين الأسرة وأوان للاستعمال المنزلي...

ومن هذه التحف الجميلة الصنع ما هو مستورد وما هو من صنع محلي، كما يبرهن على ذلك وجود عدة أدوات غير كاملة الصنع وعدة قوالب من الجبس كالتي وجدت بموقع الأوداية.

وتعتبر التحف المصنوعة من مادة البرونز من أهم المواد الأثرية الموجودة بالمتحف، كما تعتبر أغنى مجموعة برونزية معروفة على صعيد إفريقيا الشمالية. ومن هذه

التحف ما هو فريد لا على الصعيد المحلي فقط، وإنما على الصعيد العالمي كذلك. والأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة.

عرفت التحف الأثرية البرونزية التي اكتشفت بالمغرب اهتمام عدد كبير من الباحثين الأجانب⁽³⁾. وكانت جميع المقالات والكتب التي نشرت في هذا الشأن بلغة أجنبية وخاصة اللغة الفرنسية. وسنعطي من خلال هذا المقال فكرة ملخصة وعامة عن القطع المختارة، وعلى كل من أراد المزيد من المعلومات الدقيقة الرجوع إلى المراجع المشار إليها في آخر المقال.

1 - التماثيل الكبيرة الحجم :

كان الرومان يجسدون أباطرتهم وأهتهم وأبطالهم... بتماثيل كانت تعرض بالساحات العمومية أو المنازل كما كانوا في بعض الحالات يرسمون رسوما وزخارف لها معاني ودلالات خاصة (انظر الصورة رقم 5).

أ - نصف تمثال يوبا الثاني (Buste de Juba II) (انظر الصورة رقم 1).



رقم 1 : يوبا الثاني

(3) Thouvenot. R.; Tarradell. M.; Michou. E; Chatelain. L.; Boube Piccot

تمثل هذه التحفة ذات الطابع الهيليني الملك يوبا الثاني حاكم المملكة الموريطانية ما بين 25 ق. م. و 23 م. وتعتبر هذه القطعة التي تمثل صاحبها في ريعان شبابه من أجمل ما يتوفر عليه المتحف الأثري وأروعه وأنفسه. ترقى يوبا الثاني بروما على يد الإمبراطور أغسطس (Auguste)، وكان يتميز بثقافة عالية. تزوج ابنة كيلوباترا العظيمة وأنطوان، كيلوباترا سيليني سنة 20 ق. م.

اكتشفت هذه القطعة خلال سنة 1944، بموقع ويلي خلف المبنى المعروف ببيت الملك الموريطاني (رقم الجرد : Vol. 140).

ب - نصف تمثال كاتون (Buste de Caton) (انظر الصورة رقم 2)



رقم 2 : تمثال كاتون

وفقا لما هو مكتوب على صدر هذا النصف الأعلى للتمثال، تجسّد القطعة كاتون (95—48 ق.م.) الذي كلف بحماية أوتيكا (وهي مدينة بتونس) والتي قاوم الغزو الروماني بكل شجاعة. وعند هزيمته على يد جيوش القيصر (César) بمعركة

طابسييس (Tapsus) سنة 46 ق.م.، رفض الهزيمة كما رفض خضوعه لرحمة الإمبراطور، فانتحر بسيفه. وأصبح بذلك مثلاً للوطنية الصادقة فنحت له هذا التمثال. اكتشفت هذه القطعة خلال سنة 1934 بموقع ويلي بداخل منزل فسيفساء فينوس (رقم الجرد : Vol 131).

ج - تمثال الغلام المتوج (Ephèbe couronné de Lierre) (انظر الصورة رقم 3)



رقم 3 : تمثال الشاب المتوج

يجسد هذا التمثال شاباً في ريعان شبابه قوي البنية، توج بأوراق اللبلاب (Lierre) من طراز براكسيتيلي⁽⁴⁾. يعود تاريخه إلى العهد الإمبراطوري عثر عليه بوليلي. اكتشفت هذه التحفة بدكان قرب قوس كراكالا بوليلي خلال سنة 1932 (رقم الجرد : Vol. 62).

د - تمثال الشاب الساقى (Ephèbe Verseur) (انظر الصورة رقم 4)



رقم 4 : تمثال الشاب الساقى

(4) براكسيتيلي : نحات إغريقي من القرن الرابع قبل الميلاد.

يمثل هذا التمثال شاباً وهو يسكب سائلاً. وهو عبارة عن نسخة لنفس التماثيل المعروفة عند الإغريق لصاحبها براكستيل.

عثر على هذه القطعة بالمنزل الموجود جنوب منزل فسيفساء أورفي بوليفي خلال سنة 1929. ويعود تاريخها إلى القرن الأول أو الثاني (رقم الجرد : Vol. 63).

هـ - جزء من معطف إمبراطوري (Retombée de Paludamentum) (damasquiné) (انظر الصورة رقم 5)



رقم 5 : جزء من معطف إمبراطوري

عثر على هذا الجزء من معطف إمبراطوري قرب قوس كراكلا (211 م - 217 م) بوليلي. وتشير النقيشة التي وجدت بأعلى هذا الأخير إلى تجسيد الإمبراطور فوق عربة تجرها ستة خيول. لذا من المحتمل جدا أن تكون هذه القطعة جزءا من معطف لهذا التمثال. ويتبين من حجمها مدى كبره، فهذه القطعة مرصعة بالفضة والنحاس ومزيج من معادن أخرى، مما أعطاها ألوانا مختلفة ومتنوعة كاللون الأسود والأصفر والبرتقالي. ويبدو أن اللون المذهب قد اندثر مع مرور الزمن.

لقد تم رسم أربعة مشاهد يمكن تلخيص محاورها من الأعلى إلى الأسفل على النحو التالي :

– المحور الأول يمثل أزهارا.

– المحور الثاني يمثل نصبا تذكاريًا يجسد شعار النصر محاطاً بأسيرين. والشعار عبارة عن شجرة تعلوها قبة ذات قرنين يتوسطها درع مطرز بوحشين بحرين وبعدة رسوم نباتية، وبأسفل الشجرة رسمت عدة أدوات حربية كالدرع والرمح. أما الأسيران، فهما معا مقيدا اليدين من خلف، ويرتديان سراويل مختلفة : فالأسير الموجود على اليمين يرتدي سروالا مزينا به مثلثات، وهو ما يرمز إلى البارتيين (بلاد الفرس)؛ أما الثاني فيحمل سروالا به مربعات ويعني بذلك لباس السلتيين (بلاد الغال).

– المحور الثالث : رسمت به عدة أدوات ومعدات حربية (قبة عسكرية ودرع وخوذة ورمح...).

– المحور الرابع والأخير : رسم به وحش بحري يحاول التهام فرس بحري.

ومن خلال المحور الثاني لهذه القطعة الأثرية يتبين أن صانعها حاول إبراز انتصار الرومان على البارتيين، والسلتيين. أما المحور الرابع، فيبين حسب الميتولوجية الرومانية سيطرتهم على البحر بجميع كائناته، وإدراك معنى هذه الرسوم لأبد من دراسة تاريخ البارتيين (Parthes) والسلتيين (Celts) وفهم الميتولوجية الرومانية والرموز التي كانت تستعملها (رقم الجرد : 5. 1. 1. 89. Pl).

2 – تماثيل تجسد الآلهة الرومانية :

كان الإغريق ومن بعدهم الرومان يجسدون آلهتهم بتماثيل كانت توضع في

الساحات العمومية أو في منازلهم. وتعرض في المتحف عدة نماذج من التماثيل المنزلية وندرج من بينها تماثيل الآلهة التالية :

أ - جوبيتير (Jupiter) (انظر الصورة رقم 6)

وجدت القطعة بموقع بناسا (Banassa)، ويعرف جوبيتير بإمساكه النسرين بيده اليسرى وإلقائه صاعقة بيده اليمنى. ويعود تاريخ القطعة إلى الفترة الرومانية، وهي تطابق نموذجاً إغريقيا (رقم الجرد : B 952).

ب - فينوس (Vénus) (انظر الصورة رقم 7)

عثر على هذا التمثال بموقع ويلي، ويمثل إلهة الحب والجمال فينوس وكأنها تزيل نعلها قبل دخولها إلى الحمام. ويعود تاريخ صنع هذه القطعة إلى النصف الثاني من القرن الثالث قبل الميلاد (رقم الجرد : Vol. 147).

ج - فورتين (Fortune) (انظر الصورة رقم 8)

يمجد هذا التمثال الذي اكتشف بوليلي إلهة الخصوبة فورتين، وهي تحمل بيدها اليسرى قرن الخصب. يعود تاريخ صنعها إلى عهد القيصر (رقم الجرد : Vol. 184).

د - قناع إله البحر (Masque du Dieu Océan) (انظر الصورة رقم 9)

تمثل هذه القطعة التي عثر عليها بموقع ليكسوس إله البحر، تلعب بلحيته العديد من الأسماك ويشعره دلفين وملاقط لسرطان البحر. ويعود تاريخ صنعها إلى القرن الأول قبل الميلاد. (رقم الجرد : 1. 2. 1. Pi 89).

هـ - إيسكولاب (Esculape) (انظر الصورة رقم 10)

يمجد هذا التمثال إيسكولاب شاب، ويرمز الثعبان المتوي على العصي إلى إشارة الطب. عثر على هذه القطعة بموقع ويلي، ويعود تاريخها إلى القرن الأول بعد الميلاد (رقم الجرد : Vol. 178).

و - باخوس (Bacchus) (انظر الصورة رقم 11)

وجد هذا التمثال الذي يمثل باخوس إله الخمر بموقع بناسا، ويعود تاريخ صنعها إلى القرن الأول (رقم الجرد: B. 89).

3 - تماثيل تجسد أساطير رومانية

- تيسي والمينيطور (Thésée et le Minotaure) (انظر الصورة رقم 12)



رقم 12 : تيسي والمينيطور

وجدت هذه القطعة بموقع ليكسوس، ويعود تاريخها إلى النصف الثاني من القرن الثاني أو الأول قبل الميلاد. تمثل هذه القطعة صراعا في أوجه بين تيسي

بطل أثينا والمينوطور ابن زوجة الملك مينوس وثور. والتحفة تجسد وحش نصفه آدمي والآخر ثور، يأكل اللحوم البشرية. فيظهر تيسي في عنفوان شبابه وهو يقضي على المينوطور، وعلى رأسه عصابة المنتصرين (رقم الجرد : 2. 2. 1. 8.9. Pl).

4 - أدوات لتزيين الأسرة :

– رأس بغلة (Protomé de mule) (انظر الصورة رقم 13)

وجدت هذه القطعة التي تمثل رأس فرس بموقع ويلي، وقد استعملت لتزيين الأسرة، ويعود تاريخها إلى عهد أغسطس (رقم الجرد : 116 Vol).

5 - قناديل زيتية :

تعتبر القناديل جزءاً من الأثاث المنزلي، وكانت تختلف من ناحية الشكل والحجم والزخرفة والأشياء المجسدة كـرأس الفرس أو اللبوة أو صور بشرية...

أ – قنديل زيتي ذو قناع درامي (Tampeau masque tragique) (انظر الصورة رقم 14)

لقد تم اكتشاف هذه القطعة بموقع ويلي، وهي عبارة عن قنديل زيتي يجسد درعه قناعاً درامياً (رقم الجرد : 245 Vol).

ب – قنديل زيتي برأس إوز (Lampe à col de cygne) (انظر الصورة رقم 15)

وجد هذا القنديل الزيتي الذي يجسد درعه عنق إوز ورأسه بموقع ويلي (رقم الجرد : 255 Vol)

6 - لوحات برونزية مكتوبة :

كان الرومان يكتبون بعض مراسلاتهم أو قراراتهم الرسمية وبعض الدبلومات والشواهد على لوحات مصنوعة من مادة البرونز.

أ – دبلوم عسكري (Diplôme militaire) (انظر الصورة رقم 16)

كان الرومان يمنحون دبلومات عسكرية لكل جندي قضى حوالي 25 سنة في

الخدمة العسكرية. وتمثل هذه القطعة دبلوماً منحه الإمبراطور دوميتيان إلى الفارس دوميتيون بتاريخ 9 يناير 88 ميلادية. وجدت هذه القطعة بموقع بناسا (رقم الجرد: B. 807).

ب - لوحة الحماية (Table de patronat) (انظر الصورة رقم 17)

وجدت هذه النقيشة بموقع بناسا، وهي تشير إلى كون هذه المستعمرة اتخذت حاميا لها كنطوس كلوديوس فيروكس أحد حكام موريطانيا الطنجية، وكان ذلك يوم فاتح فبراير سنة 162 (رقم الجرد : B 822).

ج - لوحة بناسا (Table de Banassa) (انظر الصورة رقم 18)

يتعلق الأمر هنا بوثيقة كانت معروضة بالساحة العمومية لمدينة بناسا، عثر عليها سنة 1957، ولقد نقش على هذه اللوحة البرونزية رسالتان ومحضر إمبراطوري، كتبت الرسالة الأولى ما بين سنة 161 و169م والثانية سنة 177م. وكلتا الرسالتين وجهتا من الأباطرة الرومان إلى والي موريطانيا الطنجية، الأولى من أوريل (Aurèle) وليسيوس فيروس (Lucius Verus) إلى كويديوس ماكسيموس (Cotiledius maximus) والثانية من مارك أوريل (Marc-Aurèle) وكومود (Commode) إلى فالبيوس ماكسيميانوس (Vallius Maximianus). وتشير الرسالتان إلى موافقة الأباطرة الرومان على منح أمير قبيلة الزغرزنسيين يوليانيوس (Julianus) حق التمتع بالمواطنة الرومانية له ولزوجته وأبنائه. أما المحضر الإمبراطوري، فيعطي أسماء جديدة من القبيلة نفسها بنفس اسم الزعيم. ولا ندري هل يتعلق الأمر بالشخص نفسه الذي قد يكون تزوج بامرأة ثانية أم بآبئه الأكبر، ويختم المحضر بلائحة الشهود الإنسي عشر مع تبيان وظائفهم. ويظهر من خلال ذلك أنهم كانت لهم جميعا رتبة عالية في الإدارة الرومانية، مما يبرهن على الأهمية القصوى التي كان يوليها الأباطرة لهذه المنطقة.

خاتمة

حاولنا في هذا المقال أن نواصل الدراسات التي نقوم بها تدريجيا من أجل التعريف ببعض المصادر الأثرية لتاريخ المغرب والمعروضة بالمتحف الأثري بالرباط وتقريبها من الطلبة والباحثين. وإذا كنا قد تطرقنا خلال القسم الأول لمرحلة ما قبل التاريخ، فقد استدركنا الحديث في هذا القسم عن مراحل تأسيس المتحف ومختلف

مرافقه. وتعميما للفائدة، تطرقنا للذكر نماذج من الأدوات البرونزية التي تعود إلى الفترة الرومانية وعززناها بالصور التوضيحية، على أن نتابع التعريفات في الأعداد اللاحقة من المجلة إن شاء الله.

المراجع

- Akerraz, O. (1990) , **De l'empire romain aux villes impériales. 6000 ans d'art au Maroc.**
- Boube-Piccot, Ch. (1969), «Les Bronzes antiques du Maroc. La statuaire, textes et planches», in *Etude et travaux d'archéologie marocaine*, IV.
- Boube-Piccot, Ch. (1990), **De l'empire romain aux villes impériales. 6000 ans d'art au Maroc.**

نظرية التلقي : البناء والتفاعل والنسقية

قراءة في أعمال ندوة «نظرية التلقي : إشكالات وتطبيقات».

سعيد الخنصالي

ليسيه ديكارت - الرباط

I - تمهيد

1. تحتل نظرية القراءة الآن موقعا مركزيا ضمن النظرية الأدبية بشكل خاص، وضمن أنساق تحليل، الثقافة بمختلف فروعها بشكل أوسع.

وإذا كان تركيزها على القارئ (فعليا كان أو مفترضا، مبتدئا أو خبيراً) يشكل أساس وضعها الإستمولوجي، فإن انتشاريتها وأنماط التوسيعات والتجسيرات النظرية التي أقيمت عليها، عددت منظورات القراءة واستراتيجياتها وأبعادها وحدودها. فمن قراءة مشاركة في بناء المعنى متفاعلة مع بنيات النص (تنشيطاً وتحييناً) إلى قراءات تشييدية تتفاوت في تصورها حول أهمية حضور النص ودور مكوثاته عند التحليل.

2. إلا أن الذي يبقى مركزياً في النظرية وفي مختلف الترجمات التي خضعت لها داخل فروع متعددة من المعرفة، هو وعيها وتأكيداها على شيئين :

أ - ضرورة إعادة النظر في تاريخ الأدب وفي تلقيه، وبالتالي ضرورة تطويره في إطار نسق جديد لتعدد القراءات، ومراعاة مختلف السياقات الخاصة بالزمن وبطبيعة المتلقين وتصوراتهم.

* أصدرت كلية الآداب بالرباط أعمال هذه الندوة بعنوان : نظرية التلقي : إشكالات وتطبيقات - مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1993، 280 ص. وقد أصدرت مؤخرًا أعمال ندوة «من قضايا التلقي والتأويل» - مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1995.

ب - ضرورة مراعاة العلاقات المتفاعلة بين النص والقارئ، حيث يتقدم كل منهما نحو الآخر ضمن استراتيجية تعاونية هدفها بناء المعنى وسعة التأويل وبيان المقصدية.

3. داخل هذه الاستراتيجية العامة تأتي الأبحاث المنشورة ضمن أعمال ندوة : «نظرية التلقي : إشكالات وتطبيقات»، وهي أبحاث تسعى إلى تبيان إمكانات النظرية، وأبعادها، وحدودها، وقابليتها للتوسع داخل تصورات إبستمولوجية جديدة، وفي حقول معرفية متنوعة.

من ذلك صياغتها لقراءات متعددة تساهم في بناء تلق جديد ومثمر للخطاب العربي ولثقافة العربية بمختلف تفرعاتها، يوجهها وعي نظري دقيق بأصول النظرية وخلفياتها الإبستمولوجية، (الأصل الألماني) من جهة، وبأشكال انتشارها داخل الثقافات الإنسانية من جهة أخرى (هجرة النظرية وتداخلها مع علوم متعددة : كالتواصل وعلم النفس المعرفي والذكاء الاصطناعي وعلوم التوعية والسيميوطيقا وتاريخ الأدب، إلخ...).

ومن ثم تتجلى أهمية هذه القراءات في كونها :

أ - جمعت في مستويي النظرية والتطبيق، مختلف الأنماط لاستثمار فعل القراءة حيث نجد : التركيب النظري لمكونات النظرية أو لبعضها وآفاق استثمارها في مجال النقد أو الخطاب الشعري (بوحسن - طليمات - الشاذلي)، قراءة الثقافة القديمة في إطار تلق نسقي تحكمه إبستمولوجية تشييدية (مفتاح)، التلقي وقراءة الشعر القديم أو تحليل الشعر المعاصر (العمرى - بلمليح)، استثمار مفاهيم نظرية القراءة في مجال السرد القديم أو الحديث ضمن منهجية تحليلية أو تجريبية (الحمداني - يقطين)، استثمار إمكانات فعل القراءة داخل المجال التربوي وعلم النفس المعرفي (حبيبي - الزاكي - الصفريوي - العلوي)، تحولات التلقي من الأحادية إلى التفاعل ضمن ثقافة غير عربية (ج. الكدية).

ب - لم تساهم فقط في مجال العرض والتقديم والترجمة للنظرية ضمن سياقات عربية، أو تحليل نصوص وخطابات عربية، ضمن هذا البرتوكول، ولكنها ساهمت بشكل خاص، في توسيع أفق هذا الاستثمار، وإعطاء فعل القراءة مناخا جديدا يتنفس داخله ؛ من ثمة، ليست هذه المداخلات افتراضا نظريا توجهه ثقافة مرتبكة،

بقدر ما هو وعي عملي بقوة النظرية وإمكانية تحويلها إلى نسق شمولي، تقرأ الثقافة الإنسانية داخله، بمختلف فروعها، من خلال آليات التبيين والتوسيع والتعديل والإضافة.

ج - أدركت وأكدت وأضاءت الخلفية التواصلية لفعل القراءة، ولإبداعية المتلقي، ولقدرته التشييدية، انطلاقاً من مساهمة دينامية في بناء المعنى أساسها الإستمولوجي ألا شيء معطى سلفاً بل يبينه القارئ خلال رحلة التبع والتقصي لدهاليز الخطاب ولشعرجاته.

د - توافق أحدث التصورات التي تركز على ضرورة توسيع الخطاطات النظرية للفعل القرائي (التفاعل بين النص والقارئ)، وضرورة تحويل قراءة تاريخ الأدب من حيز تجزيي ضيق، إلى مجال نسقي تراعي فيه وتتفاعل مختلف المكونات (البنى النصية وخارج النصية)، وضرورة استثمار طاقة النظرية في مقارنة مختلف أنواع الخطابات.

4. قبل أن أقدم عرضاً مركزاً لكل المداخلات التي يتضمنها هذا الكتاب، وتعميماً للفائدة وإلحاقاً للقول بالفعل، أقترح أن أضع هنا ترسيمين (أفترض أن لهما وجوداً مضمرًا ضمن، الخلفيات التي تقوم عليها هذه المداخلات) : تشير الأولى إلى كيفية بناء الخطاب، من خلال مساهمة متكافئة متفاعلة للكاتب والقارئ (بما تحمله جعلتهما من بنيات وأوضاع) ؛ وتشير الثانية إلى كيفية إمكان إعادة بناء تاريخ أدب جديد، داخل إطار نسقي متعدد المظاهر (Polysystème)، تراعي فيه مختلف مكونات الظاهرة الأدبية إنتاجاً (نصياً وتناصباً) وتلقياً (تداولاً وتأويلاً).

ننقل الخطاطة الأولى عن ليندا فلاور في بحث لها حول «الأفعال التأويلية : المعرفة وبناء الخطاب»⁽¹⁾ ضمن مجلة شعريات (Poetics) (1987)، وننقل الثانية عن كليمن موزون في كتابه «ما التاريخ الأدبي؟» (1987)⁽²⁾.

II - ليندا فلاور والنموذج التصوري لبناء الخطاب

1. تركز دراستها على فرضية مفادها أن الطريقة الملائمة لبناء نظريات أكثر

(1) Linda Flower, «Interpretive Acts Cognition and Construction of discourse», Poetics, 16,

1987.

(2) Clément Moison, /Qu'est-ce que l'histoire littéraire ?, P.U.F, 1987.

تناسباً، للتأويل والتأليف، هي استكشاف الصيورات المعرفية للقراء والكتاب، داخل فعل بناء تمثيل المعنى.

من ثم، تضع نموذجها التصوري (الخطاطة)، الذي يبنى القراء والكتاب داخله تمثيلات ذهنية خاصة، متعلقة بقوى داخلية وخارجية للمعرفة المنشطة، وبالتالي فإن الصيورات المعرفية للقراءة والكتابة التي يهتم البحث بدراستها تجعل منها أفعالا بنائية ومقصدية.

2. حسب هذا التصور، يضع البحث مجموعة من الفرضيات (ليس هنا مجال استعراضها) حول العلاقات بين المعرفة وقوة خارجية هامة هي معرفة الخطاب، التي تجذب المعطيات من البروتوكولات المعبر عنها للقراء، من أجل استكشاف الطرق التي تؤثر فيها أهداف القراء - قوة داخلية - على بناء المعنى.

تخص هذه الدراسة إذن الطرائق التي يفاوض بها الناس مجموعة من القوى (مثل سياق القراءة، معرفتهم بمقاصد المؤلف، أهدافهم الخاصة)، كجزء من صيرورة الإنتاج والتأويل (ص. 110).

3. بهذا المعنى، فإن الصيورات البنائية للقارئ والكتاب تكون مركزية داخل هذا النموذج؛ فإذا أخذنا الكاتب مثلاً، فإننا نرى دائرة خارجية (outer) لقوى خارجية (external)، تدرج السياق الاجتماعي، والأيدولوجيا، واتفاقات الخطاب، واللغة وغيرها، والتي تمس أي فعل معطى للكتابة. يمكن أن نميز هذا عن دائرة داخلية لمعرفة منشطة ملائمة لهذا الفعل الخاص للتأليف؛ هذا التفريق يعكس ببساطة الاختلاف بين المعلومة التي يمكن أن يدفع بها الكاتب، وتلك التي تكون ممثلة فعلياً في ذهن القارئ داخل إنجاز معطى - إنه الاختلاف بين ما تعرفه وما تستعمله في لحظة معطاة؛ وبما أن هذه الدائرة الداخلية ترمز للقوى النشطة التي تؤثر في فعل التأليف المعطى، فإن أهداف الكتاب أو مقاصده تظهر أيضاً كعنصر أساسي في الخطاطة.

إن النقطة المفتاح في هذا النموذج، هي أن هذه الكيانات (من لغة وأهداف إنتاج) تمثل خطوط قوة جوهرية تمس معرفة الكاتب كما تفعل بالقارئ؛ ومع ذلك، فإن هذه القوى ينبغي أن تتاور من طرف الكاتب/القارئ من أجل إنتاج نص موحد أو تأويل موحد. وحين يقوم الكاتب بالمراجعة أو يقوم القارئ بإعادة التفكير، فإن هذه

القوى يمكن أن تحاور بشكل مختلف ؛ أما حين تدخل أيديولوجيا القارئ أو افتراضاته في صراع مع مقاصد الكاتب، فإن هذا النموذج المعرفي يحول انتباهنا إلى الحوار أو التفاوض ذاته، وذلك انطلاقاً من فعالية هذه القوى (ص. 111).

4. يضيء هذا النموذج المعرفي كيانا آخر. فالكتاب يطورون تمثيلات ذهنية للمعنى في اشتغالهم محتوية على أهداف وتصاميم ومعرفة بعضها لها سنن لساني في الذاكرة، وبعضها له سنن تخيلي، وكلها مترابطة بواسطة خطوط متعددة.

إلا أن النقطة الهامة هنا، كما تشير إلى ذلك ليندا فلاور، هي أن هذا التمثيل الذهني الذي بني وأعيد بناؤه عبر سيورة التصميم والكتابة، ليس هو النص نفسه... إن النص ببساطة هو تحقيق لهذه الشبكة الذهنية للمعنى، أي أنه مستوى مجسّد واقعياً لتمثيل ذهني عام أو أكثر تعقيداً (مثلاً فقد يقرر الكاتب يوم الثلاثاء أن التحقيق الذي أبدعه يوم الاثنين ليس تحقيقاً جيداً لتمثيلة الداخلي الأكثر تعقيداً، وبالتالي فقد يغير هذا التمثيل الداخلي مدرجاً أهدافه وتصميمه نفسها).

القارئ يفعل نفس الشيء. إنه يقرأ النص (وليس معنى المؤلف أو التمثيل الذهني)، ويبنى هو أيضاً تمثيلاً ذهنياً للمعنى - شبكة غنية من اللغة والصور والأفكار المترابطة تعددياً وأحياناً بطرق متناقضة. داخل هذه الضرورة البنائية، فإنه يحاور أيضاً المعلومة والتأثيرات انطلاقاً من العالم المحيط به، وانطلاقاً من السياق الداخلي لمعرفته المنشطة، ولأهدافه وانطلاقاً من النص (ص. 112).

وعلى العموم، فمن الصعب في هذا السياق استقصاء كل التفاصيل التي بني عليها نموذج ليندا فلاور. وحسبي الإشارة هنا إلى بعض الاستلزامات الأساسية للقراءة والكتابة باعتبارها أفعالا للمعرفة :

أ - القراءة والكتابة أفعال بنائية يتم تنفيذها بواسطة صيرورة معرفية نشيطة.

ب - إن الثابت في عملية وصف الانتقال، من المقصد إلى النص، أو من النص إلى التأويل، هو أن التوافق بين النص والتمثيلات الداخلية شيء غير أكيد. فالقراء والكتاب يموتون، وهم أيضاً ينسون أو يعيدون بناء تأويلاتهم ومقاصدهم ؛ النصوص وحدها تحيا، لكن فقط حين تؤول من جديد.

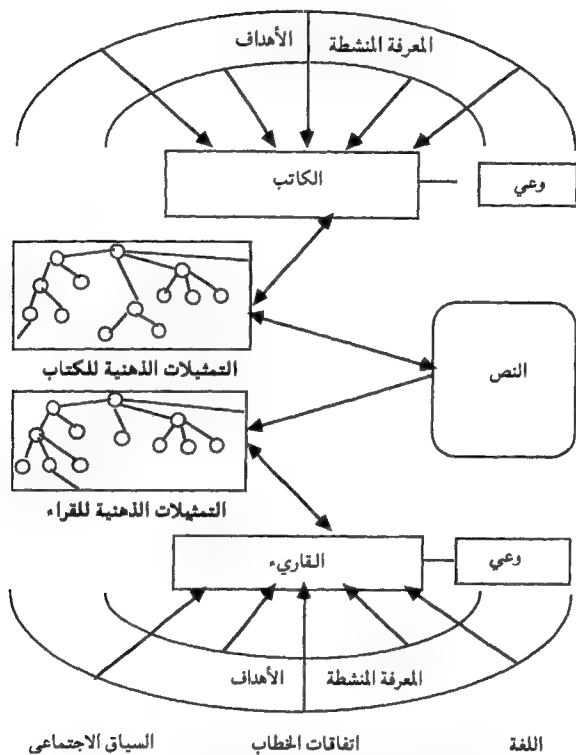


Fig. 1. A conceptual model for discourse construction

نموذج تصوري لبناء الخطاب

III - كليمون موازون ونسقية تاريخ الأدب

يقترح المؤلف في هذا الكتاب إطاراً نسقياً قابلاً لأن يتجدد داخله تصوُّر تاريخ الأدب، وكتابته، خصوصاً وأن نظرية الأنساق بدأت تغزو مختلف مجالات المعرفة، وانطلاقاً من مسلمة مفادها أن الكل نسق (ص. 165).

الخطاطة التي أضعها هنا هي صيغة نهائية لعدة خطاطات تمهيدية، وصولاً إلى اعتبار التاريخ الأدبي نسقاً متعدّداً، موضوعه هو الظاهرة الأدبية يشكل حقلاها نسقين هما : الحياة النصية والحياة الأنثروبولوجية الاجتماعية (ص. 208).

تشغل الحياة النصية انطلاقا من بنيات تناصية يشار إليها في الخطاطة (بناء - هدم - إعادة بناء)، كما تتضمن الحياة الأنثروبولوجية الاجتماعية كل الخطاطات التي تشكل المؤسسات أصلها ومرتكزها : اجتماعية، أدبية، ثقافية، ويمكن تفرعها إلى ثلاث مجالات مشار إليها في الخطاطة : القبول (أو الخطاب النقدي)، إثبات الشرعية (أو الخطاب المؤسسي)، الإقرار (أو الخطاب الثقافي)، وتدخل كلها فيما يُسمى بتداخل التلقي.

هذا المفهوم الجديد الذي يهمننا بوجه أخصّ في هذا السياق، يقتضي تبيان كيف تسري النصوص وتشغل عبر شبكة من الإغامات المؤسسية، والبلاغية، والأيدولوجية، تشكل علاقة النصوص والقراء داخلها موضوع الفحص، خصوصاً وأن هذه النصوص لا تسري داخل وعاء مغلق أو في الفراغ، بل داخل سياق من العوامل التاريخية، والثقافية والنفسية - الاجتماعية، التي يمكن ضمها في مصطلحي جمالية التلقي (Rezertionästhetic)، وجمالية التأثير (Wirkungsästhetic)، حيث تحدد الأنماط، الستة الداخلة فيهما (المشار إليها في يمين الخطاطة ويسارها) تداخل التلقي باعتباره تعددية لقراءات النصوص، التي حسب الأمكنة واللحظات ومستويات القراءة، تسمح بنشوء مختلف آثار القراءة (من ابتكار وتقليد وتفاقر)، تلك الآثار التي تكون موافقة أو غير موافقة لآفاق الانتظار (ص. 224).

وعموماً، فإن هذه الخطوط «تضيء النسق المتعدد للتاريخ الأدبي ؛ فإذا أخذنا التناصية إلتاجاً للتدليل (Significance)، الذي ينشأ عن صراع ومصالحة بين المعنى السياقي والدلالة التناصية، عن حل أو عن انحلال ازدواج النص والمتناص معه، فإننا نتحدث إذن عن ممارسة متميزة غير منفصلة عن الممارسات الاجتماعية الأخرى،

التاريخ الأدبي

الظاهرة الأدبية

نسق متعدد (موضوع)

حياة أنثروبولوجية اجتماعية

حياة نصية (نسق)

إقرار

قبول

إعادة بناء

تذكير

بناء

خطاب ثقافي

خطاب ثقافي

خطاب ديداكسي

خطاب استعطي

خطاب شعري

إثبات شرعية

تقديم

خطاب ديداكسي

خطاب استعطي

خطاب شعري

خطاب مؤسسي

تقديم

خطاب ديداكسي

خطاب استعطي

خطاب شعري

تأسيسية

تقديم

خطاب ديداكسي

خطاب استعطي

خطاب شعري

جهوية

تقديم

خطاب ديداكسي

خطاب استعطي

خطاب شعري

حوارية

تقديم

خطاب ديداكسي

خطاب استعطي

خطاب شعري

سوسيو تاريخية

تقديم

خطاب ديداكسي

خطاب استعطي

خطاب شعري

منظمة

تقديم

خطاب ديداكسي

خطاب استعطي

خطاب شعري

غريزية

تقديم

خطاب ديداكسي

خطاب استعطي

خطاب شعري

التاريخ الأدبي

نماذج

جمالية التلقي
1-
2-
3-
4-
5-
6-

جمالية التأثير
1-
2-
3-
4-
5-
6-

جمالية التأثير
1-
2-
3-
4-
5-
6-

جمالية التأثير
1-
2-
3-
4-
5-
6-

جمالية التأثير
1-
2-
3-
4-
5-
6-

جمالية التأثير
1-
2-
3-
4-
5-
6-

جمالية التأثير
1-
2-
3-
4-
5-
6-

جمالية التأثير
1-
2-
3-
4-
5-
6-

جمالية التأثير
1-
2-
3-
4-
5-
6-

التي تؤسس إلى جانبها واقعاً تاريخياً شمولياً ؛ داخل هذا المنظور يكون تداخل التلقي هو الآخر إنتاجاً لتدليل ينشأ عن صراع ومصالحة بين المؤسسات وبين قواها في التنظيم أو في الوساطة، عن حل أو عن انحلال للتلقي ولتأثير التلقي ؛ بهذا المعنى أيضاً يكون تداخل التلقي ممارسة متميزة، غير منفصلة عن الممارسات النصية (التناصية) التي تؤسس إلى جانبها واقعاً تاريخياً شمولياً» (ص. 231).

IV - عروض الندوة

1 - أحمد بوحسن، نظرية التلقي والنقد الأدبي العربي الحديث

تنتقل قراءة بوحسن لنظرية التلقي، داخل مجالها التاريخي والمعرفي والفلسفي، من سؤال مركزي هو : كيف يتصرف الباحث في مجال الأدب والنقد العربيين أمام هذا الإجراء النظري ؟ وكيف يمكن التفكير في بناء نقد عربي أصيل مُدرك للبعد الإستيمولوجي، وللسياق المعرفي للعملية التي ينوي استنباطها داخل أنساق معرفته ؟ وكيف يمكن ممارسة تلقى مقارن واع بطبيعة الالتقاء بين ثقافتين وبأفقهما التاريخي وبالقاري ؟

كل هذه الأسئلة تتضمن توجُّهاً ذا بعد إستيمولوجي مفاده ضرورة القيام، أولاً، بعملية الفهم، وهو إعادة بناء كيف أن الآخر يربط الوقائع بواسطة افتراضاته هو لحل مشكل ما، والقيام ثانياً بعملية التفسير التي تقوم على ربط الوقائع بواسطة افتراضاتنا الخاصة، تمكن النقد الأدبي العربي الحديث من الاستجابة لنظرية التلقي أو لبعض جوانبها (ص. 13).

تأسساً على هذا الطرح، يقدم بوحسن عرضاً مسهباً لظهور المصطلح ولتداوله، وللعلاقة بين التلقي والتواصل، ولأهمية النظرية في شقها الألماني انطلاقاً من فرضيات باوس وفرضيات أيزر وصولاً إلى اقتراح إمكانية الإستفادة من النظرية في قضايا محدّدة من التاريخ الأدبي العربي أو النقد العربي.

1. الظهور

إذا كانت مسألة التلقي مرتبطة بالمراحل التي قطعها التواصل الأدبي، وتعاقب المسار النظري للأدب : من سلطة المؤلف إلى سلطة الكتابة والنص، فإن التركيز على

النص هو الذي سيؤدي إلى افتراضات أولية حول القراءة في علاقتها بالكتابة، حيث إن البنيوية هي التي أثارت مكنون القارئ والقراءة وعلاقة النص بالقارئ والتفاعل بينهما (ص. 17).

2. المدرسة الألمانية

إن ما يميّز هذه المدرسة، بالمقارنة مع المدرسة الأمريكية، هو أنها نشأت وتطورت في إطار استراتيجي جماعي ؛ وتمثل مدرسة كونستنس المرجع الأساسي في جمالية التلقي على اعتبار أنها أعادت الاعتبار للقارئ بتأصيلها لتالث : المؤلف والنص والقارئ، وأكدت على أن المجتمع يوجد في النص وفي القارئ وأعدت بناء تصور جديد لمفهوم العملية الإبداعية من حيث تكوينها عبر الزمن والتاريخ وطرق اشتغال القراءة ودور القارئ في إنتاج هذه العملية (ص. 26).

إن فضل هذه المدرسة دون غيرها تجل في معرفة تشغيل كثير من المفاهيم غير الأدبية في المجال الأدبي من جهة، واقتراح فرضيات نظرية لقراءة تاريخ الأدب أو قراءة النص (ص. 27).

3. التلقي والظاهراتية

أكد الأستاذ بوحسن استناداً إلى المرجعيات الدارسة لنظرية القراءة أكد أن فهمها مرتبط أساساً بالمقاربة الظاهراتية التي اهتمت بتداخل الذات والموضوع، أو بثنائية القارئ والنص حيث تعرف الظاهرة بكونها وحدة قائمة بين الشعور والوجود أو بين الذات والموضوع : فالذات، لما تتوجه إلى الموضوع، يضاف إليها الموضوع ويتعلق بها ؛ فتنشأ الظاهرة نسبة بين الإثنين.

عن مثل هذه المفاهيم، حول الظاهرة إذن، ستتوجه القراءة بل وتسمى ظاهراتية القراءة، لأنها ستبحث عن العلاقة بين الذات والموضوع، النص والقارئ، والتفاعل الذي يحصل بينهما، مما سيؤدي إلى استخراج مفاهيم جديدة للنص تقوم على البحث عن القراءة كشرط لوجود النص، وصيرورة تلك القراءة ؛ وهذا ما سيهتم به كل من ياكوس وآيزر ممثلاً النظرية في شقها الألماني (ص. 25).

4. ياكوس

يقوم طرحه على نقد الوضعية التي يوجد فيها الأدب وتاريخه في ألمانيا بعد الحرب الثانية، حيث بقيت الدرامات الأدبية سحينة المقاربات التلازمية التي

لا تفصل في العملية الإبداعية بين المؤلف والنص، ولا تعبر اهتماماً للقارئ ولا لتاريخ هذه القراءة.

تأسيساً على هذا النقد، تتمثل أطروحته في كون النص الأدبي له قدرات فنية تكمن في ممتلكاته، وهي مرتبطة به باستمرار ولازمة له ؛ غير أن هذا الجمال يوجد في الذات المتلقية للنص الفني والعلاقة بين ما تملكه الذات القارئة من رؤى جمالية تكشف عنها كل مرة عبر الزمن. وما تسمح به ممتلكات النص الفنية من الاستجابة لذلك الكشف الجمالي، هو الذي يُدعى بجمالية التلقي (ص. 28).

وقد قامت مفاهيم يابوس على سؤال مركزي هو : كيف يمكن التمييز بين تلقي الأعمال في زمن ظهورها وتلقيها في الزمن المعاصر ؟ وعلى أساس هذا السؤال تشكلت مفاهيمه :

أ - أفق الانتظار. وهو مفهوم ذو أصل ظاهراتي، يفترض أن القارئ ذو حظ من المعرفة المكتسبة من جراء معاشرته للنصوص، وتبنيه للسنن الفنية التي تميز جنساً أدبياً عن الآخر، وبالتالي فهو يدرك توالي النصوص في الزمان ويدرك الفروق والبذور الجديدة.

ب - تغيير الأفق : ويخص التعارض الذي يحصل للقارئ أثناء مباشرته للنص الأدبي بمجموعة من المحمولات - الموسوعة - الفنية الثقافية، وبين عدم استجابة النص لتلك الانتظارات، فيبني القارئ أفقاً جديداً عن طريق اكتساب وعي جديد قد يكون مقياساً يعتمد عليه في التأريخ للأدب.

ج - اندماج الأفق : ويخص العلاقة القائمة بين الانتظارات الأولى التاريخية للأعمال الأدبية والانتظارات التي قد يحصل معها نوع من التجاوب.

د - المنعطف التاريخي : إن المنعطفات التاريخية الكبرى التي تحدث في تاريخ الحضارات الإنسانية من شأنها أن تساعد على تكوين قراءة جديدة، أو أن الأعمال الجديدة تكون مرتبطة بهذه المنعطفات أو التحولات الكبرى التي تقدم رواية مغايرة للآفاق والانتظارات بحكم تلك التحولات من تصورات جديدة للعالم (ص. 31).

5. آيزر

تعود خلفيات نظريته إلى فلسفة رومان إنجاردن التي تقوم على التمييز بين

الوضع الأنطولوجي للعمل الفني والوضع الإستمولوجي للأنشطة المعرفية التي يحقق القارئ بها هذا العمل.

العمل الفني بهذا المعنى يتصف بعدم التحديد وتحقيق العمل يتم كل مرة مع كل قراءة جديدة. هذا المفهوم هو الذي حدا بآيزر للقول بصيرورة القراءة (ص. 34) من خلال التفاعل بين النص ومتلقيه :

أ - النص : يفترض فيه وجود بنيات داخلية تسمح بتحديدده، كما يتوفر على إمكانيات عدم تحديده التي تكمن في القراءة وفي صيرورتها.

ب - صيرورة القراءة : وتفترض أن القراءة فعل متحرك يركب الموضوع أثناء جريان فعل القراءة، ونشاط مكثف يختلف باختلاف القراء في اللمة المعنى من النص.

ج - الشروط التي تتحكم في تفاعل النص مع القارئ

للعمل الأدبي قطبان : القطب الفني وهو نص المؤلف، والقطب الجمالي وهو الإنجاز المحقق من طرف القارئ الذي يقوم بإمساك المعنى عن طريق ملء لما أهملته بنيات النموذج النصية، مما يؤدي إلى التواصل في النهاية.

• ماذا عن النقد الأدبي العربي الحديث ؟

تبقى إمكانات النظرية مفتوحة حسب الأستاذ بوحسن، لاستثمارها في مجال النقد الأدبي العربي. ويقترح الباحث منها مفهوم أفق الانتظار باعتباره «قد يساعد في وضع تحقيق للأدب الحديث يأخذ بعين الاعتبار مختلف التلقيات التي تعرضت لها جملة من النصوص الأساسية دون غيرها، وساهمت في بناء الرأي العام الأدبي والنقدي وأصلت انتظارات دامت طويلاً أو خلقت انتظارات جديدة متصارعة» (ص. 38).

وأفترض أخيراً أن إمكانية الإستثمار التي طرحها الأستاذ بوحسن، يمكن أن تخدم تصوراً جديداً لإعادة بناء التاريخ الأدبي العربي على نحو نسقي، يراعي الثوابت والتحويلات والاتصالات والانقطاعات، وهو ما قد ننتظر متابعته لاحقاً.

2. محمد مفتاح: من أجل تلقى نسقي .

I - يسعى هذا البحث إلى توسيع إمكانيات نظرية التلقي بتفادي القراءة التجزئية، ووضع أسس لتلقى نسقي توليفي قائم على إبستمولوجية تشييدية «شعارها ألا شيء معطى وإنما كل شيء مبني» (ص. 45).

إن مسوغ هذا التوجه يعود إلى طبيعة النظرية وإلى مرونتها. فهي متعددة المشارب، وإعية بالطبيعة التركيبية للظواهر الطبيعية والاجتماعية، متفاعلة مع النظريات العلمية والتوجهات الإبستمولوجية الجديدة ؛ هذا الوعي بتركيبية الظواهر وبذاتية الملاحظ ومحدودية ملاحظته ونسبيتها، يجعلها غير مطلقة وقابلة لأن تعيش في سيرورة وصرورة تاريخية، بحيث يمكن تعديل بعض عناصرها إلغاء وإضافة.

تأسيساً على هذا الطرح، يحار الأستاذ مفتاح نظرية يابوس على الخصوص من أجل قراءة الثقافة المغربية على أساس نسقي، بحيث أن أول سؤال يطرح هنا هو : إذا كانت نظريته في حرفيتها مفيدة في دراسة بعض الآثار الأدبية الشهيرة في القديم والحديث، فماذا سيكون العمل مع آثار ليست قمماً مثل الآثار المغربية القديمة التي لم تُتَلَقَّ ؟

انتباهاً لهذه الثغرة التي تتلقى القمم الأدبية بموجبها دون أن «تفلح في نصوص راجت ضمن الثقافة الشفوية بصفة عامة ثم انقطعت الصلة بينها وبين الناس كما في الأعم القديمة»، يقترح الأستاذ مفتاح - بدلا من نموذج واحد للتلقي - صياغة درجات للتلقي صالحة للتطبيق على الأدب الراقي وغير الراقي ؛ وعلى ثقافة أمة بأكملها، والتي وإن كانت بينها قطائع، فبينها أيضاً اشتراكات وتناظرات وتشابهات (حضور الخلفية الاستعارية) لا تثبت إلا بالوعي بصيرورة التاريخ، وبالاختلافات والتناقضات.

إن الذي يسند هذا الاقتراح، خلفية نسقية يكون النسق بموجبها «مؤلفاً من جملة عناصر أو أجزاء تتربط فيما بينها وتتعلق لتكون تنظيمها هادفاً لغاية» (ص. 49)، وأيضاً خلفية توليفية بين التلقي والقاتل بالسَّني وامتزاج الآفاق وتعاقب القراءات وتفاعل النص مع القارئ) والتاريخانية الجديدة، مع استثناء المفهوم القطعية الذي لا يمكن تطبيقه على الثقافة المغربية بالمعنى الإبستمولوجي الحاسم، إذ ليس فيها فعلاً مراحل تاريخية تتمايز كل التمايز، بحيث يمكن منح كل مرحلة مفهوماً جامعاً (ص. 48) ؛ وقد تمت صياغة هذه المفاهيم المشتركة كما يلي :

- * دور السنن في إنتاج الثقافة وتأويلها.
 - * دور الحاضر في فهم الماضي، ودور الماضي في إنارة طريق المستقبل.
 - * الصيرورة التاريخية دون قطيعة نهائية ودون اتصال كلي.
 - * الثقافة نسق عام موجه نحو غاية مهما كانت المستندات الإستمولوجية للأنساق الفرعية.
 - * سيطرة هوس فكرة كبرى للدفاع عنها في مرحلة من المراحل التاريخية.
 - * استيلاء خطاب على أنواع من الخطاب الأخرى في حقبة معينة.
 - * الدور الفعل للذات المؤولة.
- بهذا النهج، يمكن ولوج باب تحليل الثقافة المغربية وتأويلها وتلقينها.

أ - فهي قد تقبل توظيف مفاهيم السنن، وامتزاج الآفاق، لأن كل أثر أدبي فيها هو حوار مع آثار سابقة له ؛ وهو جواب عن سؤال مطروح عليه بكيفية صريحة أو ضمنية، مما يسمح بربط اللاحق بالسابق ويكون تقليداً يسمح بإنتاج النص وتلقيه في آن واحد، كما أن امتزاج الآفاق هو ربط لحاضر المؤلف المتلقي والمتلقي بماضيه، بل واستيلائه على ذلك الماضي وامتلاكه له». (ص. 48).

إذا كانت الدراسة الاستعارية تقوم على إثبات الاستعارة في النص، ثم إثبات العلاقة بين أجزائه، فإن الثقافة المغربية تصير هنا نصاً قابلاً للتحليل استعارياً، وهو أمر يستشرفه مفتاح في نهاية عمله ويعدنا بتفاصيله.

ب - والتحليل النَّسقيّ، مع إعطائه صيرورة تاريخية غير مقطوعة، ضروري لإدراك أنساق الثقافة المغربية ككل والنسق الأدبي بصفة عامة وعقلنتها... هذه الأنساق (البلاغة والأصول والكلام والنحو والمنطق والتصوف والتاريخ) ليس ينفصل بعضها عن بعض، وبين مجموعات منها أسس ابستمولوجية مشتركة. وهي، وإن تباينت، تهدف إلى مقصد واحد كبير ؛ هي أنساق يضيء بعضها بعضاً، وما راج منها بعض الرواج يمكن أن يتخذ منطلقاً للكشف عما كان أقل رواجاً» (ص. 50).

إذا كان مفهوم النساق يقوم على المقايسة، فإن الأمر في الثقافة المغربية يستوجب تفكيك العناصر أولاً ثم البحث عن الأشباه والنظائر ؛ أما الخلفات فهي موجودة بالضرورة.

II - الثقافة المغربية : مشروع تحليل نسقي للفلسفة والبلاغة

تبعاً لما تقدم، يقوم الأستاذ مفتاح بتحقيب حسب مراحل يهيم عليها مقصد أيديولوجي معين، لكن مع التسليم بمبدأ استمرار الإشكالية (التوليف بين مفهوم الإبتسيمي والضرورة التاريخية) : فهي وإن تنوعت درجات بروزها، فإن هناك إشكالية أبدية هيمنت على الثقافة المغربية، هي الدعوة إلى المصالحة والموافقات ستعرف أسسها وأبعادها من خلال اقتراح مشروع تحليل نسقي للمؤلفات الفلسفية والبلاغية، يتفادى ثغرات القراءة التجزئية الانطباعية أو العقلانية المتفلسفة.

أ - فيما يخص القدماء : لماذا كان تلقيهم للمؤلفات البلاغية المعاصرة لهم باهتاً (نموذجاً السجلماسي وابن البناء المراكشي) ؟

يمكن اختصار السبب في أمرين إثنين، ثانيهما أهم من الأول :

• إغراق البلاغة في بحر التفكير الفلسفي الأرسطي وفي التقسيمات، الشيء الذي ينفر المتعلم المتبديء أو يدفع المتبحر إلى مناوئتها عن آتئاع.

• المؤسسات التي كانت تروج فيها هذه الكتب، كانت تقوم على الإلقاء الشفوي بين المدرسين والمتعلمين ؛ ولذلك، فإن طبيعة المؤسسة وغياب التقاليد الكتابية حذت من آتئشار هذه الكتب البلاغية إلى حين ظهور المطبعة (ص. 56).

ب - فيما يخص المحدثين، فإن قراءتهم تنوعت بين :

• قراءة متفلسفة : يمثلها الأستاذ الجابري الذي يلتقي مشروعه ومفاهيم نظرية التلقي في تفاعل المتلقي مع النص (كشف المسكوت عنه في نصوص ابن رشد وملت ثغراتها)، وفي النسبة التاريخية (مراعاة القواعد اللغوية والسياق النصي والتاريخي للفكر المقروء)، وفي اندماج الآفاق (جعل المقروء معاصراً لنفسه ومعاصراً لنا)، وفي نواة القراءة النسقية (انتباهه لإشكالية الموافقات في الفكر المغربي التي «حاول الإسهام في حلها أنواع من الخطاب (...) أي تحويل التشرد الاجتماعي والسياسي الديني إلى توافق متراضي عنه (...)، فأشكالية الموافقات كان يريد أن يحلها النسق العام للثقافة المغربية بتضافر الأنساق الثقافية الفرعية وتفاعلها وتعالقها» (ص. 60)).

الجابري بهذا قدّم أرضية صالحة لقراءة الفكر الفلسفي في المغرب تحتاج إلى
تقويم :

أ - دفاعه عن خصوصية الفكر الفلسفي في المغرب لا يخلو من صواب
ولكنه مبالغ فيه، لأن الفلسفة المغربية تتناص مع المشرقية، ولأن القطائع لا تحدث
بصفة نهائية وشاملة فيما عرفته البشرية من ثقافات.

ب - مبالغته في تقديم الخطاب الفلسفي (تضخيم الخطاب العقلاني)، لأنه
لم يكن وحده في الساحة، ولأن غاية الموافقة بين عناصر المجتمع كانت واحدة لكل
الخطابات التي بدت غير منسجمة في الظاهر بسبب اختلاف الأسس
الإستمولوجية، ولأن الأقل عقلانية كان يمكن أن يكون الأكثر فاعلية في الناس
والمجتمع، ولأن لكل مرحلة خطابها المهيمن، ولأن الغايات العملية هي التي كانت
توجه النشاط الثقافي وليس الغايات المعرفية العلمية. فالطرح الإستمولوجي الذي
يجده القارئ عند ابن رشد هو تحقيق لغايات عملية وليس مقصوداً به المعرفة العلمية
أو المتعة الثقافية (ص. 62).

« قراءة متأدبة : يمثّلها الغازي وابن تاووت وبنشقرن، وتلتقي مع قراءة
الجابري من حيث إبراز الشخصية المغربية ودورها في المجال الثقافي العربي الإسلامي،
ولكنها بقيت محدودة في كونها :

- لم تتساءل عن أسباب قيام هذه المدرسة وعن الأسس الإستمولوجية التي
تجمع بين البلاغة وأصول الفقه.

- لم تبحث في دور هذه المؤلفات في المجتمع المغربي، ولم تبين الإشكالية
العامة التي تهدف إلى حلها، كما أن هذه القراءة تنتمي إلى المنهجية التاريخية الجزئية
التي تحاول أن تربط الفكر بالتحويلات السياسية ربطاً ميكانيكياً، كما أنها لم تبين
العلائق بين علوم العصر، لأن ثقافة العصر تكون نسقاً عاماً (ص. 66).

« قراءة نسقية للبلاغة : تركز على إثبات أن الثقافة تكون نسقاً... وأن على
الباحث، في مجال الثقافة المغربية، أن ينظر إلى جميع الآراء التي تفسر عدم تلقي
الكتب البلاغية ذات المنحى الفلسفي باعتبارها نسقاً معقداً تتفاعل عناصره، وهذا
التناول يقوم على موضوعات الحركة والعلاقة والتعاليق والتفاعل والترابط. (ص. 68)

ورغم الاعتراض على أنها مفاهيم لا تخص العصور المراد دراستها، فإن الوقائع تثبت أن المجتمع المغربي لم يكن جُزْراً منعزلة، بل كان بين أطرافه ومكوناته اتصال وترباط وعلائق توحيدها الأهداف والمقاصد بالرغم من اختلاف مشاربها وانتماءاتها وعقائدها وهي : توحيد الأمة الإسلامية في الغرب الإسلامي (مشكل الموافقات).

3. محمد العمري: الرواية والاختيار : تأمل تاريخ الأدب العربي من زاوية تلقي الشعر القديم.

إنَّ انشغال نظريَّة التلقي في شقها الياسي «باقترح مدخل جديد لدراسة تاريخ الأدب، يعيد الاعتبار للمتلقي في وقت هيمنت فيه الدراسات النصية والسوسيولوجية»، هو الذي حدا بالأستاذ العمري في هذه المداخلة إلى «محالة الاستفادة من النظرية لطرح أسئلة متعلّقة بقراءة الشعر العربي القديم في مرحلة حاسمة من مراحل تطوره، هي مرحلة الرواية والاختيار من الشعر القديم» (ص. 76).

ونظراً لتشعُّب هذه المسألة، فقد حصر الباحث اهتمامه في الرواية والاختيار الأدبيين من خلال نموذجين كبيرين : اختيار المقصِّدات واختيار المقطِّعات :

المُقَصِّدات : تُمثِّل اختيَّارها المعلقَّات، حيث أن أخبارها تطمح إلى إرجاعها إلى القارئ الجاهلي لتدعيم قضية التعليق على جدران الكعبة، ولأنها ألواح التشريع الشعري (ص. 77).

المقطِّعات : تُمثِّل اختيَّارها حماسة أبي تمام، التي تمت محاکاتها عبر تاريخ الأدب العربي كاشفة عن أسئلة كل عصر، وحاجاته الفنية من الرصيد الشعري الضخم، وعاكسة بذلك نوعية المتلقين وطبيعة تلقيهم الجمالية والأيدولوجية والنقدية وغيرها...

القضية المركزية التي ينه إليها الأستاذ العمري هنا هي أنه بالرغم من اتساع ظاهرة الاختيار، فإن القدماء فضلوا أبا تمام في مجال المقطِّعات، حيث يعود تبرير الأفضلية إلى نقاء الإختيار، وقَدِّموا المفضل في مجال اختيَّار المقصِّدات حيث تبرير هذا التقديم هو وفاء الاختيار.

وعموماً، فإنَّ هاتين الصفتين تدخلان في باب الدعوة إلى المحافظة على الماضي وإعادة إنتاجه بنفس الوتيرة ؛ فكلمة نقاء لا تخلو من قَدَح في ما ترك من القصائد

باعتباره غير نقي، أي مدّئساً، وكلمة وفاء بالرغم من أنها تعني «تمام النموذج وتمثيله للتقليد العربي في البناء اللغوي والشعري الأمثل، فإنها لا تخلو كذلك من قيمة أخلاقية» (ص. 79). ليس هذا الجدل كما يبدو معزولاً عن جدال أوسع يخص طبيعة القيم المتنازع عليها، بين الفكر المحافظ والفكر المجدد، مما يؤثر بالضرورة على مسألة الاختيار نفسها.

الاختيار : التوسيع والتنظير والممارسة

اهتم الأستاذ العمري هنا بموضوعة مسألة الاختيار لا كممارسة بسيطة بل كإشكالية حضارية وفكرية عاشها تاريخ الأدب العربي القديم، بل وترتبط بمفارقات فيما يخص الشخص الواحد ؛ فهو صاحب اختيار (مسعى إرادي)، وهو شاعر (مغلوب على أمره أمام ضغوط الممدوح)، وبالتالي لا يمكن تلقي الأدب العربي القديم كمقام إنتاجي وحيد ومنسجم، بل ينبغي مراعاة مقاماته المرتبطة بالظروف والأوضاع السياسية (الأدب الرسمي - الأدب الفصيح)، والاجتماعية (الأدب الشعبي الكرنفالي المستجيب لبنية لها خصائصها).

في مجال توسيع الدائرة نحو الاختيار التنظيري، نجد الجاحظ البلاغي الذي باختياره النصوص الخطابية والشعرية والأمثال والحكم والأخبار، آختر تراثاً نقبضاً للتراث الذي قامت عليه الفرضيات الحضارية الأموية (الفخر والتهديد)، باعتاده الحوار والإقناع، كما ابتعد عن النموذج المثالي في خصوصيته بإدماجه في النموذج الإنساني.

ونجد أيضاً أبا تمام الذي كان يؤلف كتاباً في البلاغة والنقد على أسس جديدة، في الموضوع والشكل، وهو مسعى ندرك به انه كصاحب اختيار وكشاعر منتج، كان قارئاً للتراث السابق له وليس ناقلاً فحسب، وبالتالي فليس من الضروري أن يكون الإنتاج مطاباً للاختيار.

هذه المسألة تؤكد لها فرضيات نظرية التلقي، فالعلاقة بين السابق واللاحق لا يحكمها التطابق، بل تستدعي «التغيير والتعديل والتركيب، بل والسخرية والنقض» ؛ وهو عمل مارسه أبو تمام شعرياً بامتياز على الرغم من أنه كثيراً ما كان ينضغظ بضرورة الإنتاج تحت الطلب، ولكن الأمر كان غيره في الاختيار الذي مقامه الاختلاء والعزلة.

ينفرد هذا البحث بطريقه موضوعاً شائكاً فيما يخص تلقي الأدب العربي القديم، من خلال مسألة الاختيار التي عبرت تاريخ هذا الأدب وأضاءت الكثير من أوضاعه السياسية والاجتماعية والفكرية والفنية، وهي قضايا تدخل في صلب نظرية التلقي في جزء من أجزائها : كيف تتلقى تاريخ الأدب وما الأدوات الفعالة لإعادة قراءته شمولياً ؟

4. سعيد يقطين : تلقي العجائبي في السرد الكلاسيكي (غزوة وادي السيسبان نموذجاً)

I – ينطلق عرض الأستاذ يقطين من عالم تلقي السرد الشفوي (الحلقة) وردود فعل الجمهور داخلها، من خلال اختيار خطاب سردي ذي طبيعة عجائية، هو غزوة وادي السيسبان التي تروى فيها لإحدى غزوات الرسول.

وعلى أساس اندراج هذا البحث ضمن مجال السرديات، فإن المقدمة النظرية التي يؤكد عليها يقطين هي :

1. المتلقي مكون من مكونات العمل السردية.

2. يهدف اهتمام السرديات بالمتلقي إلى توسيع مدار البحث بالانتقال من المروي له إلى القارئ أولاً، وإلى تطوير المساهمة في نظرية التفاعل النصي بنقلها من مجال الاهتمام بالتفاعل بين النصوص إلى البحث في تفاعل القارئ مع النص (ص. 89).

II – تبعاً لهذه المقدمات، يضع الباحث خطاطة نظرية تبرر اختيار العجائبي الذي يتم استثمار بنية من أجل تبيان أبعاد القراءة، من خلال علاقة الراوي بالمروي له.

1. إن اعتماد الحكاية العجيبة منطلقاً للتحليل تجد مبرره في كون هذا النوع السردية يتحدد بالأساس على قاعدة الحيرة أو التردد المشترك بين الفاعل والقارئ حيال ما يتلقيناه، إذ عليهما أن يقررا ما إذا كان يتصل بالواقع أم لا كما هو في الوعي المشترك.

اختيار العجائبي من زاوية التلقي إذن يتم عند يقطين من خلال تحليل حكاية تندرج في إطاره، وذلك بسلوك طريقتين :

* النص العجائبي في ذاته (الراوي والمروي له).

« النص العجائبي وأشكال تلقيه (علاقته بالمتلقي) في الفترة التي ظهر فيها وفي عصرنا الراهن.

2. الغزوة

وتدخل في قصص المغازي والفتوح (الخروج من دار الإسلام إلى دار الكفر فاتحين)، حيث تأخذ بنيتها الحكائية تسلسلاً بسيطاً، يقوم على 3 حركات : الاستعداد للمعركة - خوضها - نتيجتها.

هذه المادة الحكائية يتم تشكيلها بطريقة يتجاوز فيها الواقعي (حدث فتح بلاد المشركين وإدخالها في الإسلام)، والعجائبي (حضور جبرائيل قبل المعركة وأثناءها مصداً ومحفزاً - معجزات الرسول في اختصار زمن الرحلة وأمحاء المسافات الزمانية والمكانية - نداء الرسول لعلي واستجابته له بالقدوم في الحال).

بهذه الاستراتيجية النصية الخاصة التي تخلفها الحكاية على صعيد الإنتاج (التعلق النصي بالسيرة النبوية - التناص مع الحكاية العجيبة)، فإنها تخلق استراتيجية تلقيها الخاص بناء على أن أي نص كيفما كان نوعه، وهو ينتج في سياق نصي وثقافي وتاريخي، ينتج متلقيه في الآن ذاته (ص. 95).

3. الراوي والمروي له

على أساس المنطلق السردى القائل بأن كل راو وهو ينتج خطابه ينتج معه صورة المروي له ضمناً أو مباشرة، فإن المروي له يتفاعل مع هذا النص لكونه ينطلق من الخلفية النصية المتفاعل معها نفسها، وبذلك يحصل الاشتراك والاندماج في النص :

أ - الراوي : ابن عباس (الصدق) - ناقل - عالم بكل شيء - متواطئ - منحاظ.

ب - المروي له : ضرورة التصديق - الاندماج في وجهة النظر - إثارة انفعالاته - إشراكه في تشكيل النص.

يمكن تمييز طبيعة المروي له هاته انطلاقاً من أن «راوي الغزوات يتوجه إلى متلق خاص هو المتلقي الشعبي، وهذا ما جعل المتلقي العالم أو الرسمي ينكر هذا

النوع من القصص التي تدخل في أدب العوام، بل ومحاربا باعتبارها بدعاً (ص. 97).

- الراوي والمروي - حسب هذا السياق - لا يهمهما التاريخ والواقع، ولكن الأهم هو السرد بمفاجآته وأحداثه وفجواته التي يتركها الراوي ليعملها المروي له، حيث يتم هذا التعاقد وفق استراتيجية نصية مشتركة بين الراوي والمروي له، يجد أسسها في تفاعل النص مع نصوص أخرى بشكل خاص، وفي تفاعل المروي له مع نصه المعين، وبذلك يتحقق الاشتراك النصي بين الراوي والمروي له باعتبارهما ترهينين (أو تحقيقين) سردين (ص. 98).

III - خلاصتان أساسيتان - من بين خلاصات هامة أخرى - يركبها هذا البحث في نهايته بخصوص الحكاية العجيبة :

الأولى: إذا كانت طبيعة البنية الحكائية داخلية وتتحقق عبر تجارب الراوي والمروي له حول مادة حكاية مشتركة في الخلفية النصية بينهما، فإن السياق السردى العام يحدد من وجهة خارجية علاقة الراوي (المؤلف) بالمروي لهم (المتلقي) من خلال تفاعل المروي لهم مع النص المحكي بتحقيق الثقة - التصديق (ص. 99).

الثانية: إن صورة الراوي (الذي كان في الماضي) مازالت صامدة إلى الآن ؛ ويمكن قول نفس الشيء عن المتلقي : فبالرغم من كون الحكاية العجيبة منتهية من حيث إنتاجها في الماضي، فإنها ما تزال تروى وربما بنفس الشكل الذي كانت تروى به في عهود منصرمة (استمرارية التداول الشفهي) (ص. 101).

5. ادريس بلمليح: استعارة الباث واستعارة المتلقي

يرتكز الأستاذ بلمليح في هذه المداخلة على الاستعارة في جانبها التفاعلي : التفاعل بين الباث واللغة وبينه وبين العالم - التفاعل الحيوي بين الباث والمتلقي - تفاعل الباث بالعالم يمتد عبر اللغة ليشمل تفاعل المتلقين أيضاً.

هدف هذا الارتكاز هو دراسة هذه الأشكال من التفاعل بالاستناد إلى بعض مفاهيم نظرية التلقي، على أساس أنها النظرية التي قد تمكنا من فهم الاستعارة فهما لغوياً تواصلياً ثم جمالياً في آن واحد (ص. 106)، وذلك من خلال مقاطع شعرية تتم دراستها وفق نظام الفعل الاستعاري (تفاعلات الاستعارة داخلياً)، ونظام رد الفعل (تفاعل المتلقي مع الاستعارة).

1. وصف التفاعل

على أساس تواصل تفاعلي تحمل بموجبه الرسالة الفنية تفاعلاً كامناً داخلها، ويستحضر فيه الباث في لحظة إنجازه الفني، تتحدد طبيعة الفعل ورد الفعل، بحيث «يحضر المتلقي في التواصل المبدئي الذي يقيمه الباث مع نفسه، أي أن التفاعل الذي يخضع له الباث في التواصل الفني تفاعل تخيلي، ويستحضر مصدر الرسالة من خلاله متلقياً يجرده من ذاته، فتكون ردود فعله مؤثرة في عملية تكون الرسالة أثناء مراحلها الأولى. وهو نفس النظام الذي نلمسه لدى المتلقي، إذ يجرّد من ذاته أثناء عملية القراءة «أنا» باثة للرسالة لم تكافيء أنه المتلقية، فتمكّنه من استحضار السياق الغائب عنه، ويحاول عن طريقها أن يمارس تطابقاً معيّناً مع الباث الفعلي، ليدرك محتوى الرسالة، ويخضع لفعاليتها. ولذلك، فإن المتلقي ينفصل بحكم هذا النظام عن ذاته الواقعية، يمارس وجوداً فنيّاً يعكس عبره ردود فعل مختلفة بإزاء الأفعال الكامنة في النص» (ص. 108).

ويمثل أساس اشتغال نظام الفعل وردّ الفعل ضمن نص فني معين، حسباً يشير إلى ذلك بلمليح، في الذخيرة المشتركة بين الباث والمتلقي، والتي تتكون لدى أيزر من مواصفات أدبية وقيم تاريخية بعمل كل نص على دمجها ضمنه وعلى إعادة إنتاجها بشكل مستمر، وذلك وفق خطاطة عامة تكمن في النص، وتسعفنا في أن نستشف العناصر الأدبية والأنظمة الدلالية التي تمثل امتداداً تاريخياً داخل مجتمع من المجتمعات... وهي تمتد لتشمل سنناً ثانياً ينتجها القارئ في موازاة مع سنن أولي تعكسه الخطاطة (ص. 109).

2. الفعل الاستعاري ورد الفعل

على أساس ما تقدم، يحدد بلمليح الاستعارة في كونها عملية اكتشاف تصوري لعلاقات لم يكن لها وجود قبلها، فيترتب عن ذلك أن الباث يكون بإزاء حقول تصورية هي أصل اكتشافه، وأنه يستطيع التعبير عنها بأدوات متعددة ليست اللغة سوى واحدة منها.

ويمثل هذين النظامين بمقاطع شعرية لمحمد الحمار الكنوني، يحدد طبيعة التفاعل داخلها (الفعل الاستعاري) وطبيعة تأويلنا لها انطلاقاً من أن رد فعل سنن ثانٍ

يبدأ بالدهشة الجمالية، ليصل إلى التأويل انطلاقاً من الذخيرة المشتركة بين المتلقي والباحث والتي تكون لغوية ومعرفية أساساً (ص. 117).

بهذا المعنى ولتحديد الوقع الاستعاري ضمن ما هو مشترك بين الباحث والمتلقي، تبرز معالم النظامين : «نظام الفعل الاستعاري نظام كامن، أي أن المعاني الثواني التي هي أصل التصور لدى الباحث معان مغيبة، ترتبط بخلفية تخيلية غير موسومة في مستوى السطح... وسيبدو أن المشترك بين الباحث والمتلقي إنما هو أصل اللغة، ثم المعرفة التجريبية المرتبطة بالعالم وبهذا الأصل الذي هو أصل تمثيلي. أما الاستعارة فهي اكتشاف تصوري يعمل على قلب علاقات الظواهر وعلاقات وحدات النظام اللغوي الذي يمثلها في التواصل اليومي.

وقد يترتب عن الوقع الكامن في الاستعارة أن ما يُعدُّ مشتركاً بيننا وبين الباحث، ينتقل من المعاني الأولى ومن لغة التمثيل إلى المعاني الثواني ولغة التأويل، أي من المعرفة التجريبية والتواصل اليومي إلى المعرفة التصورية والتواصل الفني، وهو ما يحيلنا إلى أن رد الفعل سيكون مطابقاً لنظام الفعل، وإلى أن التفاعل بيننا وبين الباحث سيكون تفاعلاً غنياً نسعى عبره إلى تذويب الأنا التخيلية التي نفصلها عن الأنا الواقعية ضمن المجال التصوري الذي أذاب فيه الباحث أنهاء المكتشفة والمبدعة (ص. 116).

إن مقارنة الأستاذ بلمليح لموضوع الاستعارة، من خلال أفق انتظار القارئ (إطاره المرجعي وموسوعته القادرة على فك السنين الاستعاري وتأويله)، مدخل أساسي إلى فهم أشمل لهذا المفهوم المركزي في المعرفة البشرية، وأخص بالذكر الاستعارة السياقية أو استعارة النص.

6. حميد الحمداني: مستويات التلقي : القصة القصيرة نموذجاً

يختص جانب من مداخلة الأستاذ الحمداني بطابع أبستمولوجي : فهو يسعى إلى إثبات أن القارئ والمتلقي بخصوص ليس مقولة واحدة ثابتة (لأن ذلك يسوي بين القارئ العادي المتذوق والناقد وعالم الأدب والباحث الإبستمولوجي في معرفة المعرفة، حيث أن ردود الأفعال والفعاليات الذهنية التي يمر بها كل واحد من هؤلاء تختلف اختلافاً كبيراً بين حالة وحالة، فضلاً عن مستوى خبرة كل منهم وثقافته)، بل إن للقرءاء مستويات لها طابع تصاعدي متعلقة بمستويات المعرفة

(حدسية - إيديولوجية - ذهنية - ابستمولوجية) المصدر عنها أو المرغوب في استكشافها انطلاقاً من وظيفة محددة.

بهذا المعنى يرى الباحث أن «القراءة ليست معطى تجريدياً عاماً يمكن الحديث عنه كفعالية واحدة منسجمة، في كل زمان ومكان، ولدى كل الأشخاص. فلا بد من مراعاة مستويات القراء ومستويات معارفهم وخبراتهم. والقراءة بهذا المعنى أيضاً تفاعل دينامي بين معطيات النص والخطاطة الذهنية للمتلقى، بما فيها رغباته وردود أفعاله» (ص. 130).

النموذج الذي يتم اختباره هنا هو القصة كخطاب تخيلي يجمع بين العناصر الواقعية والعناصر الخيالية، وأيضاً باعتباره محتوياً على عناصر قابلة على الدوام لأن يتصرف فيها المتلقي إما بال حذف أو التغيير. وهذا يعني سيكولوجياً أن رغبات القراء وخطاطاتهم تقوم بدور إعادة تنظيم النص يجعله منسجماً مع الذات القارئة (ص. 131).

فما مظاهر هذا الخطاب ؟

ما الخطاب التخيلي من منظور فعل التلقي ؟

تحدد معالم الإجابة على هذين السؤالين من خلال اختيار فعل القراءة تجريبياً على عينة من الطلبة الجامعيين، باتباع نهج يتفادى «جعل القارئ مجرد أداة استكشافية للوصول إلى معطيات نفترضها في النص المدرس» (131).

الاختبار

النص الذي تم اختياره هو قصة «الجرادة» لمحمد زفزاف، باعتباره نصاً قصصياً قصير الحجم (عدم إرهاق الذاكرة وملكة الفهم والمقارنة)، وأيضاً باعتباره :
- يجمع بين عناصر واقعية وأخرى ترميزية خيالية.

- قابليته للفهم والتأويل باعتاد الاستدلال المنطقي بناء على العلاقات الموجودة بين عناصر النص ذاته، أو بناء على ما توحى به هذه العلاقات من قيم لها وجود في الرصيد الثقافي للإنساني (132).

وقد أجريت التجربة انطلاقاً من أسئلة مدروسة تخص :

1. قراءة النص والتأشير على الكلمات المثيرة.
2. التلخيص (تحديد المفهوم الخاص لدلالات القصة).
3. تحديد القيمة الفنية للنص إن وجدت.
4. تحديد القيمة المضمونية للنص إن وجدت.

ويمكن صوغ النتائج كما يلي :

1. تمت الاستجابة لأكثر العناصر أهمية في النص، ولكنها لا تعني بالضرورة فهم العلاقات القائمة بينها بطريقة صحيحة، وهذه مسألة راجعة إلى اختلاف القراء في خاصيتين : إدراك الأجزاء مفردة وإدراكها متصلة مع بعضها البعض، فضلاً عن أن المعرفة والخبرة تتداخلان بشكل مباشر في هذا الإدراك (ص. 135).

2. تفاوت فهم النص بين ثلاثة مستويات : توافق بين فهم القراء ودلالة النص – دلالات مفروضة على النص إلى جانب الدلالات المطابقة – غلبة الدلالات المفروضة على النص، وبالتالي يمكن استخلاص ثلاث قراءات :

- قراءة تغلب الجانب المعرفي.
- قراءة تعادل بين الجانب المعرفي والجانب الحدسي.
- قراءة تزواج بين الجانب الحدسي والجانب الأيديولوجي.

هذا، مع شبه غياب للقراءة الإستمولوجية.

نهج الأستاذ الحمداني في هذا السياق استثنائاً لخطاطات عالمية على المستوى اختبار فعل القراءة، وهو ما يفتقر إليه المجال التربوي عندنا خصوصاً فيما يتعلق بالنصوص الأدبية.

7. عبد العزيز طليمات: فعل القراءة : بناء المعنى وبناء الذات:

قراءة في بعض أطروحات آيزر.

لنظرية التلقي تشعبات وأبعاد وخلفيات تجتمع كلها في تفكير جديد حول الأدب، وفي إعادة النظر في مسألة التاريخ الأدبي. سيختار الأستاذ طليمات جهة آيزر الذي «انصب اهتمامه على تشريح عملية القراءة ذاتها... بتوجه من خلفية

ظاهراتية تأويلية» وسيركز في هذه الجهة على شق مميز هو مسألة بناء المعنى وبناء الذات في فعل القراءة كما يضع معالمها آيزر.

1. بناء المعنى

المعنى عند آيزر هو ذلك الذي يُبنى بمساهمة القارئ وعبر فعل القراءة باعتبارها عملية تفاعلية، أي تواصلية بالأساس (ص. 152). وهو يقوم على خلفيات وإليات :

أ - خلفياته

« ظاهراتية، مفادها أنه لا يمكن تحديد هوية العمل ببناء معناه، إلا من خلال التحقيق (Concrétisation) الذي يستلزم :

- أن النص ليس هو المعنى بل هو ذلك الوسيط الضروري الذي بوعيه (كشيء) تتمكن الذات من وعي ذاتها (مسألة القصديّة).
- أن المعنى ليس سابقاً على التحقيق، أي على تدخل القارئ.
- أن التحقيق يخرج المعنى من حالة الكمون إلى حالة التجسيد (التقاء النص بالقارئ).

« تأويلية: تتجاوز ثنائية الفهم والتفسير (...) حيث يتحد الفعل القصدي مع مجرى الأشياء فيما يسمى بالتدخل المقصدي، والذي ينضاف إليه التداخل المرجعي، مما يحطم الحدود بين نظام ذهني للفهم ونظام مادي (فيزيقي) للتفسير (ص. 153).

ب - وإلياته: وترتكز على مفاهيم منها ما يخص النص ومنها ما يخص التحقيق (أي القارئ).

« ما يخص النص

- سجل النص، الذي يحيل على كل ما هو سابق النص (كنصوص)، وخارج عنه كأوضاع وقيم وأعراف (تاريخية - اجتماعية - ثقافية)، حيث يساهم ذلك كله في بناء معنى النص وتحديدته (...) لكن هذا لا يعني أن علاقة النص بمرجعياته بسيطة، بل تتأسس عبر صيرورة معقدة، وبالتالي لا يتقدم المعنى جاهزاً،

وإنما يتحدد من خلال تلك الصيرورة التي تلعب فيها القراءة دوراً أساسياً (ص. 155).

– استراتيجيات النص: النص كتبادل خطي ومن أجل تحقيقه كنص، ينظم نوعاً من الاستراتيجية التي تصل فيما بين عناصر السجل وتقيم العلاقة بين السياق المرجعي للخلفية وبين القارئ. إنها تمثل نسيج النص ككل، أي كشكل، وكمعنى ؛ ذلك أنها ترسم النسق التعادلي للنص، حيث تلحم ما بين أجزائه بشكل جزئي لأن النص يجب أن يظل مفتوحاً أمام إمكانية الفهم والتأويل، وألا فإنها بتحديددها لكل شيء تستل خيال القارئ.

• ما يخص القارئ

– مستويات المعنى، حيث يبنى النص ويحدد أفقه الذي يمثل وجهة نظر المؤلف، وينصرف القارئ إلى منح تيمة معينة لذلك الأفق، من خلال تركيزه على واحد من المنظورات المختلفة التي يقدمها النص – إن القارئ يدخل من أجل ذلك في عملية طويلة ومعقدة من الاختيار والإقصاء والتغيير والتحويل لختلف تلك المنظورات من أجل الوصول في النهاية إلى إقامة تلك العلاقة بين التيمة والأفق (ص. 157).

– مواقع الالات تحديد: وتقوم على البياضات والفراغات التي تتقدم في النص وملؤها القارئ (الفراغ الباني)، وتتضمن أولاً الانفعالات والانفكاكات التي يحملها النص وتثير القارئ وتحفزه على التفكير والتخيل، وبالتالي ملء الفراغات، وثانيا طاقة النفي حيث يتم رفض بعض ما يقدمه النص كحقائق أو معارف أو أفكار، وبذلك تقوم العلاقة غير المتناسبة بين الطرفين (إسقاط – صراع – وضعية مشتركة).

2. بناء الذات

ويمكن النظر إليه عند ايزر في مستويين وراءهما خلفيات تأويلية وفلسفية بيّنة (إينكاردن – ريكور – كانط) :

الأول: يخص الذات القارئة، حيث أن القراءة لا يمكنها أن تنطلق كمسلسل يؤدي إلى بناء المعنى وإنتاج الوقع إلا من الذات التي يصفها آيزر في إطار تواصلية (ص. 161)، إضافة إلى أن بناء المعنى وحده هو الذي يقترن ويكتمل ببناء الذات، بل كذلك تعدد مصادر الوقع الجمالي أثناء القراءة، ذلك أنه بقدر ما تتحقق وتتجدد مختلف تلك الأوضاع، تساهم في بناء الذات القارئة.

الثاني: يخص علاقة الذاتي بالتداوتي، حيث ان القراءة عملية ذاتية أساسا، لكنها في نفس الآن نشاط تداوتي : فالنص يوجه قارئه بهدف بناء معناه، وبذلك تبرز الذاتية ؛ لكن بمجرد ما يبنني ذلك المعنى، فإنه يثير ردود فعل مختلفة، مما يعني ان المستوى التداوتي هو الذي يحدد ما هو موضوعي، ما هو قابل للبرهنة والتأكيد. (ص. 162). إن أهم أسس ذلك البعد هو وجود تلك الطاقة التي لا تنفد داخل النص نفسه، والتي تحتفظ بخصائص مشتركة لبناء النص، بالرغم من تعدد القراءات والتأويلات.

تركيب

وعموماً، فإن نظرية آيزر - حسبما يرى الأستاذ طليمات - تقدم تصوراً متقدماً لفهم العمل الأدبي ولتأويله، ويدلو هذا من خلال حضور قوي لمفاهيم مؤكدة على الإطار التفاعلي التواصلية : الموقع الافتراضي - القارئ المفترض - المستوى التداوتي - البناء.

8. ميلود حبيبي: النص الأدبي بين التلقي وإعادة الإنتاج : من أجل بيداغوجيا تفاعلية للقراءة والكتابة.

تسعى مداخلة الأستاذ حبيبي إلى وضع خطاطة شمولية لتحليل النص وتأويله ضمن استراتيجيات تفاعلية (استثمار مفاهيم نظرية القراءة)، واستراتيجيات مورفولوجية (استثمار مفاهيم السيميائيات النصية والنظرية العاملة)، واستراتيجيات تجريبية (استثمار الأبعاد التربوية لتلقي النصوص وإعادة إنتاجها عند عينات منتقاة من المتعلمين في مرحلة معينة من التعلم).

لذلك ارتأينا حصر أهم معطيات هذا العرض المكثف والمسهب ضمن أربعة مستويات :

1. المستوى التحليلي

وتحكمه مفاهيم النصية (النص كعلاقات داخلية كتناس وكتداول اجتماعي)، والتفاعلية (التفاعل بين النص والقارئ على أساس أن النص الأدبي تحليل يعتمد الاقتصاد الإعلامي ويترك ملء البياضات لمبادرات القارئ ولجهوداته التعاونية)، والقراءة (الإواليات النفسية والمعرفية التي يستعملها القارئ في التفاعل مع النص المقروء عن

طريق استراتيجيات للقراءة، أهمها الاستراتيجيات المتفاعلة والتي تضم عدة أنواع :

أ - التوازن البنوي : افتراض وجود توازن في التأثير بين النص والقارئ ؛ فالنص له نظامه والقارئ له بنياته الذهنية والمعرفية المساعدة في فهم النص.

ب - حل المشكل : افتراض إشكال نصي يسعى القارئ لحله عبر وسيلة معينة.

ج - حافة الهجوم : مواجهة النص انطلاقاً من قضية - قمة ثم معالجة باقي مستويات الخطاب.

د - السابق واللاحق : فهم الخطاب يقوم على الوصل بين السابق واللاحق.

2. مستوى التلقي

ويرتكز على افتراض كون «النص يقوم على نوع من الاقتصاد العلامي فهو لا يدرج في سطحه إلا ما يعتبره ضرورياً لاتساقه الخطي، ولذلك فهو يتميز بنوع من الدينامية التواصلية مع القارئ، بحيث ينتظر من هذا الأخير المبادرة التأويلية الملائمة، ويسعى هو نفسه إلى استقطاب القارئ ودعوته إلى الانخراط في عالم النص عبر طرائق خطائية وقولية وبلاغية، تساعد القارئ في تحيين البنيات وتأويلها» (174).

على أساس هذا الافتراض، فإن تلقي النص يقوم على استراتيجيات بموجبها يكشف المتلقي عبر موسوعته ومعرفته بالعالم مستويات الانبناء النصي التعبيرية والمضمونية والأيديولوجية، والتي لا يتسع الحيز هنا لتفصيل القول فيها.

3. مستوى جدلية التلقي وإعادة الإنتاج

وتخص تفاعل البنيات النصية بالموسوعة المعرفية التي يملكها قارئ معين، ويستعملها في نهج استراتيجيات قرائية محددة... حيث يساعد غنى الموسوعة وراثتها القارئ على إدماج المعلومات الجديدة بربطها بمعارف سابقة، وتأطيرها عبر مدونات وأطر معرفية وموقفية.

وقد استخدم الأستاذ حبيبي، للتعرف على هذا التفاعل، استراتيجية حامة

الهجوم، باعتبارها استراتيجية قرائية شاملة ومرنة واستكشافية، وتشتغل وفق خطاطة تحليلية تبدأ بالافتراضات الاستكشافية (العنوان/القضية - القمة)، ثم بتعيين مجموعة من البنيات (القضايا المرتبطة بالعنوان) والمعارف (البنيات المتخيلة) والأطر التقييمية البنيات الأيديولوجية.

هكذا تم معالجة المقروء في دورات متعاقبة، سيرورتها الفهم المحلي وبيان اتساق النص وافتراض الانسجام الكلي، ... حيث إذا كان تخزين القضايا يخضع لهذا النمط من المعالجة، فإن إعادة إنتاجها تخضع بدورها لنفس المسلسل ؛ ذلك أن هذا الأخير ينطلق من افتراض مؤداه إن المعالجة تكون دورية، وبالتالي تعتبر القضايا المعالجة والمخزونة في الذاكرة قابلة للاستعادة في مهام إعادة الإنتاج كالتلخيص والتذكر المباشر وغير المباشر... (193).

4. الاختبار

لقد قدم حبسبي كل المستويات السابقة انطلاقاً من تحليل نص حكاوي «الثعلب»، عبر تطبيق لاستراتيجيات التعاون النصي التي أدت إلى مجموعة افتراضات تخص تحقيقات القراءة الفعلية في مستوى الفهم وإعادة الإنتاج. ولتأكيد صحة هذه الافتراضات، فقد تم عرض النص على عينة من تلاميذ الثانوي. وقد تبين من إعادة إنتاجهم أنه تم استرجاع القضايا الكبرى، وأنه استلزاماً لذلك هناك قضايا أخرى أكثر قابلية للاستعادة من غيرها بسبب ارتباطها بهذه القضايا. ولهذا الاختبار ترسيمات وجدول وإحصاءات تغني القارئ المهتم بالتلقي في بعده التربوي والسيكولوجي.

9. عبد القادر الزاكي: من النموذج النصي إلى النموذج التفاعلي للقراءة : تحليل عملية التلقي من خلال سيكولوجية القراءة.

يتناول الأستاذ الزاكي هنا موضوع التلقي ليس من وجهة نظر النقد الأدبي التي اشتهرت بها النظرية، بل من وجهة سيكولوجية القراءة ومن وجهة اللسانيات التربوية، وهو توجه يركز على التلقي بمعناه المعرفي، أي على استيعاب النص أو ما يسمى بمعالجة الخطاب (ص. 216).

وتقوم خلفيات هذا الاهتمام عند الزاكي على سيرورة انشغال عالمي. فبعدما أهتمت عملية الاستيعاب القرائي في شقها الباطني الذهني (لا ينبغي أن يهتم البحث

السيكولوجي إلا بما يمكن ملاحظته وقياسه بكيفية مباشرة)، وبعد انهيار المدرسة السلوكية، تكون إجماع على أنه لا مفر من الاهتمام بالعقل وما يقوم به من عمليات معرفية، وظهر نتيجة هذا الإجماع ميدان علم النفس المعرفي الذي ترسخت قدمه مع ارتباطه بعلوم اللسان والمعلومات والدكاء الاصطناعي (217).

يميز الزاكي في هذا السياق بين ثلاثة نماذج كبرى للاستيعاب القرائي، ثالثها (أي النموذج التفاعلي) يصهر السابقين في بنيته محققاً بذلك كفاية النموذج وفعالته.

1. النموذج التصاعدي

وينظر إلى القراءة كعملية تسير من الأسفل إلى الأعلى، أي من النص إلى ذهن القارئ، ويعتبر أن المعنى يوجد في النص وليس على القارئ إلا أن يستخرجه.

ويتصف هذا النموذج بالقراءة الخطية دون انتقاء أو تنبؤ، وبالموضوعية دون انتباه لذاتية القارئ (219).

2. النموذج التنازلي

ويفسر مسلسل الاستيعاب القرائي من خلال المعرفة القبلية التي يوظفها القارئ ويسخرها في هذه العملية، وذلك على حساب النص وخصائصه ودوره في تلك العملية.

فعل القراءة، حسب هذا النموذج الذي يمثله سميت، هو عملية صَبَّ المعاني في النص؛ والفهم القرائي تحدده وتقوده النظرية التي توجد في ذهن القارئ، حيث لا يشكل النص إلا بعض المؤشرات التي ينتقي منها القارئ ما يحتاج إليه.

إنه مذهب يتطلع خصوصية النص ويحوها لحساب ذاتية القارئ، مما ينتج عنه غياب النص في عملية الفهم، وغياب صوابية التأويل الناتج عن حرية القارئ المطلقة، وغياب الاهتمام بالوحدات السفلى للنص.

3. النموذج التفاعلي

يتميز باعتبار كل من النص والقارئ طرفين متكافئين متفاعلين في الفهم وفي توليد المعاني وتأويل النص، حيث أن النص يعطي الإشارة وينشط المعارف المتوافرة لدى القارئ، بينما يوفر القارئ التصاميم أو المعارف التي يستعملها في توليد الفرضيات والمعاني التي يطبقها على النص.

وتبرز نظرية التصميم أو الخطاطة بمسلماتها ووظائفها داخل هذا النموذج، أهمية المعرفة التي يتوفر عليها القارئ دون التقيص من دور النص وخصائصه (222).

4. فعالية التفاعل والجال التربوي

يستثمر الزاكي طاقة هذا النموذج لاستخلاص أهم النتائج التي توصّلت إليها الأبحاث المهمة بسيكولوجية القراءة، وبدور القارئ وخصوصيات المقروء انطلاقاً من مجموعة من التقنيات التي بمراعاتها الخصائص الذهنية والمعرفية للقراء، وبنيات النص الدلالية والتركيبية الهرمية والمقامية، فإنها تسهل عملية الإدماج، إدماج المعلومات الجديدة ضمن تراكيب ذهنية واسعة، وبالتالي تنظيمها بكيفية أحسن داخل الذاكرة وتسهيل استخراجها عند الحاجة. إنها تقنيات تساهم في بناء البنية العامة التي تكون الهدف الأساسي في القراءة، كما أن الاستفادة منها تتغير حسب خصائص القارئ، ومن ثم فإن مقومات النص ليست العامل الوحيد في تحديد ما يفهم أو كيف يفهم (226).

بهذا الاستثمار البيداغوجي لنظرية التلقي في شقها التفاعلي، صار من المطلوب إدراج التقنيات التعليمية ضمن بعد سيكولوجي يهتم باستغلال المعرفة المسبقة للقارئ في عملية آلفاء بطريقة منظمة، وتحريكها وتوسيعها عبر آلية التصميم الدلالي (تحديد المفاهيم التي ترتبط بموضوع معين)، بما تستلزمه من ربط للعلاقات بين المفاهيم الرئيسية والثانوية والمتساوية فيما بينها. «وينطلق هذا التوضيح للعلاقات بين المفاهيم من اعتبار المعرفة لا تتكون من البنيات المعرفية فقط (المفاهيم)، ولكن كذلك من العلاقات التي تربط بين هذه البنيات. وهكذا، فإن هذا النشاط التربوي (أي بناء التصاميم الدلالية) يساعد على توسيع تصاميم (معرفة) القارئ، والربط فيما بينها، وبالتالي ضمان تفاعل أحسن مع معطيات النص» (227).

وبالرغم من الصعوبات التي يطرحها هذا النص (صعوبة التدقيق الاصطلاحي وصعوبة بناء نظرية مجرّدة)، فإنه يبقى - حسب رأي الأستاذ الزاكي في عرضه المميز - «نموذجاً صالحاً لتفسير دور كل من القارئ وخصائص النص في عملية القراءة، وبالاخصيص في المجال التعليمي» (ص. 230).

10. الجيلالي الكدية: جمالية التلقي : التلقي والمشاركة (بالإنجليزية)

تفرد مداخلة الأستاذ الكدية باختيارها إطاراً ثقافياً بعيداً عن المجال العربي،

يتجلى في «مقارنة بين أدباء إنجليز ينتمون إلى القرنين 19 و 20 ؛ ذلك بأن المرحلة الانتقالية بين القرنين قد سجلت تغيراً مهماً في طبيعة التلقي عند القارئ» (ص. 8).

هدف الاختيار هو محاولة الإجابة على بعض الأسئلة المتعلقة بماهية موقف الكاتب من كل من النص والقارئ أولاً، ثم التقنيات المستعملة ومدى تأثيرها على القارئ ثانياً، وأخيراً هدف الكاتب من تشجيع المشاركة الفعالة.

بين القرن 19 و 20 إذن أُنشئ موقفان متبايزان : تلقى سلبي وآخر إيجابي ؛ ويتحمل مسؤولية ترسيخ الأول وزحزحته فيما بعد نحو الثاني المؤلفون أنفسهم، طبعاً مع مراعاة اندماجهم داخل السياق التاريخي والاجتماعي، وداخل البنيات الفلسفية والأيدولوجية السائدة آنذاك. ولذلك اختار الباحث لإضاءة التحول نحو القارئ وتحفيز مشاركته والاستنجد به أحياناً، اختار كشف مكونات هذين التلقيين وأبعادهما حسب الزمن الذي ينتمي إليه كل واحد منهما.

1. التلقي السلبي

وتبدو معاملة في كون «الرواية في القرن 19 كانت تلعب دوراً إرشادياً... حيث لم يتم اعتبارها عملاً فنياً فقط، بل كانت بمثابة كتاب توجيهي يحتوي على عبر أخلاقية. ومن ثم كان الاهتمام بالمضمون يفوق الاهتمام بالشكل، وكان سعي الأدباء هو محاولة التأثير على قرائهم بهدف جعلهم ينساقون مع طريقتهم في التفكير وحتى في الإحساس... مما يحد من مشاركة القارئ ويجعل تلقيه سلبياً» (ص. 9)، وذلك من خلال ثلاثة طرائق روائية :

- أ - صوت المؤلف العالم بكل شيء، المتدخل في شخصياته وقرائه ؛ مما جعل الجمهور ينتظر من الكاتب أن يوجهه من خلال أسلوبه الروائي.
- ب - عدم انحصار الكاتب على عرض مشهد أو حركة، بل يحلل ويناقش مع التركيز على رأيه الشخصي واستألة موقف القارئ.
- ج - إثباتاً لمصداقيته، كان الروائي يلجأ إلى تقديم صورة كاملة عن الواقع مع التركيز على مظاهره الخارجية ؛ كما أن التجربة المعروضة في القصة كان يعدّها كاملة تشتمل على قيم أخلاقية، يحاكم فيها الروائي شخصياته تبعاً لموقفه الشخصي وبذلك لم يترك للقارئ مجال المساهمة في العمل الأدبي (ص. 10).

2. بداية التحول

وتبدأ في نهاية القرن 19 مع ظهور كُتّاب أمثال كونراد وهنري جيمس الذين ندّدوا بالطرق المتبعة، واعتبروها وسائل اصطناعية لا تصور الواقع تصويراً حقيقياً، بل تمثله بشكل سطحي لا يتعدى المظاهر الخارجية، إضافة إلى أن التحول الفلسفي غيّر من توجّهات القراء وكون لديهم نظرة جديدة للعالم، وبالتالي انتقال اهتمام الكاتب من التركيز على مظاهر العالم إلى التركيز على واقعه الداخلي (ص. 10).

3. المشاركة الفعالة

وتبدو في النداء إلى تحطيم الجدار العالي بين القارئ والنص (فيرجينيا وولف)، على أساس أنهما شريكان متساويان : إذ ينزل المؤلف من برجه ويتعامل مع الواقع في إطار حوار إخباري، ويساهم القارئ بفعالية في قراءة أية كلمة من الإنتاج الغني، وبالتالي تنشأ علاقة جديدة بين العمل الأدبي وقارئه (ص. 11).

وقد أبرز الأستاذ الكدية الوسائل التي تبين تغير توجه عملية التلقي في :

أ - انحصار دور الكاتب في التعبير عن آرائه، ومشاركة القارئ في فهم النص وليس الإقناع، وإذن عليه أن يستثني أي تعليق لأن أي محاولة منه للتدخل في النص أو في قارئه منافية لمبدأ الحرية (كونراد).

ب - انسحاب الكاتب من عالم عمله يخلق جوّاً من التماهي بين القارئ والعالم المبدع من قِبَل المؤلف. ولذلك أعتبِرَ الإبعاد من أهم مظاهر جمالية التلقي. هذا مع إمكان موازنة القارئ بين المشاركة والانعزال، والغرض من ذلك جعل القارئ يساهم في فهم النص عبر إعطائه تحليله الخاص، مع التركيز على المغزى المتعلق بالنص (ص. 13).

ج - عندما يحاول الكاتب عادة تقديم كل شيء في عمله، فالقارئ لا يكون مطالباً بإبداع التجربة من جديد. وفي مقابل ذلك، عندما يعطي الكاتب ما دعاه همنغواي بأسلة جبل جليد عائم في المحيط، تضطر نخيلة القارئ إلى إعادة بناء المعنى وإتمام تركيب الصورة.

استلزام هذا القول أن حذف التفاصيل ووسيلة الإنتقاء وطريقة الإيجاء، فعالية مهمة لإشراك القارئ في عملية الإبداع، وذلك عبر إثارة مخيلته لإتمام الصورة المقدمة

له، حيث أن ما يؤثر فعلاً على المتلقي هو التصوير الجزئي للواقع وليست قائمة التفاصيل، لأن فعالية العمل الأدبي لا تتكون من ذكر كل شيء، بل العكس، حيث إن عدم الإفصاح عن حالة من حالات الواقع طريقة لإثبات وجودها (ص. 15).

بهذا المعنى، فإن «الكاتب عندما يترك ثغرات في النص، فإنه بذلك يدعو بذلك القارئ ويدفعه إلى المشاركة في عملية الإبداع، وبالتالي يجعله شريكاً مساوياً. إن مسؤولية تكميل الصورة المقدمة من طرف المؤلف تكون إحرازاً فنياً يرفع من أهمية القارئ».

11. مصطفى الشاذلي: سيميوطيقا التلقي والمقاربة الدلالية للنص (بالفرنسية).

تعكس مقاربة الأستاذ الشاذلي غنى مرجعياً في طرحها لمسألة دلالة النص من منظور سيميوطيقا التلقي. إنها مقاربة تاريخية تكوينية تسمح بمتابعة لتطور هذا العلم عبر اللحظات الأدبية واللسانية والسيميائية التي يشكل هو امتداداً لها، دون أن يشكل واقعياً جزءاً من هذه أو من تلك، إضافة إلى كونها تلقت انتباه القارئ إلى أن أداة التحليل لا يمكن أن تكون أبداً واحدة غير قابلة للتعويض، بل إنها تشكل بالأحرى عنصراً داخل شبكة معقدة من الأدوات الأخرى التي تواجها.

يستلزم هذا النهج كون سيميوطيقا التلقي، حسب الشاذلي، لا يمكن أن تختزل إلى إجراء بسيط : مجموعة من السلوكات التي ينبغي تبنيها من أجل الوصول أوتوماتيكياً إلى اكتشاف معنى دقيق وواقعي، سيكون الأمد تبسيطاً جداً إنها تتصور بالأحرى كمسعى متودولوجي يركز على ما لا يمكن ضبطها وتجسيدها كلية، خصائص تصير محايطة وخاصة بالمؤلف والقارئ، وبتنتاج اجتماعي واقتصادي وأخلاقي وسياسي معقد.

تأسساً على هذا الطرح، يأخذ بحث الشاذلي توجهاً إدماجياً، مفاده أن «سيميوطيقا التلقي لا تنفصل من الإستيمى العام بها أنها تنلج مباشرة أو ضمناً داخل امتداد التقاليد الهرمونتوقية، الأدبية، اللسانية، السيميائية» (ص. 19). لذلك يأخذ على عاتقه إظهار هذا السياق العلمي، وتبيان أين يكون الاشتراك وأين يكون التقاطع، متنبهاً بتقديم بعض المقدمات حول النظرية السيميوطيقية للملاحظ التي وضع أسسها فونتانيل (Fontanille) (1989).

1. التقليد الهرمونيقي الذي ساد كل الفكر الإغريقي واللاتيني والذي يقوم على التعارض المعرفي بين اللوغوس والميتوس، هذا التعارض يسمح - حسب الشاذلي - باستخراج غمطين من اللغة، وإذن من التلقي، وهما غمط الفهم (logos) وغمط التأويل (mythos) (ص. 20).

2. التمييز داخل الحقل الإستمولوجي بين سيميوطيقا كَريماس القائمة على أساس لساني ثنائي، وسيميوطيقا بوارس ذات الاستلهام المنطقي الفلسفي، الثلاثية البعد : الموضوع - الممثل - المؤول الذين يدعون في تحديدهم للعلامة لسيرورة الدلائلية اللا منتبهة (Semiosis) (ص. 21). هذه السيميوطيقا هي الأقرب حسب فهمنا لمجال التلقي (كما يستثمر ذلك إيكو وغيره وكما يشير إلى ذلك الشاذلي نفسه). فالمؤول البيروسي (interprétant)، ليس كياناً أنطولوجياً أو ذاتية مشخصة، بل هو أولاً علامة قابلة للتحويل إلى علامة أخرى في حالة اشتغال، وبالتالي، فالتأويل ليس نشاطاً ذهنياً أو معرفياً لذات أو لممثل معين. إنه تمفصل يتدخل كلما دخل ممثل وموضوع في جدلية علاقة ما.

3. التمييز داخل الدلالات التأويلية بين نمط مقوماتي وضعي متجاوز، يحاصر الإمكانية التعددية لمفهوم التشاكل (وإذن لمفهوم الاشتغال والنمو النصي)، وبين نمط أكثر إجرائية يعاد في ضوئه إعادة تحديد مفهوم التشاكل على أساس نصي (راستيبي 1987) ويقوم على فرضيات :

- تجاوز الحد المفروض من طرف الجملة.

- المشاركة في تحديد الانسجام النصي.

- إقامة مفهوم القراءة.

- انتقاء استراتيجية تأويلية.

وهو مسار يمكن أن تتقاطع معه أوضاع التلقي كما ستتضح سيميوطيقياً وجماليّاً.

4. تداولية النص أو جمالية التلقي

ويلجأ الشاذلي، في تحديده لمعاملها ولأبعادها، إلى إيكو في كتابه «القارئ في الحكاية»، حيث يتعلق الأمر بإبراز استراتيجية نصية، يكون النشاط التعاوني

للقارئ - المتلقي داخلها مطلوباً بالخارج ومنهجاً داخل صيرورة تفسير وتأويل العمل الأدبي (ص. 25).

إن النظرية السيميوطيقية لتلقي النص الأدبي تفرض مساهمة القارئ الفعلية، الذي يقوم بموجها بفك رموز النص باعتباره نسقاً من التعليمات الموجهة (ص. 27).

5. لا يكفي الأستاذ الشاذلي بتقديم تركيبات لعلائق نظرية التلقي بمختلف الاتجاهات التي تعرض لها، بل يقترح مقدمات نظرية من أجل سيميوطيقا للملاحظ (L'observateur)، وهو اتجاه يبدو أن معالمة بدأت تنجلي مع ظهور كتاب فونتانييل (Fontanille) «الفضاءات الذاتية: مدخل إلى سيميوطيقا الملاحظ»، والذي يقوم على فرضية أساسها أن الخطاب حامل لمعرفة سيتقاسمها ويتصارع حولها كل من المرسل (المتلفظ) والمتلقي (المتلفظ له) (ص. 27).

يستلزم هذا الطرح علاقة ثلاثية تتأسس على ثلاثة أقطاب : مخبر/موضوع - ملاحظ/موضوع - مخبر/ملاحظ، حيث يتحمل الملاحظ هنا دور ذات معرفية مُتَابِة من طرف المتلفظ ومُقَامَة بواسطته بفضل الطرائف التلفظية للفعل. إنه يضمن تحمل المعلومة وسريانها بين مختلف مستويات الخطاب (ص. 28).

إن أهم خلاصة تميز عرض الأستاذ الشاذلي، هي التأكيد على ضرورة الوعي بتداخل مستويات مقارنة العمل الأدبي من منظور سيميوطيقا التلقي، بين مقصدية المؤلف ومقصدية العمل ومقصدية القارئ. ولعل استئثاراً تركيبياً مختلف هذه الأدوات على نص أدبي بعينه كفيل بإضاءة باقي جوانبها وإمكاناتها في التحليل والتأويل.

12. رتبة الصفرىوي: التلقي وإعادة إنتاج النص العلمي خلال وضعية التعلم (بالفرنسية)

تهم رتبة الصفرىوي في مداخلتها بتحليل النص العلمي داخل تلقيه وإعادة إنتاجه عند المتعلمين في وضعية معينة، دون إغفال تحيين [= تحقيق] هذه الوضعية تجريبياً.

يقوم هذا النهج عند الأستاذة الصفرىوي انطلاقاً من أسئلة محددة، سيتم بناء عليها تحليل التلقي، وإعادة إنتاج الخطاب العلمي خلال وضعية التعلم، ثم إعادة إنتاج المحتوى العلمي المدرسي :

1. في أي لحظة من تعلمه يسائل المتعلم محتوى ما يتلقاه ؟
 2. هل اللغة العلمية التي تنقل محتوى ما يتلقاه المتعلم تسهل عليه التلقي والفهم، أم تمثل عائقاً لإزائه ؟
 3. هل صعوبات فهم النص العلمي وتلقيه صادرة عن مستوى التفصيلات الداخلة نصية أو عن مستوى المحتوى ؟ وإلى أي حد تؤثر هذه الصعوبات على القدرة الإنشائية للمتعلمين ؟
- ومن أجل تحليل مظهري التلقي وإعادة الإنتاج من طرف المتعلمين، تحيب الباحثة أولاً على سؤال أساسي : ما الخطاب العلمي ؟
- «ندعو خطاباً علمياً مجموع النصوص المكتوبة والإنتاجات الشفهية التي لها مضمون يوصف بأنه علمي، أي مرتبط ببحث وإغناء ونشر المعارف حول طبيعة واشتغال العالم المعدني والنباتي والبشري واشتغالها».

وتتوقف الصفيروي عند نمط الخطاب العلمي التربوي الذي تختص لغته بكونها أداة للتواصل الوظيفي، تحمل دقة دلالية تتجلى في أحادية ألفاظها، وأحادية إحالاتها المرجعية ومحاة صوت المؤلف وغياب القارئ (العلم يخاطب نفسه)، ويبدو ذلك في استعمال الضمائر اللامحددة والأساليب غير المباشرة وغياب الاستحضار الذاتي القادر على إعطاء وقفة تأويلية (ص. 34) ؛ وبالتالي فإن خصائص النص العلمي هاته تقصي كل مؤشرات القراءة. فكيف تتم عملية تلقي وإعادة إنتاج الخطاب العلمي تربوياً ؟

1. التلقي

تري الأستاذة الصفيروي أن «التواصل اللساني خلال الوضعية التربوية، يتخذ مظهراً خطئياً يسير من الباث (المدرس) إلى المتلقي، حيث يقتضي التلقي نشاط فهم من أجل الوصول إلى فعل الكتابة.. وهو بذلك عملية نشيطة لإعادة البناء وليست تخزيناً سلبياً ليس له أي تأثير على المستويات الأخرى للصيرورة (ص. 35).

إنَّ ما يبرر آفاق انتظار متلقي النص العلمي (المتعلمون هو البحث عن نص منسجم، شفاف بهدف الامتلاك وحتى بهدف تقويم إجمالي. هذا الامتلاك يمكن أن يستبدل بالتساؤل حول هذا الأخير من طرف المتعلم الذي يكون مستلزماً داخل ما

يتلقاه بهدف إعادة إنتاجه، بعد أن يكون قد تغلب على صعوبات فهم الرسالة المبنوثة (تعمل الرسالة - وضوح العبارة - اللغة المستعملة - المعرفة اللازمة للفهم...).

2. إعادة الإنتاج

وتحدد عند الصفيروي بكونها نشاطاً يقتضي صياغة محتوى مكتوب خلال وضعية التعلم، بطريقة منظمة، داخل أسلوب منسجم وشخصي حول المستويات الصرفية التركيبية والخطابية، ويكونها تتقدم كعمل دائم لتحويل الأقوال والإحالات والصياغات الجديدة والشروح... إته محكوم باستعمال بعض الطرائق اللسانية الإحتجاجية مثل : التسمية والتشكل اللا شخصي والعناصر الظرفية والمفصّلات المنطقية والأدوات الإحالية في لغة منسجمة دقيقة.

3. تجرية

أجريت تجرية على طلبة علوم ارتكر فيها التقويم على إعادة الإنتاج المكتوبة. وكنتيجة لهذه التجربة، تبين للباحثة ما يلي :

أ - هناك نقص في استعمال اللغة وفي تقويم المحتوى العلمي.

ب - هناك نقص في الدقة العلمية عند وضع خطاطة التمثل والاستيعاب ذات الوظيفة البصرية والمعرفية.

ج - فيما يخص التركيب الذي يقتضي انتقاء للمعلومات واختياراً للبنيات التركيبية والاحتجاجية الضرورية، فإنه تم تسجيل عدم فهم صياغة السؤال من جهة، وعدم القدرة على انتقاء العناصر الضرورية للإجابة والتحرير.

د - انعدام الإجابة كان مؤشراً على غياب التلقي.

إن هذا المستوى الضعيف في تلقي الخطاب العلمي، قاد الباحث إلى التفكير في طريقة لإزاحة هذا العائق، وذلك بتقريب المتعلمين من اللغة : تدريس الخطاب العلمي في التعليم العالي يتم بالموازاة مع إبراز الميكانيزمات المعرفية في اللحظة التي سيمر فيها المتعلم من المعرفة التلقائية إلى المعرفة المنظمة، حيث سينمي أشكالاً أكثر تعقيداً للاستدلال، ويكتسب مجموعة من المهارات والقدرات (ص. 37).

13. ربيعة لمراي العلوي: التلقي والتداخل الثقافي خلال الوضعية التربوية (بالفرنسية)

طرقت الأستاذة لمراي العلوي، في سياق بحثها، مجالاً صار اليوم محفزاً للاهتمام داخل عدة مجالات معرفية : إنه التداخل الثقافي، وهنا من منظور التلقي داخل الوضعية التربوية، حيث سينصب اهتمامها على تلقي النصوص الفرنسية أو ذات التعبير الفرنسي في سياق مدرسي مزدوج اللغة.

وتبعاً لهذا الطرح، تحاول العلاقة بين التلقي والفضاء المدرسي، ثم بين التلقي والتداخل الثقافي.

1. التلقي والفضاء المدرسي

إن كون القراءة تبادلاً اتصالياً بين عالم النص وعالم القارئ، تجعلنا - في رأي الباحثة - نُدْهَشُ حين نجد المدرسين يهتمون بوصف اشتغال النصوص أكثر مما يهتمون بالطرق التي تُقرأ بها هذه النصوص وتُتَلَقَّى.

يمكن تفسير هذه المسألة بالتفاعل الطبيعي بين ديدياكتيك اللغات، والنقد الأدبي الذي فضل لزمن طويل النص على القارئ (ص. 41).

لكن، بالانتباه حالياً إلى علاقة النقد بالديداكتيك، وبالانتباه إلى مفهوم التلقي والتحفيز وأفق انتظار القارئ، فإن كل مسعى تعليمي ينشد تواجداً بين نص المعرفة والنص الحجة الذي يثبت سواء أكان شفويّاً أم مكتوباً... وبالتالي فإن إنتاجات التلاميذ أو الطلبة سيعتبرها المدرس القارئ حجة على قدرة أو تلقى ينبغي تقويمه.

إلا أن مسائل التلقي والفهم والقدرات الأدبية تضعنا أمام مسؤولية تداخل لساني وخصوصاً تداخل ثقافي... وذلك من خلال التساؤل عن : كيف عاش التلميذ أو الطالب القارئ (41). معرفة العالم التي ينقلها النص الفرنسي ؟ (40).

كل هذه المقدمات تضع الباحثة أمام إشكالية مركزية هي أن «خطابات التلاميذ والطلبة المغاربة حول النصوص هي التي تبدو من المهم التساؤل عنها بهدف محاصرة خصوصية قراءتهم وتلقيهم».

2. التلقي والتداخل الثقافي

من خلال سؤال هام هو : كيف تتداخل ثقافتان وكيف تكونان مولدتين لشكل تلقى ثقافي متداخل ؟ قامت الباحثة بِرؤْيٍ لقدرات التلقي داخل سياق تربوي يضم ثلاث مجموعات من التلاميذ والطلبة، فكانت النتيجة أن قاربت كل فرقة النصوص انطلاقاً من موقعها وانتهائها، وإن ظهرت الاختلافات على صعيد تنظيم المعرفة النصية الموازية أكثر مما ظهرت على صعيد تلقي الدول في حد ذاته، إضافة إلى أن المقارنة أظهرت أن القدرة النصية للمتلقي ليست تلقائية، بل مبنية، لأنها موجهة بعاداته السابقة الخاصة بالقراءة والاستراتيجيات التي يستعملها المكونون أو استعملوها (ص. 42).

إن الخلاصة الهامة التي تخرج بها الباحثة هي أن مقارنة لسانية نفسية اجتماعية تفرض نفسها في حالة اللغة والأدب الفرنسيين... وذلك لأن التلقي ينجر عبر مواجهة بين عالمين متصارعين ثقافياً وتاريخياً (شرق/غرب - عربية/فرنسية - ثقافة استعمارية/هوية ثقافية)، الشيء الذي لا يكون خالياً من النتائج فيما يخص المسعى التعليمي (ص. 42).

٧ - على سبيل التركيب

ربما كان بالإمكان إبراز بعض ثوابت مختلف عروض هذه الندوة ومتغيراتها دون الخوض في التفاصيل، إلا أن جِدَّة النظرية وخصوصية كل عرض أجبراني على تضمين التجربة بشكل عام أولاً، ثم كشف خلفيات كل مداخلة وأبعادها ثانياً. ولعل هذا القصد يشفع للقراءة حجمها الطويل.

نظرية التلقي بكل روافدها وتشعباتها، عصية على أن تُستوفى في ندوة واحدة أو في قراءة واحدة، ولعل هذا الغنى وهذه الطاقة الانتشارية ملزمان للنظرية ذاتها الاندراج ضمن صيرورة للقراءة والملاء، والتوسيع والتأويل والتعاون.

المصادر العربية لتاريخ المغرب

مُحمد المنوي

كلية الآداب - الرباط

المحاضرة الثالثة والعشرون

المصادر التاريخية المدونة في العصر العلوي الخامس

1349-1376/1930-1956

المرحلة الثانية

القسم الثاني

نقط المحاضرة (تابع)

مجموعات أدبية فصيحة

مجموعات الأدب الشعبي

مصادر في موازاة نوازل جدت

الجنسية المغربية

الامتيازات الأجنبية

مصادر تربوية

ر - مجموعات أدبية

أولا - مجموعات فصيحة

أ - دواوين شعرية

وأهميتها فيما يرد بها من إشارات تفيد الباحث المغربي، والقصد - أولا - إلى المجموعات التي تحافظ على الأصالة في تفعيلاتها : وزنا وقافية، وهو الطابع الذي سار عليه أدباء الفترة التي نعرض مصادرها، ولم يشذ عنهم إلا قلة قليلة في تجارب محدودة، للتحرر من قيود العروض القديمة، كما أن بعضا منهم أدمج ضمن ديوانه أناشيد وطنية.

1776 - والمعروف - الآن - من هذه المجموعات ثلاثة عشر ديوانا، بدءا من «روض الزيتون» : اسم ديوان شاعر الحمراء ابن إبراهيم : محمد بن إبراهيم السملالي المراكشي، ت 1954/1374.

انتدب لجمعه والتقديم له نخبة من أساتذة مراكش :

- الأستاذ المرحوم المريني دُنيا : مولاي الطيب.

- الأستاذ العذلوني : مولاي مبارك الكتاني.

- الأستاذ بنين محمد.

- إقبال أحمد الشقاوي.

- التاورتي علي بن المعلم.

من مخطوطات خ.س 10431 : 360، ص. عدا التقديم، في حجم معتاد.

1777 - «ديوان الإفرائي» : محمد بن الطاهر بن محمد السوسي التاماناري، ت 1957/1377.

جمع وتحقيق ودراسة محمد بصير، في رسالة د. د. ع، كلية الآداب - أكادير : مرقونة. محفوظة بنفس الكلية.

1778 - ديوان الطيب بن أحمد العلوي، س. ق. ذ 1723. لا يزال في وضعه الأول، وكان وفاة الشاعر حالت دون تربيته على الموضوعات التي يحفل بها

الموجود من الديوان، وبينها أشعار في وصف الطبيعة، وفي الوطنية والعرشيات، وأخرى تتجه نحو الشباب والتعليم ونقد بعض العادات، إلى أغراض متنوعة تتجاوب مع الأحداث الوطنية وسجائنها، ومع أزمات الجفاف والمعوزين والعملة، إضافة إلى النصائح وبعض المراثي والتهاني، فضلا عن نغفات تترجم حالات انبساط الشاعر، وهناك أشعار معدودة في العلم المغربي والقطار والمرأة المثقفة.

ذلك ما أمكن رصده من موضوعات الموجود من الديوان بقصائده العادية والمطولة، ومقطوعاته وتنفعه.

يشتمل على 150 ص مصورة في لوحات مستطيلة، ويستوعب - على وجه التقريب - ما يناهز 4000 بيت، قال الشاعر معظمها في فترة شبابه أيام الكفاح الوطني.

يحتفظ بالديوان إبننا الشاعر، الأستاذان الجامعيان مولاي أحمد ومولاي رشيد، وأولهما هو الذي تكرم فصور لي - مشكورا - الموجود لديه من ديوان والده المرحوم.

1779 - ديوان أحمد بن قاسم المنصوري، س. ذ. ق 1625.

من جمع الشاعر على الترتيب الهجائي، حتى بلغ به نحو 3000 قصيدة في أغراض متنوعة.

لا يزال - بخط الشاعر - في حوزة إبنه الأستاذ نور الدين المنصوري.

1780 - ديوان حجي : عبد الرحمن بن أحمد بن الحارثي السلوي، ت 1965/1385.

عانى جمع شتاته الأستاذ علي الصقلي، وكتب ترجمة الشاعر الأستاذان : المرحوم محمد زهير وقاسم الزهيري، وضبط الأشعار ورتبها وعنوانها، الأستاذان محمد حجي ومحمد بنشريف.

من منشورات دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان 1991/1411 : 416 ص تقديمًا ونصًا وفهرسة، في قطع متوسط.

1781 - ديوان الرهموكي : داود بن عبد المنعم بن محمد السوسي التاغتبيني، ت 1969/1389.

جمع وتحقيق ودراسة الراضي اليزيد في رسالة د. د. ع، كلية الآداب -
الرباط.

مطبعة النشر العصري، أكادير 91-1992 : 704 ص تقديمًا ونصا
وفهارس، في قطع متوسط.

1782 - ديوان محمد بن اليمني الناصري، س. ذ. ق 1644.

جمع وتحقيق ودراسة عبد الحق ابن طووجة الرباطي، في رسالة د. د. ع، كلية
الآداب - الرباط. محفوظة بنفس الكلية في ثلاثة أجزاء مرقونة : الأول 175 ص،
والثاني والثالث يتسلسل رقمهما إلى 589 ص.

1783 - ديوان علال الفاسي، س. ذ. ق 1635.

في أربعة أجزاء : الأول إعداد وتحقيق د عبد العلي الودغيري، والأجزاء الباقية
من إعداد وتحقيق ذ عبد الرحمن الحريشي.

مطبعة الرسالة - الرباط سنوات 84، 87، 88، 1989 : 239×338
×173×365 ص، في قطع متوسط.

1784 - ديوان البوعناني : الحسن بن أحمد بن مسعود السوسي الطالب،
ت 1982/1402.

جمع وتحقيق ودراسة أفا : الحسين بن الحسن بن العربي السوسي المسكني
الإزركاني، في رسالة د. د. ع، كلية الآداب - الرباط.

محفوظة بنفس الكلية في سفرين مرقونين.

1785 - ديوان الدكالي : عبد الرحمن بن الشيخ أبي شعيب بن عبد الرحمن
الصدقي نزيل الرباط، ت 1983/1403.

من جمع الشاعر الذي أعده للطبع، فحالت وفاته دون نشره، وعهدي به أنه
تركه في حوزة السيدة حرمه.

1786 - ديوان عبد الله كَنُون، س. ذ. ق 1742.

يعرف منه ثلاثة أقسام :

أ - «لوحات شعرية».

مطبعة دار كريمة ديس - تطوان 1966 : 98 ص مقدمة ونصا عدا
الفهرس، في قطع صغير.

ب - «إيقاعات الموم».

مطبعة سوريا - طنجة 1401 : 128 ص تقديم ونصا وفهرسة وتذيلا بآراء
الكتاب والأدباء في خرائد الشاعر، في حجم الجيب.

ج - «صنوان وغير صنوان»، مخطوط في مكتبة الشاعر بطنجة.

1787 - «نفحات الأزهار من بدائع الأشعار» : اسم مختارات اقتطفها
من شعره محمد كنون س. ذ. ق 1677.

مطابع البوغاز ش. م - طنجة 1988 : 98 ص عدا التقديم وفهرس
التصويبات والأشعار، في قطع متوسط.

1788 - ديوان البلغيثي : عبد الملك بن القاضي أحمد بن المامون، العلوي
الحسني الفاسي، بقميد الحياة في عمر مديد عامر بالإبداع.

لا يزال معظمه مخطوطا في حوزة الشاعر، ونشر منه قسمين : فصدر الأول
باسم «باقة شعر».

من منشورات المطبعة العصرية بفاس 1947/1366 : 196 ص عدا
الفهرس، في حجم صغير.

ثم نشر من الديوان مختارات ثانية بعنوان «راح الأرواح».

مطبعة السلام بفاس 1983/1403 : 196 ص، في قطع صغير.

ملاحظة : لم يهتم العرض بتحليل هذه الدواوين اعتبارا بأن ذلك من وظيفة
الأديب، والقصد هنا هو توجيه المؤرخ ليستخرج من الأشعار ما يهيمه.

ب - كراسات أدبية

1789 - «ديوان شوقي بفاس»، عنوان المجموعة التي تستوعب القصائد
والكلمات التي ألقيت في أربعينية التأيين، لأمير شعراء العروبة : أحمد شوقي، بفاس.

وكان الذين دَعَوْا لهذه المبادرة نخبة من طلبة القرويين، وبإشرافهم أقيمت هذه التظاهرة، بمسرح السراجين بفاس الإدريسية، في لقاء كان مواعده النصف الأول من يوم الخميس 24 رجب 1351/28 نوفمبر 1932.

نشرت المجموعة في المطبعة الجديدة بفاس دون تاريخ، 138 ص : نصا وتقديمًا، عدا المساهمة المكتوبة بالفرنسية.

1790 - «الذكرى الألفية للمتنبى»، وقد أقيمت بنفس المسرح والمدينة، بمناسبة مرور ألف سنة على وفاة الشاعر، وكان موعد الاحتفال يوم السبت 25 رمضان 1354/21 ديسمبر 1935.

وتجاوبا مع هذه المناسبة، نشرت مجلة «المغرب الجديد» الصادرة بتطوان، عددا خاصا استوعب معظم الكلمات والقصائد المساهمة وعددها 16.

وصدر العدد يحمل رقمي 9-10 «مزدوج» من السنة الأولى، بتاريخ شهري القعدة والحجة 1354/فبراير - مارس 1936.

1791 - «ذكريات» لرضى الله محمد المختار السوسي س. ذ. ق 1619.

بعد مدخل عن أشواق المؤلف - وهو في منفاه بالغ - نحو ثلة من أصدقائه بالحواضر المغربية.

يتخلص إلى تقديم جملة من نصوص الرسائل والقصائد التي خاطبه بها - قبل نفيه - زمرة من زملائه وتلاميذه مما كان معه منها في منفاه، مخللا لذلك بإشارات عن علاقاته مع مخاطبيه المشار لهم، فضلا عن نصوص أجوبته - نثرا وشعرا - على بعض هذه المراسلات.

مطبعة الساحل - الرباط 1984/1405 : 80 ص في قطع متوسط.

1792 - ولنفس المؤلف «نصائد الديباج في المراسلات بين المختار والقباج».

جمع فيه نصوص الرسائل المتبادلة بينه وبين محمد بن العباس القباج مؤلف «الأدب العربي في المغرب الأقصى».

مخطوط في جزء صغير بحوزة أسرة المؤلف.

1793 - وللمؤلف ذاته «جوف الفراء».

وهو - حسب تعبير المؤلف - مجموعة أدبية تضم من القصائد والرسائل ما لا يهش له إلا المؤرخون. مخطوط عند أسرته.

1794 - «ذكريات من ربيع الحياة»، اسم مجموعة مخترات، انتقاها من شعره الأديب الرباطي اللامع، الشاعر الجزولي : محمد بن الحاج بوشعيب بن محمد، من أسرة «المير» الأندلسيين، ت 1973/1393.

جمع فيها بعضا من عيون شعره، وخللها بمعلومات عن حياته.

مطبعة الأمنية - الرباط 1971 : 101 ص في حجم متوسط.

ثانيا - مجموعات الأدب الشعبي

أ - الأمثال العامة

1795 - «مجموعة أمثال مدينة فاس وما إليها»، للمؤرخ عبد السلام ابن سودة س. ذ. ق 1667. مسرد لنحو 20.000 مثل وحكاية دون شرح أو مقارنة.

خ. س 10653، في 651 ص مرقونة وموزعة بين جزئين.

1796 - «أمثال تطوان» للمؤرخ محمد داود س. ذ. ق 1647.

بعد تقديم موضوعي، عرض المؤلف 2000 من الأمثال الدارجة بهذه المدينة، مع تحويل المثل إلى الفصحى مهما احتاج لذلك. مخطوط لدى أسرة المؤلف بالخزانة الداودية.

1797 - وقد سبق للمؤلف ذاته أن تناول نفس الموضوع بعنوان «ألف مثل ومثل من أمثال تطوان»، في مسرد صدره بمقدمة توضيحية، ورتبه على الألفبائية المغربية، وقد كان هذا هو الأصل الأول لكتاب «أمثال تطوان» المشار له وشيكا.

نشر «ألف مثل ومثل...» في مجلة «البحث العلمي» بالعدد الثاني: ص. 9-61.

1797/2 - «عاميتنا والمعجمية»، للأستاذ عبد الله كنون، س. ذ. ق

1742.

بحث حاول فيه - حسب تعبيره - رد بعض المفردات وربما التراكيب - أيضا - إلى أصلها من الصواب، والتنبيه على وجه ذلك، وقدم لهذه الغاية 49 نموذجا من المفردات العامية، فاختار من هذا العدد 34 مفردة، ليسجل ما فيها من كلمات صحيحة الاستعمال وبعضها مما لا شك في فصاحتها، بينما رأى في بقية النماذج وعددها 15، أنه يمكن توجيه عاميتها توجيها عربيا.

منشور ضمن مجموعة المؤلف «خل وقل»، المطبعة المهدية - تطوان، دون تاريخ، ص 59-87.

1798 - «الأمثال المغربية باللغة العربية العامية» للأستاذ محمد الفاسي س. ذ. ق 1624.

بحث مركز، صدره بمدخل عن قيمة هذه الأمثال وبعض مجموعاتهما، كما ألم ببعض القواعد البسيطة لفهم اللهجة المغربية.

وعندما انتهى إلى الموضوع الرئيسي للدراسة، عرض من الأمثال المغربية مائتي وحدة أكثرها فاسية. ووزعها بين قسمين : الأول اهتم فيه بمقارنة الأمثال مع مقابلها في البلاد العربية الأخرى، حتى استوعب 122 مثل، بينما خصص القسم الثاني للأمثال التي لم يقف لها على مقابل، وعددها 78 وحدة، مع اهتمامه في القسمين - معا - بشكل الأمثال، وإرجاعها للصيغة العربية الفصحى.

منشورة في مجلة «تطوان» بالعدد 6، ص 7-47.

1799 - ولنفس المؤلف دراسة بعنوان «الألفاظ المغربية العامية التي لها أصل في الفصحى».

مجلة «المناهل» ع 16، ص 54-75.

ب - الشعر الملحون

1800 - «معلمة الملحون» للأستاذ محمد الفاسي المتكرر الذكر.

حسب تصميم المؤلف، فقد صنفها في 20 جزءا وزع بينها موضوعات الموسوعة كالتالي :

ج 1) تمهيدات موضوعية.

ج 2) معجم لغة الملحون - تراجم شعراء الملحون.

ج 3) روائع الملحون.

ثم خصص الأجزاء من الرابع إلى الثامن عشر لنصوص 27 ديواناً لسبعة وعشرين شاعراً ملحونياً، متسلسلين من القرن الهجري العاشر إلى عصر المؤلف.

ج 19) مائة قصيدة لمائة شاعر.

ج 20) مائة قصيدة في مائة غانية.

صدر من «معلمة الملحون» أربعة أجزاء :

الأول : مطبعة المعارف الجديدة - الرباط 1986/1406.

الثاني والثالث : مطبعة الهلال العربية - الرباط 1991-1992.

الرابع : مطبعة فضالة - المحمدية 1990 : 358×209×424
391 ص في قطع دون المتوسط.

ج - العروبيات

1801 - «رباعيات نساء فاس» لنفس المؤلف.

استوعب فيها 168 من نصوص العروبيات، بعد تصديرها بتمهيد حدد فيه موضوعاتها، وظروف وطريقة إنشادها، ثم مجهود المؤلف في جمعها، وبعد شرح عروضها، عَقَّبَ بملاحظات نشر الأدب الشعبي، وطريقة ضبطها باللغة العامية، ومن هنا تخلص لعرض نصوص العروبيات.

من منشورات مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية بفاس 1391/
1971 : 133 ص، في قطع قريب من حجم الجيب.

س - مصادر في موازنة نوازل جدت في مغرب الحمایات

والقصد إلى الحمایات التي خيمت على المغرب جنوبه وشماله في عهد الاستعمار، وقد إزاحها عادات لم تكن معروفة من قبل، فهب المهتمون إلى التمييز بين طبيعة النوازل الجديدة، في مساهمات يمكن حصرها في خمسة أصناف : واحد ضد الانحراف الخلقي، وآخر يطرح الحلول لنوازل طارئة، وثالث يبرز التبهر لأعمال

جَدَّت، ورابع ضد بعض تصرفات الحماية، وأخيراً : أوضاع في إطار العمل لاستقلال البلاد، وعلى هذا الترتيب يأتي عرض المساهمات المشار لها آنطلاقاً من :

أ - أوضاع ضد الانحراف الخلقي

1802 - «الاستفار لغزو التشبه بالكفار» لأبي الفيض أحمد بن الصديق، س. ذ. ق 1686. منشور بتطوان.

1803 - «القول الحق وفصل الخطاب في الخلوة والاختلاط والصوت والحيجاب» مؤلفه هو الصقلي : محمد الجواد بن عبد السلام بن عبد الله الحسيني الفاسي، ت 1972/1392.

لا يزال مخطوطاً عند بعض قرابة المؤلف.

1804 - «حكم مصافحة المرأة المسلمة للرجال الأجانب» محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي، نزيل المغرب بالدار البيضاء أخيراً، ت 1987/1407.

كتبه جواباً عن سؤال في الموضوع، ونشر - دون إسم المطبعة - عام 1980/1401 : 8 ص في قطع صغير قريب من حجم الجيب.

1805 - ولنفس المؤلف «دواء الشاكين وقامع المشككين». ألفه في الرد على الملمحين، ونشر منه 22 حلقة في مجلة «دعوة الحق» : الحلقة الأولى بالعدد 4 من السنة 3، والأخيرة بالعدد 10 من السنة 5.

1806 - «هل ينبغي للمرأة المسلمة أن تحمل اسم زوجها بعد الزواج» لعبد الله كنون، س. ذ. ق 1742.

مقال أجاب به عن سؤال موضوعي، ونشره في مجلة «دعوة الحق» بالعدد 1 من السنة 3: ص 20-22.

1807 - «قمع الأشرار عن جريمة الاتحار»، لأبي الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق س. ذ. ق. 1720.

1808 - ولنفس المؤلف «أمنية التمني في تحريم التبيّ».

جزء شجب فيه حسب تعبيره ما شاع في المغرب خصوصا في طنجة من تبني الأطفال الذين يؤخذون من ملجأ أو مستشفى.

ب - أوضاع حل نوازل طارئة

1809 - «تحقيق الآمال في إخراج زكاة الفطر بالمال» لأبي الفيض أحمد بن الصديق، س. ذ. ف 1686.

ألفه أيام الحرب العالمية الثانية، لما تعذر على الناس إخراج زكاة الفطر من القمح وما إليه. منشور بتطوان.

1810 - «الرهان الساطع في العمل ببصمات الأصابع» للعبادي :
محمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي، ت 1965/1385.
حقق فيه صحة العمل بالتوقيع ببصمات الأصابع في حق من لا يعرف الكتابة.

مخطوط عند أسرته.

1811 - «الحكم الشرعي للتأمين الخاص هو الحرمة - كل تأمين تدعو الضرورة إليه جائز» فتوى لمحمد الجواد الصقلي س. ذ. ق 1863.

منشورة في مجلة «الإيمان» بالعدد 8 من السنة 4: ص 11-16.

1812 - «كيف يصلي الموظف» لمحمد الزمزمي بن محمد بن الصديق الحسني الطنجي ت 1988/1408.

ألفه في شأن الموظف الذي لا يستطيع أداء الفريضة في وقتها بشروطها، لخوفه من استخدامه على وظيفته التي يتعيش منها هو وأولاده، ويين أنه يجب عليه فعل الصلاة في وقتها على قدر استطاعته في أي مكان.

منشور - بعنوان آخر دون تاريخ - في مطبعة الشمال ش. م - طنجة : 16
ص في حجم صغير.

ج - مؤلفات تحاول التبرير لأعمال جدت

1813 - «الرياضة في الإسلام» لمحمد بن أحمد العبدى الكانوني س. ذ.
ق 1642.

ألفه تجاوبا مع نشاط الرياضة البدنية التي بدأت تنتشر بمغرب هذه الفترة في شكل حديث، وتناول فيه الأصول الإسلامية لأصناف الرياضات، وفي ختامه حث المهتمين من المسلمين على أن يُدخلوا للجمعيات الرياضية جميع الألعاب المثمرة للصحة والنشاط، شريطة أن لا يكون في ذلك إخلال بالدين أو الأخلاق والمروءة. منشور في المطبعة الاقتصادية بالرباط 1936/1354 : 60 ص عدا لائحة المراجع، في قطع متوسط.

1814 - «إسماح المساعد وإقناع المعاند بترغيب الشارع في قراءة القرآن جماعة في المساجد»، مؤلفه هو الكميتي : عمرو بن الحاج الجيلاني الأزموري، ت 1948/1367.

ألفه في موازاة ما حدث أوائل الخمسينيات هـ، من اجتماع الناس لتلاوة القرآن في مساجد المغرب، يوم الجمعة قبل خروج الخطيب، ويرتلونه بصوت واحد جهير، فيتنصر المؤلف لهذه المبادرة، ويدافع عنها ضد المعارضين لها. منشور في المطبعة العربية بالدار البيضاء 1356 هـ : 119 ص في حجم متوسط.

1815 - «محاضرة في تعليم البنات» من عمل المفتي زينير اللطام : أبي بكر بن الطاهر بن حجي الأندلسي ثم السلوي، ت 1956/1376.

ألفها عام 1943/1362، وهدف بها إلى التجاوب مع مبادرة العاهل المرحوم محمد الخامس والنخبة الوطنية في الدعوة إلى تعليم البنات، فتتبع فيها مسار هذا التعليم من العهد النبوي إلى العصور الإسلامية التالية بالشرق والأندلس والمغرب، مع تبرز زمرة من الأسماء للمعلمات والعالمات والأديبات عبر التاريخ الإسلامي. خ. س 6094 : 40 ص، مكتوبة بخط المؤلف ضمن دفتر مدرسي.

د - ضد سياسة الحماية

أنطلاقا من أزمة الظهير البربري سنة 1930 إلى 1956 : انتظمت بالمغرب - ضد سياسة الحماية - معارضة وطنية، ومع مر الزمن انتشرت على امتداد المغرب جنوبه وشماله، واتخذت من الجرائد الوطنية والمنشورات السرية، لسانا معبرا عن أفكارها، كما استخدمت لهذه الغاية مجموعة من الجرائد الملتزمة بالجزائر وتونس ومصر

وسواها إلى صحف أخرى غير عربية : وطنية وأجنبية، فضلا عن المواقف المبثوثة ضمن مؤلفات لم تنصد للمعارضة بالذات، وقد سبق عرضها خلال المرحلة الأولى من هذه المحاضرة موزعة بين مواضيعها الأساسية، على أن هناك رسالة ركزها مؤلفها على محاسبة الحماية الفرنسية في بعض أنماط سياستها، فصارت جديرة بأن تصنف بين مصادر هذا الباب.

1816 - والقصد إلى رسالة «الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية» للشيخ محمد المكي الناصري، س. ذ. ق ثم توفي سنة 1414/1994.

فيسجل فيها نقدا صارخا ضد تصرفات الحماية الفرنسية، في تعاملها مع الأوقاف المغربية، ويركز - أكثر - على منقذ هذه السياسة : المراقب الفرنسي للأحباس، الذي صار - دون الوزير المغربي - هو المتحكم في هذا الجهاز قلّه وكثره.

وبهذا يُمهّد المؤلف لموضوعه، بتقديم شواهد ناطقة باحترام ملوك المغرب للأحباس في عهد الاستقلال الأول، ومن هنا يتخلص إلى عرض نماذج شاهدة بتسلط هذه الإدارة الأجنبية وتلاعبا، بدءاً من التبذير في النفقات الخاصة بمصالح هذه المراقبة ومن إلها مقابل التقدير في نفقات المصالح الإسلامية الأساسية، ومن ذلك إهمال المساجد في المدن، ومقاومة تأسيسها في الأرياف، وإهمال المدارس العلمية وتعطيل دروسها، وإهمال كتابات تلقين القرآن الكريم وتقليل الموظفين الدينيين وبخسهم في أجورهم، وتعطيل أحباس الحرمين الشريفين وأحباس الفقراء والمنقطعين، وإهمال المقابر الإسلامية، في عشرات من النماذج المتنوعة بتنوع موضوعاتها.

وإلى هذا ينتقل المؤلف إلى تقديم ثلاثة عشر ملحقاً، أولها فيه نصوص ثلاث عرائض استنكارية صادرة عن نخب من الرباط والدار البيضاء وفاس.

والملاحقان الثاني والثالث : عن الأحباس في المغرب الشمالي.

وباقى الملاحقات : عن حالة الأوقاف في الجزائر وتونس وبعض البلاد العربية والإسلامية في عاسيا وأوريا.

وأخيراً : مجموعة من الوثائق الرسمية عن نُظُم الأحباس المغربية خلال ق 19.

نشرت رسالة الأحباس الإسلامية للمرة الأولى دون ذكر المطبعة وتاريخ النشر : 174 ص في قطع متوسط، وأعيد نشرها بمبادرة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،

فصدرت عن مطبعة فضالة - المحمدية 1412/1992 : 226 ص في قطع صغير.

هـ - أوضاع في إطار العمل لاستقلال البلاد

بعد المطالبة بالاستقلال : 11 يناير 1944 قفزت تطلعات القادة المعنيين من المعارضة إلى العمل لتحقيق الاستقلال، وفراراً من المضايقة الاستعمارية عبر شمال إفريقيا، التجأ إلى القاهرة مجموعة الزعماء المغاربة ومن إليهم، حيث وجدوا جواً مشجعاً للعمل، فتأسس بالقاهرة - على التوالي - أربع منظمات هادفة :

- رابطة الدفاع عن مراكش.

- لجنة الوفد المغربي في لجان الجامعة العربية.

- مكتب المغرب العربي.

- لجنة تحرير المغرب العربي.

وبهنا في موضوعنا كمتتبعين للمصادر العربية في تاريخ المغرب، ما صدر عن هذه المؤسسات من رسائل صغرى موضوعية، وهي التي نقدمها في هذا المسرد، وقد نشر جميعها بمصر :

فعن رابطة الدفاع عن مراكش خمسة كتيبات :

1817 - «حقوق الدولة المراكشية» : سنة 1944.

1818 - «مأساة مراكش» : سنة 1945.

1819 - «مراكش في معركة الحرية» : سنة 1946.

1820 - «صوت مراكش» : سنة 1946.

1821 - «مراكش تحت النفوذ الإسباني» : سنة 1947.

وعن لجنة الوفد المغربي في لجان الجامعة العربية :

- مركز الأجانب في مراكش للدكتور محمد ابن عبود، وسيأتي ذكره في مكانه المناسب عند رقم 1833.

وعن مكتب المغرب العربي نذكر ثمانى رسائل :

1822 - مؤتمر المغرب العربي : سنة 1947.

- 1823 – جلالة محمد الخامس ملك دولة وقائد نهضة : سنة 1947.
- 1824 – مراكش تتظلم : سنة 1947.
- 1825 – مذبحة الدار البيضاء – وحشية الاستعمار الفرنسي في المغرب : سنة 1947.
- 1826 – الحماية في مراكش بعد 36 سنة : 1948.
- 1827 – الحماية في مراكش من الوجهة التاريخية والقانونية للأستاذ محمد علال الفاسي : 1948.
- 1828 – الثلاثة الذين استشهدوا في كراتشي للأستاذ عبد المجيد ابن جلون : سنة 1950.
- 1829 – «مكتب المغرب العربي في ثلاث سنوات» : 1950.
- وعن لجنة تحرير الغرب العربي
- 1830 – «هذه هي الحماية في مراكش»، كراسة أصدرها وفد حزب الشورى والاستقلال بالشرق : سنة 1953.
- 1831 – «نداء القاهرة» خطاب احتجاجي صارخ، ألقاه – من مدياح القاهرة – الأستاذ محمد علال الفاسي، يوم الاعتداء على جلالة الملك البطل محمد الخامس : 20 غشت 1953، وتكرر نشره من بعد.
- و – الجنسية المغربية
الامتيازات الأجنبية
- 1832 – بحث مركز في الجنسية المغربية، من إعداد حصار محمد بن المعطي السلوي، ت 1936/1355.
- منشور في «مجلة المغرب» التي كان يصدرها – بالرباط – الأستاذ الجزائري صالح أميسة عدد الحجة 1353/مارس 1935، ص 3-9.
- 1833 – «مركز الأجانب في مراكش» لابن عبود : محمد بن أحمد التطواني، ت 1949/1369.
- نشر – للمرة الأولى – بمبادرة مكتب المغرب العربي بالقاهرة. وصدر عن

مطبعة الرسالة بالقاهرة 1950، يتصدره تقديم د عبد الرزاق أحمد السنهوري رئيس مجلس الدولة بمصر.

وبمبادرة إبن المؤلف د محمد ابن عبود أعاد نشر الكتاب، وصدره بمدخل ضاف عن ترجمة المؤلف، وتقييم أهمية عمله تاريخيا وقانونيا ومنهجيا.
مطبعة الشويخ - تطوان 1980 : 162 ص : مدخلا ونصا وفهارس، في قطع متوسط.

ز - مصادر تربوية

أولا : أوضاع في التعليم الأصيل

أ - في مرحلة الكتاب

1834 - الكتاب (المسيد) لمحمد الزغاري الفاسي، ت 1969/1389.

مقال عرف فيه بمهمة الكتاب في التعليم الأولي بالمغرب. «نشرة التعليم العمومي للمغرب»، العدد 159 (1938): ص 198-206 (بالفرنسية).

1835 - «لائحة المدارس التقليدية بنواحي مراكش إلى سنة 1950»

إعداد محمد الضرياني البيضاوي.

منشورة في جريدة «منبر الشعب» طنجة : بالعدد 212 (1950).

ب - في مرحلة الكتاب وما بعدها

1836 - «برنامج إصلاح التعليم بتطوان وما إليها» عمل ش محمد

الخطيب، س. ذ. ق 1728.

تناول فيه طرق تحديث التعليم في الكتاتيب والمعاهد، متأثرا بمنهجية الشيخين محمد عبده ورشيد رضا في دعوتهما إلى إصلاح التعليم، وقد بدأ في نشر مشروعه في مجلة «الإصلاح» الصادرة بتطوان سنة 1917، وظهرت الحلقة الأولى منه بالعدد 8، ثم استمر نشره بالأعداد التالية:

المصدر : دراسة عن مجلة «الإصلاح» للأستاذ عبد القادر الحراز، جريدة «أنوال» ع 13 غشت 1987.

1837 - «من أعلام الفكر المعاصر» لعبد الله الجراري، س. ذ. ق.

1671.

والقصد إلى الجزء الأول من هذا المصدر حيث عالج المؤلف موضوعه بتوسع، وانتزع تفاصيله من مدينته الرباط، وبذلك يصف بها نشاط مراكز التعليم الأصلي إلى أواسط ق 20، فينتقل من الكتابات وعوائدها، لينتقل - بعد ذلك إلى دور الفقيهاة - ثم مدارس التعليم الحر للبنين والبنات، وأخيرا : تعليم المساجد، وكان يستوعب المراحل الثقيفية كاملة.

مطبعة الأمنية - الرباط، 1971/1391 : 272 ص في قطع متوسط.

1838 - «حول التعليم الديني» للأستاذ محمد عزيمان التطواني القائم

الحياة، في عمر حافل.

محاضرة بالغة الأهمية في موضوعها، آستهلها المحاضر بتمهيد هادف وموسع، لينتقل منه إلى شرح أهمية التعليم الديني في حياة الأمة إذا تناوله الإصلاح المنشود، موضحا أن هذه الأهمية لا تخص التعليم المنظم في المساجد، وإنما تتناوله ومعه حلقات الوعظ والإرشاد ومدارس التعليم الحديث.

وعن التعليم المنظم أبرز أن غايته الأساسية هي إعداد علماء في المستوى المطلوب ثقافة وتربية، ثم يقترح أن يضاف إلى برامجه العناية باللغة العربية والعلوم الإسلامية، ويإعداد الباحثين لدراسة الإنتاج الإسلامي بالمغرب والأندلس.

وإلى هذا لم ينس المحاضر التوصية بتربية الأم الصالحة في مدارس أبرز تصوره لبرامجها.

تلك ملاحح من المحاضرة العامة بالمعلومات والمقارنات الموضوعية، وقد كان موعد إلقائها - بتطوان - شهر رمضان عام 1955/1374.

منشورة بمعامل دار الطباعة المغربية - تطوان 1957 : 30 ص في قطع متوسط.

ثانيا : أوضاع في التعليم الحر

1839 - «المدارس القرآنية : أول مظاهر اليقظة»، لابن إدريس عبد العزيز

بن عبد الرحمن العمروي الفاسي، ت 1959/1378.

بحث منشور في مجلة «الرسالة المغربية» ع 11 من السنة الأولى:
ص 25-26، والبقية ص 32.

1840 «سجلات المدرسة الأهلية بتطوان»، لمحمد داود، س. ذ. ق
1647.

خ. ع 744 : «فيلم».

ثالثا : أوضاع في التعليم الحديث

1841 - «أساليب التعليم الابتدائي» للإدريسي : إدريس بن الماحي بن
محمد القيطوني الحسني الفاسي ت 1971/1391.

بحث منشور في مجلة «الثقافة المغربية» في حلقتين : ع 10، السنة الثانية،
ص 289-293، ثم ع 2 من السنة الرابعة: ص 361-365.

1842 - «تربية المرأة أساس النهوض» لابن عبد الله : محمد بن محمد بن
المكي الفاسي، ت 1982/1402.

بحث منشور بمجلة «الثقافة المغربية» في أربع حلقات بالسنة الثانية للمجلة :
ع 3 - 4 مزدوج، ص 78 - 82 × ع 5، ص 122 - 124 × ع 6،
ص 158 - 160 × ع 10، ص 285 - 289.

1843 - «تعليم البنات» لباحث لم يذكر اسمه.

نفس المجلة: ص 324-332 السنة الرابعة.

1844 - «التكوين المهني»، اشترك في تأليفه الأساتذة : محمد محيي الدين
المشرقي، والمرحومون محمد الغياثي، ومحمد بن العالم، ومحمد عبد الحميد القديري.
منشور بدار الكتب العربية - القاهرة، في خمسة أجزاء.

رابعا : منوعات

1845 - «الدولة الشريفة ومعهد القرويين» للأستاذ محمد بن بوبكر
التطوان، س. ذ. ق 1701.

مجلة «رسالة المغرب» - السنة الأولى : ع 11، ص 33-39.

1846 - «الدراسة بالقرويين أيام الوطاسيين» للأستاذ مُحمد الفاسي،
س. ذ. ق 1624، نفس المجلة والعدد: ص 41-43.

1847 - ولنفس الأستاذ «مقال عن خزانة القرويين وبعض مكتشفاتها».
المجلة ذاتها والعدد: ص 44-46.

1848 - «تاريخ الطلبة المغاربة بفرنسا خلال نصف قرن 1887-
1942».

تلخيص وتعريب الأستاذ الصديق بن العربي السلوي نزيل مراكش شفاه الله،
للفصل الخاص بتاريخ هجرة الطلبة المغاربة لفرنسا مع إضافات.

استخرجه من كتاب «هجرة المغاربة إلى فرنسا»، تأليف الأستاذ الفرنسي
جوانير إيمر (Joignier Himar)، الصادر سنة 1938

مجلة «رسالة المغرب» - السنة الأولى: ع 4، ص 7-8 ع 5، ص 13-14.

قائمة الأطروحات والرسائل الجامعية

المناقشة والمسجلة بكلية الآداب بالرباط

القسم السابع لسنة 1991

إعداد مصلحة النشر

نشرت مجلة الكلية الأقسام السابقة من هذه القائمة في الأعداد الماضية :

القسم الأول : العدد السابع : صفحات 289 - 305

القسم الثاني : العدد الثاني عشر : صفحات 221 - 241

القسم الثالث : العدد الثالث عشر : صفحات 291 - 307

القسم الرابع : العدد الرابع عشر : صفحات 231 - 249

القسم الخامس : العدد الخامس عشر : صفحات 239 - 274

القسم السادس : العدد السادس عشر : صفحات 253 - 273

القسم السابع : العدد السابع عشر : صفحات 167 - 193

القسم الثامن : العدد الثامن عشر : صفحات 219 - 247

وننشر ضمن هذا العدد القسم التاسع الخاص بالأطروحات والرسائل لستتي 1993-1994 وذلك حسب التصنيف التالي :

أولا : قائمة الأطروحات والرسائل التي وقعت مناقشتها لنيل :

1 - دكتوراة الدولة.

2 - دبلوم الدراسات العليا.

ثانيا : قائمة الأطروحات والرسائل المسجلة لنيل :

1 - دكتوراة الدولة.

2 - دبلوم الدراسات العليا.

وقد تم ترتيب هذه القائمة تبعا لتخصصات الشعب.

أولا : الأطروحات والرسائل التي نوقشت لنيل دكتوراة الدولة ودبلوم الدراسات العليا (السلك الثالث).

1) دكتوراة الدولة :

شعبة اللغة العربية وآدابها

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
القصص الشعبي بالمغرب (دراسة مورفولوجية).	يعلل المصطفى	أ. محمد السرغيني	93/ 2/26
التيار الإسلامي في الشعر العربي المعاصر.	حوطش عبد الرحمن	أ. عباس الجبراري	93/11/25
البدیع في التراث النقدي البلاغي دراسة نقدية.	الحجوي محمد	أ. علل الغازي	94/01/06
زواهر الفكر وجواهر الفقر لابن الرباط دراسة وتحقيق.	المصباحي أحمد	أ. محمد بنشرفة	94/04/19
تحليل (سيمبوتيقي) لرواية اللجنة تشييد مسار الدلالة.	نومي عبد المجيد	أ. محمد مفتاح	94/04/20
سيمبولوجيا الشخصية الروائية (خماسية عبد الرحمن منيف نموذجاً).	أغرني موسى	أ. أحمد الطريسي	94/05/11
شعر الخماسة في العصر الجاهلي.	عبدلأوي محمد	أ. عزة حسن	94/05/17
الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي	المريني نجاة	أ. عباس الجبراري	94/06/18
الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية (1800-1956)	الظريف محمد	أ. عباس الجبراري	94/07/13
أثر القرآن في نشأة النثر الفني وتطوره إلى نهاية العصر الأموي	بوتيا الحسن	أ. عزة حسن	94/11/11

شعبة اللغة الفرنسية وآدابها

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
Syntaxe du groupe nominal en berbère tachelhiyt (parler d'Igherm, Souss, Maroc)	EL MOJAHID El Houssain	M ^{me} SADIQI Fatima	22/12/93
L'image du père dans les romans de l'abbé Prévost	EL YAMLAHI Sidi Mohamed	M ^r . Mohamed Y. BAKKALI	28/01/94

شعبة الجغرافية

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
هضبة المعمورة وساحل سلا التكوينات السطحية والتطور الجيومورفولوجي.	عبد الرحيم وطقة	أ. عبد الله العوينة	93/11/19

شعبة الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
الفكر الأصولي وإشكالية (السلطة العلمية) في الإسلام قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة.	الصغير عبد المجيد	أ. علي أرميل	93/03/19
علم الفلاحة في الثقافة العربية الإسلامية تاريخه وأساسه الفكرية.	غنيمة مصطفى عبد القادر عبد الفتي	أ. سالم يفوت	93/07/02

شعبة الدراسات الإسلامية

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
المصالح المرسله وتطبيقاتها في المجتمع الإسلامي المعاصر.	محمد حاج محمد داود	أ. فاروق حمادة	94/07/15
البحث في النفس الإنسانية وللتطور الإسلامي — دراسة في مشروع التأصيل الإسلامي.	توفيق محمد عز الدين	أ. المهدي بنعويود	94/09/20
الطوسي مفسرا.	مروان محمد أبو راس	أ. التهامي الراحي	94/12/21

(2) دبلوم الدراسات العليا :

شعبة اللغة العربية وآدابها

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
الترجمة الأدبية المعاصرة في المغرب (دراسة أسلوبية مقارنة لبعض النماذج).	الطاطب فاتحة	أ. سعيد علوش	93/ 1/13
صيغة «فعل» : دراسة معجمية.	سنيوي المصطفى	أ.ع. القادر القاسمي الفهري	93/ 1/14
الرغبة والعائق عند جان جونييه ومحمد شكري مقارنة موضوعاتية.	العمرائي الأمين	أ. سعيد علوش	93/ 1/20

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
ابن الجباب الغرناطي حياته وشعره. الرشيات في عهد محمد الخامس. أسئلة نقد الشعر المغربي في الثلاثينات الناقد محمد بلعباس القباج نموذجاً. الأردواجية والثبات في الوضع اللغوي بالمغرب. القضايا النقدية في أدب الرسائل عند العرب (رسائل الغفران والنوايع والزوايع نموذجين). مانع سعيد العتيبة شاعراً. التحليل السوسيو نقدي للرواية نموذج (مالك الحزين). الخطاب في رواية سحر خليفة. الخطاب الروائي في (رامة والثين) و(الزمن الآخر) لادوارد الخرط.	علي محمد النقرات بنمنصر عادل هدى نعيمة واحي إدريس الحامري م. علي أحمد ع. الله أجوهر الراشدي س محمد جبار سعيد شفاق سعيد التعمري محمد كينا مليكة فارس فاطمة ابجاده عبد الكريم السوسي عبداللوي إلهم كظمي عبد الرحمان أيت اعرمان أحمد اللدهي محمد بنمر سليمة بنطاي فاطمة ناجي محمد موحنت إدريس مراني سيدي محمد المقوي خالد الوزالي الطيب	أ. علال الغازي أ. عباس الجراي أ. أحمد البيوري أ.م. القادر القاسمي الفهري أ. أحمد شوقي بنين أ. محمد بنشريف أ. أحمد البيوري أ. محمد برادة أ. محمد برادة أ. محمد أبو طالب أ. أحمد البيوري أ. عزة حسن أ. أحمد الطريسي أ. عزة حسن أ. عباس الجراي أ. أحمد الطريسي أ. محمد برادة أ. محمد بنشريف أ. أحمد البيوري أ. علال الغازي أ. علال الغازي أ. جعفر الكتاني أ. علال الغازي أ. عباس الجراي	93/01/25 93/02/17 93/02/19 93/02/26 93/03/04 93/03/08 93/05/12 93/05/28 93/06/14 93/06/18 93/06/28 93/06/28 93/06/28 93/06/29 93/06/30 93/06/30 93/07/02 93/07/05 93/07/07 93/07/08 93/07/13 93/07/19 93/07/19 93/07/20

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
93/07/22	أ. عباس الجراري	أشبان محمد	فن الغزل في شعر السعديين دراسة وتحليل.
93/09/27	أ. علال الغازي	البحصي مارية	فهرسة حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأحياء لحمد بن المعطي السرخيني تقديم وتحقيق.
93/11/09	أ. أحمد الطريسي	أرخصيص ع. السلام	الأنساق المفاهيمية الأساسية في الخطاب النقدي العربي المعاصر دراسة مصطلحية.
93/11/10	أ. محمد بنشريف	رزقي جميلة	مالك ابن المرحل أدبيا.
93/11/11	أ. عباس الجراري	عربوش مصطفى	أحمد بن أبي القاسم الصومعي شيخ زاوية الصومعة.
93/11/11	أ. عباس الجراري	الفتحولي محمد	المسرح المغربي الاحتفالي بين النظر والتطبيق عبد الكريم برشيد نموذجاً.
93/11/22	أ. محمد بنشريف	لمرابطي سعيد	شعر أبي علي بن موسى بن سعيد العنسي 610هـ-685هـ صنعة ودراسة.
93/11/24	أ. محمد بنشريف	قنلاوي إبراهيم	مستويات الدرس البلاغي في الكتابات النقدية الحديثة.
93/12/21	أ. أحمد الإدريسي	البكري محمد	التحليل اللساني للخطاب السياسي خطاب (الحركة الوطنية المغربية) نموذجاً.
94/01/26	أ.ع. القادر القاسمي الفهري	عمري نادية	بناء الانكسار في اللغة العربية.
94/02/15	أ. أحمد العلوي	قارض السعدية	عربية الصحافة المكتوبة والمنطوقة بالمغرب سنة 1991.
94/02/23	أ.ع. القادر القاسمي الفهري	بريسول أحمد	أفعال الشروع دراسة مقارنة بين العربية الفصحى والعامية المغربية.
94/03/11	أ. جعفر الكتاني	المصور خالد	نظرية عبد القاهر الجرجاني كما فهمها اللارسون الحديثون والمعاصرون.
94/03/16	أ. علال الغازي	أصلان فيصل	بنية القصيدة الصوفية في شعر عبد الغني التاهليسي (دراسة في ديوان الحقائق ومجموع الرقائق).
94/03/16	أ. علال الغازي	الكوار محمد	إظهار صدق المودة في شرح البردة تأليف ابن مرزوق التلمساني الحفيد (766-842هـ) الجزء الثاني تقديم وتحقيق.
94/03/17	أ. علال الغازي	إبرام عفيفة	ديوان أبي بكر الشنتوفي جمع ودراسة وتحقيق.
94/03/18	أ. عبد الله الودغيري	التوري ميلود	الحركة اللغوية بالمغرب الأقصى (عصر المرابطين والموحدين).
94/03/22	أ. محمد بنشريف	بويوزان بنحيسى	شعر ابن الحاج المبري جمع وتحقيق ودراسة.
94/04/11	أ. عباس الجراري	أولياس بويكر	الصورة الفنية في شعر الصحراء المغربية.
94/04/25	أ. أحمد الإدريسي	أرسلان زكرياء	المصطلح اللساني عند عبد القاهر الجرجاني.
94/04/28	أ. عزة حسن	بوعباد نزهة	عبيد الله بن قيس الرقيات حياته وشعره.
94/05/18	أ. أحمد البيوري	سرحان الحسن	مقاربة النص الروائي العربي المعاصر من منظور التلقي.
94/05/18	أ. جعفر الكتاني	بكار عبد اللطيف	ظاهرة توظيف عناصر التراث في النص المسرحي العربي الحديث (من خلال بعض النماذج المسرحية).
94/05/19	أ. إدريس بللمح	النادوي م. شرف العرب	موقع الخطاب النقدي المغربي المعاصر بين النظرية والتطبيق.
94/06/09	أ. أحمد الطريسي	فارضي محمد	قضية الإبداع في الشعر نحو مقارنة شعرية مفتوحة للنص الشعري المغربي المعاصر.

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
اشتغال المتخيل في الخطاب الشعري محاولة في التركيب. شعرة المسرح دراسة سيميولوجية في المسرح المغربي. اشتغال البعد الشعري في الرواية العربية الجديدة (رواية الزمن الآخر لادوارد الخراط نموذجاً).	الذهبي العربي العماري محمد أددا محمد	أ. أحمد الطريسي أ. أحمد الطريسي أ. أحمد الطريسي	94/06/13 94/06/21 94/06/22
الخطاب الصوفي مساهمة في دراسة الأصول التجريبية والتأويلية لمصطلحه.	عزام محمد المصطفى	أ. طه عبد الرحمن	94/06/25
جدلية الإنسان والوطن في الشعر المغربي جلودها في فترة الحماية وتجلياتها في عهد الاستقلال.	حيدر محمد علي	أ. أحمد الطريسي	94/06/27
نقد الشعر ومفهوم التلقي من القرن الثالث إلى القرن الخامس الهجري.	بحاري مولاي إسماعيل	أ. أحمد الطريسي	94/06/27
المصطلح السلافي عند فخر الدين الرازي.	المطاد عبد العزيز	أ. عبد العلي الودغيري	94/06/27
الاتجاه الشعبي في الشعر الموريتاني النصيب.	سيد أحمد بن أحمد سالم	أ. أحمد الطريسي	94/06/28
تداخل التصور في تجربة أحمد شوقي الشعرية شعره الإسلامي نموذجاً.	أوزيان زليخة	أ. أحمد الطريسي	94/06/30
التعدي في اللغة العربية مقاربة تركيبية ودلالية.	خربوش ثريا	أ.ع. القادر الفاسي الفهري	94/07/01
البينة السردية والمتخيل في سيرة (سيف بن ذي يزن).	فخر الدين محمد	أ. محمد براءة	94/07/06
تحقيق وتقديم ديوان مدح الشيخ ماء العينين.	محمد الأمين خليفة	أ. أحمد شوقي بنين	94/07/11
تاريخ قراءة كتاب (في الشعر الجاهلي) لطلح حسين حيثيات وظروف التلقي.	مدان محمد	أ. محمد براءة	94/07/11
مظاهر الحياة الثقافية بمحاجة وايدلوتان خلال ق 14هـ (1301-1400هـ / 1883-1979م).	أيت الحاج محمد	أ. عباس الجاراي	94/07/14
مفتاح الأفعال ومزمل الأشكال عما تضمنته مبلغ الآمال من تصريف الأفعال لمحمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الجليل السجلماسي (ت 1214) تقديم وتحقيق.	الناصرى محمد	أ. عبد العلي الودغيري	94/07/15
صورة أوروبا عند الزخايلين المغاربة في القرن التاسع عشر.	بنعبد الغني مولاي أحمد	أ. سعيد علوش	94/07/18
النحت وبنية الكلمة العربية.	الاسماعيل عبد الإله	أ.ع. القادر الفاسي الفهري	94/10/05
الخطاب الروائي في روايات إلياس خوري عن علاقات الدائرة، الجبل الصغير، أبواب المدينة، الوجوه البيضاء، رحلة غاندي الصغيرة.	الحسائي جمال	أ. محمد براءة	94/10/27
الحماسة الصغرى في ضوء بعض مقاميم الأسلوبية.	إدرسي مليكة	أ. إدريس بللميع	94/12/01
قضية تناسب الوزن والغرض في الشعر العربي بالأندلس (دراسة إحصائية).	كنغاري عبد الإله	أ. أحمد بون	94/12/19
شفينة الصالحي الكبرى محمد بن نجم الدين الصالحي الملالي الدمشقي تحقيق وتحليل ودراسة.	وعيد عبد الحق	أ. جعفر الكتاني	94/12/20

شعبة اللغة الفرنسية وآدابها

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
28/05/93	M ^r . Mohamed Y. BAKKALI	SALIM Fatima-Zahra	Le désir féminin entre le rêve et la désillusion à travers trois œuvres de G. Flaubert, Salammbô, Un cœur simple et Hérodiade.
30/06/93	M ^r . Ahmed MOUTAOUAKKIL	JADIR Mohamed	Topicalité focalité et structure du texte narratif étude appliquée à Germinal de Zola.
26/07/93	M ^r . Bernard MEYER	BOUHRARA Youssef	Poétique de l'analogie dans L'œuvre au noir de Marguerite Yourcenar.
03/11/93	M ^r . Ahmed MOUTAOUAKKIL	EC-CHERIF EL KETTANI Omama	L'interrogation en égyptien moderne forme et fonction.
15/11/93	M ^r . abdellah M'DAGHRI	BELABDI Mustapha	Aspects polyphoniques et carnavalesques dans l'œuvre de Abdelwahab Meddad : l'exemple de Talismano.
24/01/94	M ^r . Ahmed BOUKOUS	BOUJJAR Aïcha	Compétence langagière en langue maternelle et migration le cas de jeunes marocaines à Bruxelles.
17/06/94	M ^r . Abdellah M. ALAOU	BENABBOU Amina	L'énonciation argumentative dans les essais philosophiques de Denis DIDEROT.
20/06/94	M ^r . Abdellah M. ALAOU	YATRIBI Karima	Le fonctionnement de l'oralité et de la mystique dans les textes d'Ahmed SEFRIoui.
25/06/94	M ^r . Abdelfattah KILITO	NOZHI Az-Eddine	La séduction de l'objet dans l'œuvre de Jean-Marie Gustave Le Clezio.
29/06/94	M ^r . Abdelfattah KILITO	BELLEFQUIH Anissa	Le masque ou la transparence du voile dans les aventures d'Arsène Lupin de Maurice LEBLANC.
30/06/94	M ^r . Ahmed EL MOUTAOUAKIL	NACER IDRissi Abdelfattah	La force illocutionnaire dans la phrase enchassée problèmes d'existence et de représentation.
01/07/94	M ^r . Mohamed ESSAOUIRI	AIT ZEMZAMI Driss	L'espace dans l'œuvre de Claude OLLIER.
25/11/94	M ^r . El Mostapha CHADLI	TAHRI Larbi	Quelques manifestations narrativo-discursives issues de la zaouia de Ouzzane (corpus extrait de touhfat el ikhwan fi manaquil chorafa Ouazzane) approche sémiotique.

شعبة اللغة الإنجليزية وآدابها

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
06/03/93	M ^r . Mohamed EZZROURA	ABOUZID Abdelhak	Narratology and modernism : a study of narrative experimentation in the secret agent, the waves, and absalom, Absalom.
07/07/93	M ^r . Abderrafii BEN HALLAM	BOUDLAL Abdelaziz	Moroccan arabic glides (a lexical approach).
22/10/93	M ^r . Mohamed DAHBI	CHEKEIRI Hafida	Language variety choice in Moroccan television advertising a sociolinguistic study.

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
29/10/93	M ^r . Jilali SAIB	FARES Najiba	Stress in Moroccan arabic nouns and adjectives: a metrical approach.
17/11/93	M ^r . Jilali SAIB	EL HADRI Mustapha	A metrical approach to stress in Moroccan arabic verbs.
16/12/93	M ^r . Abdellatif KRIEM	HADADI Fouad	Estrangement in Poe's tales : the rhetoric : of dislocation.
30/06/94	Abderraffi BENHALLAM	BENSOUKAS Karim	Tashelhit agentive nouns an optimality a theoretic approach.
06/07/94	M ^r . Valery KENNEDY	PULLARINGRID Helena	The search for order : images of the double in Anne sexton's poetry.
28/11/94	M ^r . Jilali SAIB	ANASSE Khadija	A study of deverbal nominals in Ayt Mzal tashelhiyt berber (a non concatenative approach).
20/12/94	M ^r . Abderrahim JAMARI	AIT TALEBE Said	Anaphoric relations in berber : a generalized binding approach

شعبة اللغة الاسبانية وآدابها

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
13/05/94	M ^{me} . Oumama AOUAD	EL YEMLI Mustapha	El arte, la politica y el intelectual en la en sayistica de Octavio Paz.

شعبة التاريخ

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
93/01/22	أ. عماد المنصور	الطبيعي عبد الرحمان	المجتمع بمنطقة الريف قبل الحماية (قبائل ساحل الريف الأوسط من 1860 إلى 1912).
93/02/25	أ. مصطفى ناعمي	الراجحي خديجة	مساهمة في دراسة تاريخ الزاوية السملالية في مرحلة التأسيس (1460م - 971هـ/1564م).
93/04/27	أ. إبراهيم بوطالب	برنوسي المصطفى	بيير كيلين الاقتراضات المغربية 1904-02 ترجمة وتقديم.
93/05/10	أ. إبراهيم حركات	أحمد عبد الوهاب	وضعية الموالي بالشرق الإسلامي ما بين 100-118هـ/ 718-833م.
93/06/14	أ. محمد زنير	حنديان محمد	مساهمة في دراسة المجتمع الحضري المغربي تارودانت ومحيطها التاريخي (خلال القرنين 17-18 / 1603-1790).
93/ 6/15	أ. إبراهيم بوطالب	ظريف عبد الجليل	المنافسة الفرنسية الاسبانية بشأن المغرب (1902/1912).

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح لأحمد إبراهيم الماجري دراسة وتحقيق.	السعيد عبد السلام	أ. محمد زهير	93/06/24
أغامت وما إليها بالعصر الوسيط دراسة اجتماعية اقتصادية 797-80 / 699-1394م.	لزيكم عبد الرزاق	أ. محمد زهير	93/06/28
الحلل البية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها الغير المتناهية، تأليف محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي (1255-1334هـ / 1839-1916م).	بوهيلة إدريس	أ. إبراهيم حركات	93/11/02
العلاقات الفكرية بين العالم العربي الإسلامي وغرب ووسط افريقيا جنوب الصحراء خلال القرنين 10-11هـ / 16-17م من الرحلة إلى الطوبة والكتابة.	حراش سعيد	أ. عبد الهادي التازي	93/12/20
ليبيا من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة 16-17م.	محمد الحراري عبد السلام	أ. أحمد التوفيق	94/01/10
الترجمان المغرب في دول المشرق والمغرب لأبي القاسم الزباني.	محمد غسان عبيد	أ. محمد حجي وأ. م. المتوني	94/03/07
قانون الأوستراسيزم عند الإغريق من أواخر القرن السادس إلى أواخر القرن الخامس ق م.	المغير محمد	أ. مولاي رشيد المصطفى	94/03/09
التسرب الأسباني إلى شواطئ الصحراء المغربية (1860-1934).	بلحداد نور الدين	أ. إبراهيم بوطالب	94/04/13
العلماء في المجتمع المغربي (خلال القرن التاسع عشر).	حوسني عبد الرحمان	أ. محمد المنصور	94/05/10
الفقيه عبد السلام حركات شخصيته وآثاره.	فتيش السعيد	أ. إبراهيم حركات	94/06/20
طبقات الحضيكي محمد بن أحمد الحضيكي (ت 1189هـ/ 1775م) تحقيق وتقديم.	بومزكو أحمد	أ. أحمد التوفيق	94/06/23
أهل الذمة في المجتمع الإسلامي بالشرق من صدر الإسلام إلى أواخر الدولة الأموية.	الضعيفي عبد العزيز	أ. إبراهيم حركات	94/06/27

شعبة الجغرافية

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
التوضعات الساحلية لمنطقة نوازوت تماري (دراسة جيومرفولوجية).	الفلكي حسن	أ. أحمد الغرابي	93/07/14
مظاهر التشكيل والتركات الرباعية بهضة أزرو (الأطلس المتوسط).	الكتور حسن	أ. أحمد الغرابي	93/07/15
التوضعات السطحية بمنطقة مشرع بلقصوري (دراسة جيومرفولوجية).	بلموزة محمد	أ. أحمد الغرابي	93/07/16
دراسة التراكبات الرباعية والتشكيل الحالي للنهابة الشمالية الغربية للأطلس الكبير الكلاسي الأوسط.	البودالي عبد الرزاق	أ. أحمد الغرابي	93/07/19

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
حوض نفيس الدينامية الطبيعية لحوض جبلي (الأطلس الكبير). اتصال السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط بمحادة مسكي بمنطقة : كلمية تادغوست دراسة جيومورفولوجية. دراسة مرفولوجية لمصبية عين اللوح. ورزازات، المدينة - الواحة: آليات وأشكال التوسع الحضري. دراسة جيومورفولوجية لمنطقة انواكشوط	الكريفة عبد الجليل خرمو عبد القادر	أ. عبد الله الموبنة أ. أحمد الغرابوي	93/12/03 94/07/05 94/07/07 94/11/17 94/12/15

شعبة الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
الإحالة اللغوية أسماء العلم والأوصاف المحددة دراسة لسانية منطقية. المهدوية في الفكر العربي الإسلامي. مقالات وتعاليق وشروح لابن باجة في الطب (نصوص غير منشورة) دراسة وتحقيق. إشكالية الحداثة في فكر مرتن هيدغر. الخطاب الإصلاحية في المغرب التكوين والمصادر (1844-1918). اشكالية العلاقة بين الدولة الدين في الفكر السياسي العربي المعاصر. مفهوم النموذج وأهميته في بلورة الحقيقة العلمية. مقالة اللام بين ابن سينا وابن رشد. الانتماءات التربوية للأبناء كما يتركها الأبناء وعلاقتها بمستوى الذكاء ومظاهرها لديهم. علاقة عملية نحو الأمية بانتماءات الإنسان الأمي نحو ذاته ونحو الآخر. علاقة التفرد والمدرسة بالتنشئة الاجتماعية للطفل — دراسة نفسية اجتماعية.	السياسي يوسف عبدالله صالح أنكر سفيث سيدي ولد مناه حسن ابن عمر بلول بلقزيز عبد الإله زوين مراد الطراح إدريس اشعاعو العربي صالح المهدي مصطفى الحويج الكنوني رشيد لمباشري محمد	أ. طه عبد الرحمان أ. بنسالم حميش أ. سالم يفوت أ. محمد سبيلا أ. سعيد بنسعيد العلوي أ. محمد سبيلا أ. سالم يفوت أ. محمد عابد الجابري أ. مبارك ربيع أ. المصطفى حدبة أ. المصطفى حدبة	93/07/01 93/07/01 93/10/27 94/04/25 94/06/16 94/06/27 94/06/30 94/07/01 94/10/20 94/11/10 94/12/08

شعبة الدراسات الإسلامية

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
سنن التغيير التاريخي في القرآن الكريم. فرضية الدعوة على الأمة الإسلامية وقضاياها. الحاكم النيسابوري وجهوده في علوم الحديث. الإمام داود بن علي الظاهري (ت 270هـ) ومنهجه الفقهي. نهرس محمد بن عبد السلام القاسمي في القراءات القرآنية دراسة وتحقيق.	الشاعر أحمد امام إبراهيم أبو بكر عكوي عبد الكريم لمباوي غلال زولو محمد أمين	أ. التهامي الراجي أ. التهامي الراجي أ. فاروق حمادة أ. فاروق حمادة أ. التهامي الراجي	93/01/12 93/02/23 93/03/16 93/03/20 93/04/23

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
مصطلحات أصولية في كتاب الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم.	كاوزي ربيعة	أ. فاروق حمادة	93/04/27
نظرية المقاصد عند الامام محمد الطاهر بن عاشور.	الحسنى إسماعيل	أ. التهامي الراجي	93/05/21
شرح الدرر اللوامع لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك المتواري القيسي (761هـ - 834هـ).	رشة فؤاد	أ. التهامي الراجي	93/05/24
نظام السنية في المذهب الإسلامية وأثره في التنوير الاجتماعي.	قشيش عبد الرحمن	أ. محمد بلشمر	93/06/15
جموع الفقه في القرآن الكريم ودلائلها التشريعية.	البالك محمد	أ. التهامي الراجي	93/06/18
الشروط المقترنة بالعقد في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة.	الصددي محمد	أ. فاروق حمادة	93/06/23
أحكام السكران وتصرفاته في الفقه الإسلامي.	الستياي عبد الله	أ. فاروق حمادة	93/06/28
المختصر في أصول الدين تأليف سعيد العقباني التلمساني (720هـ - 811هـ).	حنصار عائشة	أ. محمد أمين الاسماعيل	93/06/29
حجية قول الصحابي عند الفقهاء والأصوليين.	الطاهري عبد الرحيم	أ. فاروق حمادة	93/07/12
المدرسة البنادية للمذهب المالكي نشأتها وأعلامها منحتها أثرها.	العلمي محمد	أ. فاروق حمادة	93/07/19
منهج السلف في الأسماء والصفات القرن الثاني بمؤدجا.	الريادي أحمد	أ. محمد أمين الاسماعيل	93/07/28
التصحيح وأثره في الحديث والفقه.	أسطوري جمال	أ. فاروق حمادة	93/09/13
العلم في القرآن الكريم تفسير موضوعي ودراسة شاملة.	أرواح زهور	أ. التهامي الراجي	93/09/15
فهرسة الحافظ أبي العلاء إدريس العراقي القاسمي ت 183هـ دراسة وتحقيق.	التواج خالد	أ. إبراهيم بن الصديق	93/10/18
ابن تيمية وأثره في الدراسات الحديثة.	البغالي نادية	أ. فاروق حمادة	93/10/19
أسباب الاختلافات الفقهية من خلال بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد.	بلحسان محمد	أ. محمد أمين الاسماعيل	93/10/28
كفاية التحصيل في شرح التفصيل لمسعود بن محمد جموع ت 1119هـ دراسة وتحقيق.	السايب عبد الرحمان	أ. التهامي الراجي	93/11/16
أبو الوليد هشام بن عبد الله بن هشام الأزدي القرطبي (المسمى خطأ ابن البقرة) من خلال كتابه : المفيد للحكام فيما يمرض لهم من نوازل الأحكام.	عبد الصادق محمد	أ. التهامي الراجي	93/11/17
الألوسي عقيدته ومنهجه آراؤه الكلامية.	بلعطار أحلام	أ. محمد أمين الاسماعيل	93/11/26
الإشهاديات العربية المعاصرة في كتابة السيرة النبوية.	فكر أحمد	أ. فاروق حمادة	93/11/29
مكونات الخطاب الإصلاحية في القرآن الكريم.	الزباغ أحمد	أ. قاسم الحسيني	93/12/08
القواعد الفقهية من خلال كتاب قواعد الأحكام في مصالح الأنام لسلطان العلماء عمر بن عبد السلام السلمي المتول سنة 660هـ.	الأصاري محمد	أ. فاروق حمادة	93/12/15
عقيدة أهل السنة والجماعة في النبوة (دراسة مقارنة بين أهل السنة والمعتزلة).	أبو شيبه الزهرة	أ. محمد أمين الاسماعيل	93/12/17
كتاب التوسط بين مالك وابن القاسم في المسائل التي اختلفوا فيها من مسائل المدونة للفقيه أبي عبيد القاسم بن خلف الجبيري المالكي (ت 378هـ) تقديم وتحقيق.	حدوشي الحسن	أ. التهامي الراجي	94/01/17

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
الإمام أبو سليمان الخطابي وجهوده في دراسة علم الحديث والفقه. القاضي إسماعيل المالكي وفقهه (199-282هـ). أبو عمر الطلمنكي وآثاره في الدراسات الإسلامية بالأندلس. القرطبي ومنهجه في توظيف القراءات. تحقيق ودراسة كتاب (المقبول النافع على الدرر اللوامع تأليف الشيخ محمد أحمد بن الطالب بن اعل). خصائص فقه الإمام شهاب الدين القراني (الفتوى سنة 684هـ). أجوبة محمد بن عبد السلام القاسمي (ت 1214هـ). فقه الإمام القرطبي من خلال كتابه : الجامع لأحكام القرآن. كتاب تنبيه العطشان على مورد الظمآن لأبي علي الحسن بن علي بن طلحة الجرجاني الشوشاوي (ت 899هـ/1494م). نظرة الحيار في الفقه الإسلامي. الفكر الأصولي عند القاضي الباقلاني. مقاصد الشريعة الإسلامية في مجال الأسرة. ما انفرد به الإمام عبد الله بن كثير المكي في القرآن الكريم مع توجيه قراءاته. أحكام بيوع الأجل في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة. مناهج التحليل والتفسير للخطاب القرآني في العصر الحديث النتج الأدبي. نموذجاً. كتاب النجم من كلام سيد العرب والمجم للحفاظ أبي العباس الإقليشي دراسة وتحقيق. تحرير المقال بمئة الواحد المتعال في مسألة الكسب وخلق الأفعال دراسة وتحقيق. مشروع البديل الحضاري الإسلامي بين النظرية والتطبيق. القواعد الأصولية عند القاضي عبد الوهاب من خلال كتابه، الإشراف على مسائل الخلاف. فقه الأولويات دراسة في الضوابط. نظرية المعنى من خلال تأويل النص القرآني الكريم عند الأصوليين. التفسير القرآني عند المهامي دراسة وتحليل. مقاربة إسلامية للمشروع الحضاري عند علال الفاسي. كفاية المرتاض في تعاليل الفراض للشيخ الفقيه الفرضي الحساني الصودي (تقديم وتحقيق). رعاية المسنين في الإسلام. حاشية الإمام أحمد بن عجيبة علي الجامع الصغير للحفاظ السويطي.	المقالي خليل هاشمي مصطفى أيت عمي عبد اللطيف الحمومي محمد محمد بن سيد محمد مولاي لدعم مليكة رحام سعد لمشاش عاشور الضعيف ميلود غازي عبد الرحيم امرائي علوي أبا سيدي شم ميلودة العافية العياشي الصادقي فؤاد عروي محمد مركز الحسن اعوين عبد الله بن المرني خديجة الشتوف محمد الوكيلي محمد الغضراوي عبدالرحمان السقاط حنان البوكلي أحمد الزوين محمد عبدلاري محمد علي إسماعيل تمام	أ. فاروق حمادة أ. فاروق حمادة أ. التهامي الراحي أ. أحمد الريسوني أ. التهامي الراحي أ. محمد بلشير أ. التهامي الراحي أ. فاروق حمادة أ. التهامي الراحي أ. محمد بلشير أ. التهامي الراحي أ. التهامي الراحي أ. أحمد أبو زيد أ. فاروق حمادة أ. قاسم الحسيني أ. محمد بلشير أ. التهامي الراحي أ. التهامي الراحي أ. التهامي الراحي أ. التهامي الراحي أ. التهامي الراحي أ. محمد بلشير أ. التهامي الراحي أ. التهامي الراحي أ. فاروق حمادة أ. فاروق حمادة	94/02/04 94/02/07 94/02/16 94/02/17 94/03/02 94/04/14 94/04/22 94/04/29 94/05/10 94/05/12 94/05/16 94/05/19 94/05/24 94/05/26 94/05/27 94/05/30 94/06/01 94/06/03 94/06/20 94/06/21 94/06/28 94/07/04 94/07/04 94/07/05 94/07/06 94/07/14

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
تحقيق النكت والفوائد على شرح العقائد لسعود بن عمر ابن عبد الله سعد الدين الفتازاني ت 792هـ شرح أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ت 885هـ.	بكارى عبد السلام	أ. محمد أمين الاسماعيلى	94/07/18
المصوفة ودورهم في صد الغزو الصليبي في عهد السعديين.	نجيم المصطفى	أ. محمد بلشير	94/10/12
الإمام الغزالي وأثره في الفكر الأصولي.	عوام محمد	أ. أحمد الريسوني	94/10/12
الخلاف العقدي بين قواعده المنهجية ونتائج الفكرية.	كعب المصطفى	أ. محمد أمين الاسماعيلى	94/10/21
جدلية الربط بين الأصلي والتبعي عند الأصوليين.	المهلاني عبد السلام	أ. محمد أمين الاسماعيلى	94/10/24
أصول منهج المعرفة في القرآن الكريم وانعكاسها على جوانب من الفكر الإسلامي.	بن بريك علي	أ. أحمد أبو زيد	94/10/28
بنية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب تأليف الشيخ أحمد بن محمد بن زكري التلمساني المتوفى سنة 900هـ دراسة وتحقيق.	عبد الله يوسف ولد الشيخ سيدي	أ. محمد أمين الاسماعيلى	94/11/02
الإعلام بالمخاض والأحكام وما يتصل بذلك مما ينزل عند القضاة والحكام لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن دحوس اليفري (الجزء الأول والثاني والثالث) تقديم وتحقيق.	السفياني إدريس	أ. محمد الروكي	94/11/21
جدلية المعرفي والمذهبي في دراسة التراث العربي الإسلامي — مقارنة نسقية نقدية لإشكالية التراث في خطاب النهضة —.	اثيرات عبد العزيز	أ. محمد بلشير	94/12/06
معونة الصبيان على الدرر اللوامع للشيخ : سعيد بن سعيد ابن الحاج الجزولي — دراسة وتحقيق —.	آيت الطالب خديجة	أ. التهامي الراحي	94/12/07
شرح مسائل بيوع ابن جماعة التونسي للقباب الفامي (دراسة وتحقيق).	اعمر اش كرم	أ. محمد أمين الاسماعيلى	94/12/16
الإمام أبو جعفر الطحاوي ومنهجه في فقه السنة.	بوتيجيج فؤاد	أ. فاروق حمادة	94/12/16

ثانيا : قائمة الأطروحات والرسائل التي سُجلت لنيل دكتوراة الدولة ودبلوم الدراسات العليا (السلك الثالث).

1) دكتوراة الدولة :

شعبة اللغة العربية وآدابها

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
الجهاز المفهومي للبلاغة العربية مع مقارنة مفهومية بالبلاغة الإغريقية.	محتصم محمد	أ. محمد مفتاح	93/01/19
البنيات الصفرية المعجمية في السليقة العربية الأعلام والأناس مثلًا.	الرفاق محمد	أ. أحمد الإدريسي	93/02/16
دراسة مقارنة للأغماط الجمالية مقارنة صرف — تركيبية للبنى في اللغة العربية.	حسنو المصطفى	عبد القادر الفاسي الفهري	93/04/15
الترجمة العربية للتوراة ترجمة سعد ياكثون الفيومي دراسة نقدية مقارنة.	اعيزة إدريس	أ. أحمد شحلان	93/04/26
التخييل وبناء الخطاب في الرواية العربية — تحليل نماذج — سيميائية الخطاب الاجتماعية — السياسية الخطاب السياسي المغربي المعاصر: خطاب الكتلة الديمقراطية (1992-1993).	الحجمري عبد الفتاح العماري عبد الرحيم	أ. محمد مفتاح أ. محمد مفتاح	93/06/16 93/07/14
الخطاب السجني في الشعر العربي الحديث والمعاصر (دراسة في البنية والدلالة ومفهوم الشعر المضوي من خلال إشكالية الكتابة الشعرية والسجن).	ملوش أحمد	أ. أحمد المعداوي	93/11/25
الأصول النظرية والتقاطعات العقلانية بين النماذج اللسانية مساهمة في تأسيس استمولوجيا لسانية عربية.	وهاي محمد	أ. أحمد العلوي	94/02/18
ألفاظ الصناعات التقليدية القاسية دراسة معجمية ميدانية. الشعري والتاريخي في القصيدة المغربية (1912-1956).	رايس نور الدين	أ. عبد العلي الودغوي	94/03/11
أمثلة النقد القصصي العربي (1960-1990) قراءة في القراءة. أسئلة المنهج في النقد العربي الحديث.	بنطوجة عبد الحق العوفي محمد نجيب	أ. عباس الجراري أ. عباس الجراري	94/04/20 94/05/24
الحير في التراث العربي البنية والوظيفة ابن الجوزي نموذجًا. الشعر الأندلسي في القرن 7 هـ موضوعاته وخصائصه.	الأزدي عبد الجليل	أ. إدريس بللمح	94/06/02
الرواية المغربية العربية بحث في مكونات متخيلها ودلالاته من خلال نماذج روائية ريفية مغربية.	جبار سعيد	أ. محمد مفتاح	94/04/14
خطاب الحركات الاستقلالية المغربية خلال الأربعينات والخمسينات بنيت ووظيفته في ضوء لسانيات الخطاب.	علي محمد التقراط العلام عبد الرحيم	أ. ثريا لمي أ. محمد مفتاح	94/06/16 94/06/23
	البكري محمد	أ. أحمد الإدريسي	94/07/14

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
الخطاب الأدبي عند العرب بين البلاغة القديمة والشعرية الحديثة.	هلال عمد	أ. إدريس بللميح	94/11/15
الصورة الفنية في شعر المتنبي.	الجبكاني محمد الأمين	أ. إدريس بللميح	94/11/21
الأرض الشعب والسلام في خطاب ياسر عرفات (1967-1993) تحليل الحقول الدلالية.	بلقاضي ميلود	أ. أحمد شحلان	94/11/23
تحقيق كتاب (نظم الدرر) لأبي علي الحسن الرهوني في ترجيز كتاب (الأحكام في معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام) لأبي محمد بن القطان.	حنديجة أحمد عبد الله البلدي	أ. محمد بنشريف	94/11/24

شعبة اللغة الفرنسية وآدابها

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
L'idée de nature dans l'œuvre de Bernardin de Saint-Pierre.	EL BEJAOUI Moufida	M ^r . Mohamed Y. BAKKALI	15/03/93
Démarches discursives et conscience linguistique en français langue étrangère chez les élèves de fin d'études secondaires au Maroc.	AMAROU Lahcen	M ^r . Abdellah M'D.ALAOUI et M ^r . F.FRANCOIS	06/07/93
Approche interactionniste du roman entretien de Denis DIDEROT.	GHOUATI Sanae	M ^r . Abdellah M'D. ALAOUI	17/05/94
Structures lexicales et néologie le cas de l'amazighe marocaine.	IAZZI El Mehdi	M ^r . Ahmed BOUKOUS	28/06/94
Rhétorique des figures dans la poésie Baroque: Forme et signification	CHEIKH Moussa Ijjou	M ^r . Bernard MEYER	28/06/94
Nuit et parcours initiatique dans l'œuvre de Henri BOSCO.	SAOUD Imane	M ^r . Mohamed Y. BAKKALI	05/07/94
L'esthétique du grotesque dans l'œuvre Théâtrale de : A JARRY, S. BECKETT et B. IONESCO.	EL MANIRA Rochdi	M ^{me} Naïma HARIFI	22/07/94
Analyse Fonctionnelle de la cohésion et de la progression dans les textes narratifs: du roman classique au nouveau roman.	JADIR Mohamed	M ^r . Ahmed El MOUTAOUAKIL	01/12/94
La lecture ludique du roman policier: A la recherche du sujet caché.	BELLEFQIH Anissa	M ^r . Mohamed Y. BAKKALI	14/12/94
Entre la littérature et l'anthropologie : Structure et écriture du récit ethnographique.	MAKHFI JAOUAD Maria	M ^r . Abdelmajid ZEGGAF	14/12/94

شعبة اللغة الانجليزية وآدابها

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
10/03/93	M ^r . Abderrahim YOUSSEI et M ^r .Taha ABDERRAHMANE	JALAL Nouredine	The temporal system of Arabic and the principle of compositionality.
19/07/93	M ^r . Mohamed DAHBI	TAMEK Mohamed Salaf	Oral transfer a contrastive rhetoric analysis.
10/06/94	M ^r . Taïb BEN GHAZI et M ^r . Lahcen HADDAD	ABBOU Abdelkader	The question of identity as self and other in SHakespeare : A post-structuralist reading (the merchant, Othello and the tempest as examples).
14/12/94	M ^r . Lahcen HADDAD	ZRIZI Hassan	The aesthetic dimension in Chinua Achebe and Tahar BEN JELLOUN'S fiction.

شعبة اللغة الاسبانية وآدابها

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
04/06/93	M ^r . Bernard LOUPIAS	KARIM Mohamed	Aspectos semiológicos y trasfondo ideológico en la obra dramática de Miguel MIHURA.
29/09/93	M ^{me} Aziza BENNANI et M ^r . A. KILITO	ARAROU Ahmed	Miradas sobre el oriente en J.L BORGES.
21/10/93	M ^{me} Oumama AOUAD	EL ABKARI Boujemaa	La novela paraguaya contemporanea entre tradición y modernidad.
09/05/94	M ^r . Jose Antonio MAYORAL	EL HARTI Elarbi	La autobiografía y lo autobiográfico en la escuela de Barcelona.
16/05/94	M ^{me} Oumama AOUAD	DARBAL M'hammed	El cuerpo en la poesia de L. BORGES Y O. PAZ.

شعبة التاريخ

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
93/01/07	أ. إبراهيم بوطالب	بوهادي بوبكر	المغرب والحرب الأهلية الإسبانية.
93/02/08	أ. إبراهيم بوطالب	المعروف الدفالي	الاتجاه الليبرالي في الحركة الوطنية المغربية من خلال أحد زعمائه
93/03/08	أ. م. للنصور وأ. ع. الرحمن المودن	س محمد عبد الله خليفة الخياط	دراسة تاريخية لفكر وعمل محمد بن الحسن الوزالي - الأوضاع الاقتصادية لولاية طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني.
93/03/18	أ. إبراهيم بوطالب	بنعدادة آسية	الحجوي والحماية.

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
مساهمة في دراسة إشكالية الأقليات في العصر الوسيط اليهود والنصارى بالغرب الإسلامي. مراكش إبان الحماية 1912-1956.	بنميرة عمر	أ. محمد مزين و.أ. محمد التوني	93/05/12
مساهمة في دراسة تاريخ منطقة الغرب من القرن 6هـ/12م إلى القرن 11هـ/17م.	فيتير المصطفى البوعاتي المصطفى	أ. إبراهيم بوطالب أ. عبداللطيف الشاذلي	93/05/25 93/07/16
جوانب من تاريخ البحرية الإسلامية في الخوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في 16-17م / 10-11هـ.	بوزياني قدور	أ. عبد الرحمن المودن	94/03/22
جوانب من التاريخ الحضاري للطب والصيدلة في الأندلس خلال عهدي المرابطين والموحدين.	حبيب مصطفى عز الدين	أ.ع. عصمت دندش و.أ. عبدالحفيظ الملهدي	94/04/28
محاولة في دراسة نشأة وتطور وآثار المقاومة الليبية 1911-1915.	أحمد عطية مدلل	أ. محمد أمين البراز	94/06/06
العلاقات المغربية الإيطالية من سنة 1869 إلى سنة 1945.	سيمو بيجية	أ. محمد كتيب	94/07/12

شعبة الجغرافية

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
العلاقة بين نمو السكان والتغير الزراعي في سهل الجفارة باليبي.	عبد اللطيف مختار	أ. عبد اللطيف بنشريف	93/01/07
دراسة الوسط الطبيعي بشمال غرب الهضبة الوسطى بمنطقة لحنازير - الرمان أهمية التربة المائية ومدى مساهمة الدور البشري.	بلهلال المصطفى	أ. عبد الله العونية	93/01/15
أثر التنمية الاقتصادية والاجتماعية على واحات فزان الجنوبية أم الأرناب مرزق تراغن - دراسة في جغرافية الريف -	محمود علي الغدامسي	أ. اسماعيل العلوي	93/02/08
التنمية المحلية التخطيط والاختلالات الجغرافية حالة أقاليم أزيلال بني ملال وخريكة.	مداد محمد	أ. ع. بنشريف و.أ. م. بلقيع	93/02/16
تأثير الهجرة الدولية على المجال الريفي بتادلا.	أبو العز عبد الفتاح	أ. عبداللطيف بنشريف	93/04/08
ظاهرة قطع الغابات وعلاقتها بالتصحّر.	محمود أبو ع. الله خليفة مفتاح	أ. عبد الله العونية	93/07/23
الثروة المائية لواد هبت.	المعطى مليكة	أ. ا. القاسي و.أ. ع. بنشريف	93/11/09
التحولات الاقتصادية والاجتماعية الجبلية وآفاق التنمية في جبال الريف نموذج إقليم الحسيمة والشاون.	بودواح محمد	أ. عبداللطيف بنشريف	93/12/02
تدهور الوسط الطبيعي بمحوض صرف واد غيس (الريف الأوسط).	الكروري جمال	أ. عبد الله العونية	93/12/14
الضغط السكاني على الموارد وإشكالية التنمية، حالة سهل الغرب.	عاقل فاطمة	أ. عبداللطيف بنشريف	93/12/22
دكالة الجنوبية وهوامشها التشكيل والتطور البيئي.	عبي الدين محمد	أ. إدريس القاسي و.أ. ع. بنشريف	93/01/04
هضبة المحمدية دراسة التكوينات السطحية.	فورات عبد الكريم	أ. ا. القاسي و.أ. ع. بنشريف	94/01/04

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
94/02/17	أ. أحمد الغرابوي	ملين أحمد عبي الدين	الوسط الطبيعي والإنسان بمنطقة الاتصال بين مقر الصورة واجبيات الغربية.
94/02/17	أ. أحمد الغرابوي	غازي عبد الحائق	الوسط الطبيعي والإنسان بمنطقة الاتصال بين هضاب حاحة في الجنوب ومقر الصورة.
94/03/11	أ. أحمد الغرابوي	البوزيدي عيسى	الوسط الطبيعي والإنسان في منطقة اتصال هضبة للموسات والجبيلات الغربية.
94/05/26	أ. أ. القاسي وأ. ع. بنشريف	لعتريس محمد	الدينامية الحالية بالحوض النهرى لود كريفلة.
94/06/21	أ. أحمد الغرابوي	أبو القراح يحيى	الإنسان والأرض بسهل ترزنت.

شعبة الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
93/01/19	أ. رشدي فكار	خليفة بركة الساكت	المشاركة الاجتماعية وأثرها في تطوير وتنمية المجتمع دراسة المجتمع الليبي كنموذج.
93/01/19	أ. رشدي فكار	سالم الدنوني عبد السلام	أثر التحديث على المقومات الاجتماعية والثقافية للجريمة دراسة ميدانية بمدينة طرابلس.
93/04/13	أ. سالم يفوت	دموم حميد	المعرفة والحياة.
93/04/30	أ. محمد جسوس	المرجان محمد	مقاربة سوسولوجية للمعرفة الكولونالية الإنسانية حول شمال المغرب (1860 / 1985م).
93/05/12	أ. مبارك ربيع	سالم المهدي الكوني	مشكلات المعادين حركيا وعلاقتهما بالتوافق النفسي الاجتماعي مع إعداد مقياس لتوافق المعادين دراسة مقارنة بين ليبيا والمغرب.
93/05/20	أ. محمد شقرون	محمد مختار الشيباني	التخلف العقلي وآثاره الاجتماعية.
93/05/25	أ. محمد عابد الجابري	مزوز محمد	نزاع الهوية والمهامة (الأسطية والرشدية نموذجاً).
94/01/13	أ. محمد سبيلا	أزرقان عبد الحفي	الإلتجاه القوضوي في فلسفة سارتر.
94/02/22	Mr. P.SALHANI وأ. عبد السلام الداهي	السقلي الحسين	Conduits ludo-esthetiques et régulations individuelles et collectives.
94/05/26	أ. مبارك ربيع	محمد سند عبد المطلب العكايلة	اضطرابات الوسط الأسري وعلاقته بمجنون الأحداث في المجتمع الأردني — دراسة ميدانية — مسحية (وصفية).
94/06/08	أ. محمد شقرون	البرنوصي نجيب	السياسة والتنمية الثقافية بالمغرب.
94/06/29	أ. سالم يفوت	البعزالي ناصر	الصحة والبناء بحث في سمات العقلية العلمية.
94/12/22	أ. مبارك ربيع	صالح المهدي مصطفى الحويج	العلاقة بين الأبوين وارتباطها بمستوى القلق وأعراضه لدى الأبناء.

شعبة الدراسات الإسلامية

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
93/03/12	أ. إبراهيم بن الصديق وأ. فاروق حمادة	بتكران محمد	الصحيحان ومنهجهما وضوابط الصحيح على شرطهما.
93/03/12	أ. الشاهد البوشيخي وأ. أحمد أبو زيد	الحيلالي عائشة	أصول التفسير وقواعده في جامع البيان للإمام الطبري.
93/06/21	أ. أحمد أبو زيد	حسن مسعود الطوير	جهود علماء الغرب الإسلامي في دراسة بلاغة القرآن وإعجازه.
93/06/21	أ. عمر الجيدي وأ. أحمد الريسوني	سعدني أمينة	تأليل الأحكام في القرآن الكريم والسنة النبوية دراسة أصولية وفقهية.
93/06/21	أ. أحمد أبو زيد	برهون القاضي	الصحيح المسند من التفسير النبوي للقرآن الكريم.
93/07/05	أ. محمد أمين الاسماعيلي	جمعة مصطفى عمر الفيتوري	مدرسة الغرب الإسلامي في العقيدة الإسلامية خلال القرنين 10 و11هـ أبو الحسن اليومي وكتابه (حاشية على عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد) نموذجاً.
93/07/05	أ. محمد الروكي	سلمة بنت أحمد بن محمد زين	التشريع الماللي في القرآن الكريم.
93/07/14	أ. فاروق حمادة	محمد مختار ضرار المفتي	التصنيف على المعاجم للحديث النبوي الشريف نشأته — أعلامه — مناهجه.
93/07/19	أ. محمد بلشير وأ. المهدي المنجرة	سيتي مخلص	الإسلام وتوقعات المستقبل.
93/11/11	أ. أحمد الريسوني	العراقي توفيق	نظرية التكليف الأصولية ومنهج التجديد.
93/11/11	أ. أحمد الريسوني وأ. فاروق حمادة	الصولي محمد	الحقوق العينية العرفية في الفقه المالكي والقانون المغربي — دراسة مقارنة —.
94/01/05	أ. أحمد أبو زيد	عبد الله محمد علي التقراط	بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم (المقاصد الكبرى والآيات المشابهة).
94/02/10	أ. فاروق حمادة	عبد السلام الفرياني المصاد	الحدود والدماء في القرآن والسنة وتطبيقاتها المعاصرة.
94/02/25	أ. فاروق حمادة	أسعد طارق	أسباب ورود الحديث وأثره عند المحدثين والفقهاء.
94/04/20	أ. الهادي الراعي	بوعمرى كريمة	ابن محصن قارئاً.
94/07/22	أ. قاسم الحسيني	بوئغ مون لي	النهضة العلمية في الأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين.
94/12/14	أ. محمد الروكي	طارق جميل محمود هرش	القواعد الفقهية في العقود وتطبيقاتها المعاصرة.
94/12/14	أ. أحمد الريسوني	أحمد علي مظهر المآخذي	الإمام يحيى بن حمزة العلوي وفكره الأصولي والكلامي.

(2) دبلوم الدراسات العليا :

شعبة اللغة العربية وآدابها

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
93/01/05	أ. ع. علي الودغيري	الخليفة عبد الرحيم	المصطلح الصوتي عند ابن جني من خلال كتابه : (سر صناعة الإعراب).
93/01/12	أ. أحمد شحلان	اكلي فاطمة	موسى بن عزة وآثاره الأدبية والفكرية.
93/01/13	أ. ع. علي الودغيري	الهدار محمد	الظروف الزمانية (دراسة نحوية وأسلوبية).
93/01/13	أ. أحمد شحلان	بوغاية رشيد	النحى الاستشرافي في دراسة تاريخ اللغة العربية.
93/01/13	أ. ثريا لمي	شنيك الكبير	أبو طالب عبد الجبار (المتنبي) حياته وآثاره.
93/01/13	أ. ثريا لمي	الركراكي عفاف	ابن قتيبة الناقد من خلال الشراح الأندلسيين ابن السيد البطيوسي نموذجاً.
93/01/27	أ. ع. القادر القاسي الفهري	شافيق إلهام	جمع تكسير الثلاثي في اللغة العربية (دراسة صرفية صوتية).
93/02/11	أ. ثريا لمي	الطاهري عبد العزيز	النشر الطيب من منظومة الشيخ الطيب لأحمد بن محمد الرهوني — تقديم وتحقيق —.
93/02/11	أ. أحمد يزن	أوكان عبد الله	دراسة سيمولوجية لخطاب الملك الحسن الثاني.
93/02/23	أ. محمد بنيس	محمد بن أباه	الخطاب النقدي عند ابن سلام.
93/02/26	أ. أحمد بوحسن وأ. إدريس بلعليح	كيونغ عو جانغ	تاريخ الأدب العربي من خلال كتابات طه حسين.
93/03/02	أ. أحمد يزن	فتيش صلاح الدين	الاتجاهات الحديثة في دراسة القصص القرآنية — مقارنة نقدية تحليلية —.
93/03/02	أ. إدريس بلعليح	أوكتر صباح	قراءة الشعر العربي عند الحاجة.
93/03/02	أ. إدريس بلعليح	السعيد الزهرة	بنية القصيدة الجاهلية من خلال أشعار الشعراء الستة الجاهليين.
93/03/02	أ. إدريس بلعليح	الزياتي الخليل	في تشكيل البنية الإيقاعية من خلال (جمهرة أشعار العرب) لأبي زيد القرشي.
93/03/02	أ. إدريس بلعليح	اللوزاني المصطفى	مقاربة نصية لشعر العباس بن الأحنف.
93/03/08	أ. بوشى العطار	توركيس لويس	اللغة العربية وتأثيرها في اللغة الأندلسية (دراسة معجمية).
93/03/08	أ. حسن بحراوي وأ. أحمد العللاوي	أقلمون عبد السلام	النص الروائي العربي واشتغال التراث.
93/03/08	أ. حسن بحراوي وأ. أحمد العللاوي	الدوهو محمد	صرغ — الخطاب في رواية (ألف ليلة وليلة) لهاني الراهب — الهيكي — الصيرورة التناسية — الذات المتلفة — مقارنة سيميائية.
93/03/10	أ. إدريس بلعليح	أوشني الحسين	مقاربة أسلوبية للقصيدة الشعرية عند المتنبي.
93/03/10	أ. حسن بحراوي وأ. أحمد العللاوي	الإدريسي رشيدة	مستويات التناس في نماذج من الرواية العربية.

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
القضايا المتخيلة في السرد العربي ألف ليلة وليلة نموذجاً.	الحمداني الشرقي	أ. سعيد يقطين و.أ. أحمد المدناوي	93/03/15
الخطاب النقدي عند لويس عوض بين التنظير والتطبيق.	بحاري مولاي سليمان	أ. محمد الدغمومي و.أ. أحمد المدناوي	93/03/16
الأدب الشعبي المغربي — قضاياها ومناهجه.	صلوق خديجة	أ. أحمد المدناوي	93/04/06
مفهوم البيان في الدراسات البلاغية بالغرب (خلال ق 7 و 8هـ).	الأزدي عبد الوهاب	أ.أ. نريا لمي	93/04/08
المغرب، دراسة صرفية صوتية.	النهيبي ماجدولين	أ. ع. القادر القاسي الفهري	93/04/12
النفي في اللغة العربية.	ييلوش مولاي العربي	أ. ع. القادر القاسي الفهري	93/04/13
بنية المشابة في اللغة العربية.	سلم عبد الإله	أ. ع. القادر القاسي الفهري	93/04/15
المقولات الفارغة في اللغة العربية.	بوزيان إسماعيل	أ. ع. القادر القاسي الفهري	93/04/15
الرجز في الأندلس.	لعرج المهدي	أ.أ. نريا لمي	93/04/21
بنية الخطاب الشعري عند أحمد الجياطي من خلال (الفروسية).	العطواني حكيم	أ. نجيب المولي و.أ. محمد مفتاح	93/04/21
مناهج المحدثين وأثرها في الدراسات اللغوية (الزهر نموذجاً).	الطيب بن سيدي أحمد	أ. بوشتي العطار	93/04/26
الاختيار الشعري عند الأصمعي.	بوحة خديجة	أ. إدريس بللمح	93/04/28
المصطلح النقدي عند طه حسين.	جوماني محمد	أ. أحمد بوحسن و.أ. إدريس بللمح	93/04/28
قدم الرسوخ فيما مؤلله من الشيوخ لأحمد سكيرج تقديم وتحقيق.	المعصم زهرة	أ. أحمد شوقي بنين	93/05/13
الفضاء ودلالته في (كليلة ودمنة).	نوايتي أسماء	أ. إدريس بللمح	93/05/21
صورة المرأة في الرواية المغربية.	بلمركا أمينة	أ. نجيب المولي و.أ. أحمد المدناوي	93/05/28
كيفية التأويل من خلال نموذج جاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (210هـ).	شيلي حورية	أ. أحمد العلوي	93/05/28
التفاعل النصي الذاتي تجربة الحراط نموذجاً.	بلفقر ربيعة	أ. أحمد المدناوي	93/06/09
صيف الخطاب الروائي (تحليل ثلاثة نماذج روائية).	طلال رشيد	أ. محمد الدغمومي و.أ. أحمد البيروني	93/06/21
التخييل الفلسفي العربي والنص الشعري لدى أبي العلاء المعري.	أيت أوشان علي	أ. أحمد بوحسن و.أ. إدريس بللمح	93/06/28
ظاهرة الاقتباس في المسرح المغربي نموذج (موليس) 1973-22.	عكاوي عائشة	أ. عبد الجليل ناظم و.أ. أحمد المدناوي	93/06/28
السجن في الشعر الأندلسي دراسة نماذج شعرية.	حساء محمد صالح أفدح	أ. عبد الباقي بنجام	93/06/28
فتح القدوس في شرح خطبة التماموس للهلال السجلامي تقديم وتحقيق.	اللوكي خديجة	أ. عبد العلي الودغوري	93/07/01
مفهوم الشعر عند الرومانسية العربية.	عمراتي عبد السلام	أ. نجيب المولي و.أ. أحمد المدناوي	93/07/01

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
93/07/05	أ. إبراهيم المزدالي	أعراب مينة	المكان في الشعر الجاهلي النماذج : امرؤ القيس وبشر بن أبي حازم وعروة بن الورد.
93/07/12	أ. أحمد شوقي بنين	الكميري مليكة	رعاية الأدياء وزهرة الحياة الدنيا - تقديم وتحقيق -
93/09/07	أ. محمد مفتاح	الب بن المصطفى أوي	الشاعر محمد ولد ابتر وأسلوبه الشعري.
93/09/07	أ.ة. ثريا لمي	دشيري إبراهيم	غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود لأبي العباس أحمد بن الحاج العياشي سكرج - تقديم وتحقيق -
93/09/07	أ.ة. فاطمة طحطح	محمد ولد محمد الحافظ	المقدمة الطللية في القصيدة الموريتانية من 1950 إلى 1990.
93/09/22	أ. محمد بنيس	عليوي عبد المالك	الشعر الحديث في شمال المغرب من الثلاثينات إلى الخمسينات.
93/10/15	أ. عبد العلي الودغيري	أمراني علوي محمد	ظاهرة التقديم والتأخير في النحو العربي الخصائص التركيبية والدلالية.
93/11/08	أ. أحمد العلوي	بوكيود حسن	الخطاب الروائي العربي بين مستوى السرد ومستوى التلفظ.
93/11/16	أ. محمد الدغمومي و.أ. أحمد العلوي	أبو دهاج اعبيدة	الدلالة الاجتماعية في روايات صنع الله إبراهيم.
93/11/30	أ. أحمد شحلان	شريف دوزان فطمة فراح	الموت في معتقد الأديان.
93/12/02	أ. أحمد العلوي	العايدي فاطمة	الأصل والتفريع في البلاغة العربية.
94/01/12	أ.ة. فاطمة طحطح	الراضي عبد الرحمان	مكونات القصيدة ووظائفها من خلال كتابي (العمدة) و(منهاج البلغاء).
94/01/17	أ. عبد العالي الودغيري	عبد النعم شعبان الغرياني	المصطلح اللساني في كتابات أبي العباس المبرد.
94/02/07	أ.ة. ثريا لمي	شباكي عبد الكريم	فلسفة شعر الكدية في العصر العباسي.
94/02/08	أ.ع. القادر القاضي الفهري	الغريسي محمد	مشكل الرتبة.
94/02/14	أ.ع. عبد العالي الودغيري	عبد الله ولد محمد عبد المالك	قضية التعريف في القواميس العربية الحديثة - أحادية اللغة -
94/02/17	أ.ة. ثريا لمي	ابن الطالب موسى عبد العزيز	ديوان الشيخ محمد المامي بن البخاري (تقديم وتحقيق).
94/02/17	أ. أ. العلوي وعبد السيدي	البودالي عبد الجبار	النموذج الصبغي والمؤسسات الصورية للجملة.
94/02/22	أ.ع. القادر القاضي الفهري	الرواعي عبد الصمد	بنية المصدر : دراسة تركيبية - دلالية.
94/02/23	أ. إدريس بللمليح	الساكت خدوج	المصطلح النقدي والبلاغي في رفع الحجب للمستورة عن محاسن المصنوعة لأبي القاسم محمد الشريف السبيتي تحقيق : الأستاذ محمد الحجوي.
94/02/23	أ. أ. العلوي وعبد السيدي	أكميليل عبد المالك	التصغير مقارنة وظيفية.
94/02/23	أ. أ. العلوي وعبد السيدي	عبدللي محمد الكبير	القصد والتواصل دراسة تداولية لتقنيات التعبير في الخطاب الإشهاري.
94/02/23	أ. إدريس بللمليح	الشيخي أحمد	بنية التوازي في شعر ابن الفارض.
94/03/01	أ. محمد بنشريفة و.أ. أحمد بوحن	رحو صليحة	الحركة الأدبية بفكيك.

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
الفضاء — الشخصية في نماذج من الرواية العربية.	تاجوت رشيدة	أ. أحمد الطريسي	94/03/07
في سيمياء الثقافة الشعبية موسم الخطوبة بإملشيل نموذجاً.	السباعي بدي	وأ. محمد الدغمومي	94/03/18
شعرية التخيل في النص الروائي قراءة في ثلاثة وجوه	أيت خوجة محمد	أ. إدريس بليلح	94/03/21
ليفتاده، الرجوع البعيد والضوء المهارب.	الوادي عبد الرحمان	وأ. غريب العوفي	94/03/24
دلالة الألفاظ المجازية نموذج : (المجازات النبوية) للشريف		أ. عبد العالي الودغيري	94/03/24
الرضي — نحو مقارنة أسلوبية دلالية —.	نباتة عبد الرحمان	أ. ثريا لمي	94/04/12
تقديم وتحقيق الجزء الأول من الرحلة الكبرى لأبي سالم			94/04/12
العياشي.	رضوان عبد الرحمن	أ. عبد العالي الودغيري	94/04/12
الأسس المنهجية لتحديد الصفة في اللغة العربية.	جوارري الحسين	أ. أحمد المعداوي	94/04/19
ظاهرة التناس في الشعر المغربي المعاصر.		وأ. عبد الله التخييسي	94/04/19
الدارجة والكتابة دراسة لغوية لظاهرة استعمال الدارجة في	الحبشي فاطمة	أ. أحمد العلوي	94/04/20
بعض الكتابات الأدبية المغربية.	كرزازي علي	أ. إدريس بليلح	94/04/20
إشكالية الحداثة في الشعرية العربية القديمة.		وأ. عبد الجليل ناظم	94/04/20
شعر محمد الحراق (جمع ودراسة وتحقيق).	بوفروني نعيمة	أ. حسن جلاب	94/04/21
النقد الروائي بالدوريات الأدبية.	بلكوشي وفاء	وأ. أحمد شوقي بنين	94/04/21
حماسة الخالدين في ضوء بعض المفاهيم الأسلوبية.	الشرقي زهير	أ. أحمد المعداوي	94/04/21
التركيب البلاغي في الخطاب الشعري الصوفي.	الوهابي رضوان	وأ. محمد الدغمومي	94/04/26
تجربة الموت عند جبران خليل جبران.	الطالبي رجاء	أ. إدريس بليلح	94/04/26
المنهج اللغوي في نقد الشعر عند الشريف السبيتي من خلال	العللاوي عبد الصمد	أ. محمد بنين	94/04/27
شرح المقصورة.		أ. عبد العالي الودغيري	94/05/09
رحلة العراقي لطه محمد الكردي تقديم وتحقيق.	الكمري مليكة	أ. أحمد شوقي بنين	94/05/11
إضاءة الرموس وإضافة التاموس على إضاءة القاموس لابن	بجي خديجة	أ. عبد العالي الودغيري	94/05/12
الطبيب الشرقي ج. II تقديم وتحقيق.	راحمي عبد الإلاه	أ. أحمد البيوري	94/05/12
بناء التخيل في (قصص الأبياء المسمى برائس المجالس)		وأ. محمد الدغمومي	94/05/12
للثعلبي،	شليح رشيدة	أ. أحمد البيوري	94/05/17
النقد العربي الحديث والثقافة نموذج (محمد مندور) دراسة		وأ. محمد الدغمومي	94/05/17
في نقد النقد.	اشلفان فاطمة	أ. أحمد شوقي بنين	94/05/17
مناقب الشيخ سيدي علي الكاري : لعل بن محمد بن علي			94/05/17
المكاري تقديم وتحقيق.	السلامي فاطمة	أ. عبد القادر القاسمي	94/05/17
خصائص للملحقات في اللغة العربية (التمييز) نموذجاً.		الفهري	94/05/17

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
تشكل المكونات الروائية في الرواية العربية (مدارات الشرق) نموذجاً.	موفى المصطفى	أ. أحمد المعداوي وأ. نجيب العوفي	94/05/31
الكتابة القصصية النسائية بين المشرق والمغرب.	بتنروط خديجة	أ. أحمد المعداوي وأ. نجيب العوفي	94/06/10
القواميس الثنائية العامة والقضايا المعجمية (القواميس الفرنسية - العربية نموذجاً).	محمد ولد الفقيه	أ. عبد العالي الودغيري	94/06/10
ظاهرة الاغتراب في التجربة الشعرية الصوفية بالأندلس.	سهبي خديجة	أة. فاطمة طحطح	94/06/15
أثر الحكمة والعقيدة في خطب ملوك العلويين من 1956 إلى 1994 (خطب جلالة المغفور له محمد الخامس وخطب صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله).	قساري الحسان	أة. نجاة المريني وأة. ثريا لمي	94/06/15
زهرة الأكم في الأمثال والحكم للحسن اليومي تقديم وتحقيق (الجزء الأول).	بنطاهر صلاح الدين	أ. محمد عبدلاوي وأ. إدريس بلحليح	94/06/17
مدح النعل النبوي في شعر أبي عبد الله محمد بن فرج السبتي.	احمدات عبد الله	أة. ثريا لمي	94/06/17
التجربة الشعرية لدى محمد الخمار الكنتوني.	حيدة سعيدة	أة. فاطمة طحطح	94/06/23
وضعية قصيدة النثر في الشعر العربي المعاصر من خلال ثلاثة نماذج : محمد الماغوط، أنسي الحاج، أدونيس.	ميناوي الكبي	أ. أحمد المعداوي وأ. عبد الله التخيبي	94/06/29
السرقة الأدبية من خلال كتاب الموازنة للأندلسي قراءة في المصادر.	جعفر عائشة	أ. محمد عبدلاوي	94/06/30
شعرية الخطاب النسائي نموذج : ليلي بلحكي/ ليانة بدر/ غادة السمان/ خنانة بنونة/ أحلام مستغاني/ عرسة نالوتي.	المعلومي أسماء	أة. فاطمة طحطح وأ. حسن بحراوي	94/07/01
نقائض جرير والفرزدق موضوعاتها وصورها الفنية.	عموي علاوي المصطفى	أ. محمد عبدلاوي	94/07/01
الخطاب النقدي عند د. محمد شكري عياد.	والعيد محمد	أ. أحمد المعداوي وأ. محمد الدغمومي	94/07/01
التفاعل النصي : المكون التراثي في الرواية العربية الجديدة.	طوريس عبد الإله	أ. أحمد المعداوي وأ. محمد الدغمومي	94/07/04
الماء في الشعر الجاهلي.	الصالحي زهرة	أ. محمد عبدلاوي	94/09/21
الرؤية البائية عند عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابي : دلائل الإعجاز - أسرار البلاغة.	بادس محفوظ	أة. فاطمة طحطح	94/09/21
الصورة الشعرية وأدوات التخيل في الشعر العربي القديم من خلال ديوان (مختارات شعراء العرب) لابن الشجري.	الأشهب نجاة	أ. محمد عبدلاوي	94/10/11
كتاب زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن بن مسعود اليومي تقديم وتحقيق الجزء الثاني.	اهليلو مريم	أ. محمد عبدلاوي	94/10/18
تقديم وتحقيق للجزء الثاني من مخطوط : حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأغيار لمحمد بن المعطي المراكشي السمرغني.	البحصي نادية	أة. ثريا لمي	94/10/18

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
الفنث المسجّم في شرح لامية المعجم لصالح الدين الصفدي دراسة وصفية تحليلية.	زيري أمينة	أ. نجاة المريني	94/10/18
بعض ظواهر التناس بين الحماسة وشعر أبي تمام - شعر الحرب نموذجاً -	صديقي نصرة	أ. إدريس بللمح وأ. أحمد بوحسن	94/10/18
التراث والقراءة في الخطاب النقدي عند جابر عصفور.	ابن الوليد يحيى	أ. إدريس بللمح	94/10/18
القواميس اللغوية العربية الحديثة دراسة نقدية في المنهج والأسس النظرية.	أشروي أمينة	أ. عبد العلي الودغوري	94/10/28
معجم المصطلح اللغوي عند ابن الحاجب.	لفيضي ليل	أ. أحمد شحلان	94/11/24
قراءة النص الغائب في الشعر العربي المعاصر: شاكر السياب، أدونيس، أمل دنقل، وأحمد مجاطي نموذجاً.	الحاجي محمد	أ. أحمد العلوي وأ. عبد الله التخيبي	94/11/30
النص المناقبي من خلال نماذج من منطقة سوس - دراسة نقدية تحليلية.	بوفوس عبد الله	أ. نجاة المريني	94/12/06
المفاهيم الجمالية عند عبد القاهر الجرجاني.	الداودي بنعيسى	أ. إدريس بللمح	94/12/08
شعرية الخيال في الشعر العربي الحديث.	لمبردي سعاد	أ. أحمد العلوي وأ. عبد الله التخيبي	94/12/14
أدوات الكتابة في الأندلس.	الميساوي أم كلثوم	أ. نجاة المريني	94/12/20
التأويل والمعتقد دراسة في النص والممارسة اللغوية.	دويري عبد الرحيم	أ. أحمد العلوي	94/12/23

شعبة اللغة الفرنسية وآدابها

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
Le fouet dans les récits de la comtesse de Segur.	SABBAH Mouna	Mr. Abdelfattah KILITO	07/01/93
Flaubert et le thème de la violence.	ALAMI Aziza	Mr. Mohamed BEKKALI YEDRI	07/01/93
Etude morpho-syntaxique du passif en berbère (moyen Atlas parler d'Alt Mguild).	BOUREMDAN Mustapha	Mr. El Houssain EL MOUJAHID et Mr. Ahmed BOUKOUS	07/01/93
Les figures mythiques dans les romans de Céline.	EL HIMRI Abdellatif	Mr. Abdellah MEMMES	15/04/93
Formation de l'adjectif en arabe marocain (approche prosodique).	MELIANI Mohamed	Mr. Ahmed BOUKOUS	04/05/93
Images d'Orient d'après les récits de voyage (thèmes et écriture).	AL MEKNASSI Asmaa	Mr. Abdelmajid ZEGGAF	27/05/93
La massivité du coté nominal quelques aspects sémantiques et pragmatique - cognitifs.	LEMGHAI EL Mustapha	Mme Fouzia BENZAKOUR	04/06/93
Correspondances entre la littérature et la peinture maghrébines.	BENLABBAH Rachid	Mr. Mohamed ESSAOURI	09/06/93
Maintenance de la continuité du discours et didactiques des textes narratifs.	MDERSI Hafida	Mr. Ahmed EL MOUTAOUAKIL	28/10/93

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
06/01/94	M ^{me} Miyna KAPTAN	BENKERROUM Ahlam	Zola critique d'art visionnaire.
14/01/94	M ^r . El Mostapha CHADLI	BELGRA Hassane	Fonctionnement du discours iconique dans l'image publicitaire approche sémiotique.
20/01/94	M ^{me} Fouzia BENZAKOUR	NAJI Karim	Implication et inférence : Quelques aspects logico-sémantiques et pragmatiques.
27/01/94	M ^r . Ahmed EL MOUTAOUAKIL	MSOUGAR Asma	La politesse dans le langage son statut sa fonction et son expression.
27/01/94	M ^r . Ahmed EL MOUTAOUAKIL	HARAKAT Soumia	La modalité en grammaire fonctionnelle.
18/02/94	M ^r . El Houssain EL MOUJAHID	RKIBIA Loubna	Syntaxe des clitiques en arabe marocain.
21/02/94	M ^r . El Houssain EL MOUJAHID	SBAI Soumaya	Aspect syntaxique de l'acquisition du groupe nominal chez l'enfant marocain (parler arabe marocain).
19/03/94	M ^{me} Khadija MOUHCINE	QADER Hadda	L'énonciation de la description dans le procès verbal et desert de J.M. LECLEZIO.
21/03/94	M ^r . Ahmed BOUKOUS	CHRAA Zahra	La francophonie au Maroc usages, attitudes motivations et représentations le cas des étudiants scientifiques.
22/03/94	M ^{me} Fouzia BENZAKOUR	SALAHEDDINE Redouane	Les processus néologiques dans la presse écrite marocaine de langue française.
23/03/94	M ^{me} Fouzia BENZAKOUR	RAISSOULI Houda	Le français dans la réalité marocaine de quelques aspects sociolinguistiques lexico-sémantiques et syntaxiques.
25/04/94	M ^r . Abdellah MEMMES	ABERKOUZ Latifa	La problématique du genre dans l'œuvre de Mohamed KHAIR EDDINE.
27/04/94	M ^r . Ahmed BOUKOUS	SOUAKI Chafik	Arabisation et aménagement linguistique au Maroc.
28/06/94	M ^r . Abdellah MEMMES	EL HILALI Mina	L'écriture romanesque chez Tahar BEN JELLOUN, le cas de <i>l'enfant de sable</i> et <i>la nuit sacrée</i> .
28/06/94	M ^{me} Khadija MOUHCINE	LOTFI Bouchra	Espace en énonciation dans <i>étoile errante</i> de J.M.G LE CLEZIO.
29/06/94	M ^r . Abdellah MEMMES	EL QASRI Jamal	Le roman poème dans les œuvres «la réclusion solitaire» et «moha le fou Moha le sage» de T. BEN JELLOUN.
29/06/94	M ^r . Mohamed ESSAOURI	SABRI Nadia	Etude des titres dans la peinture et la poésie surréalistes, à partir des œuvres de Max ERNEST et des poèmes de Paul ELUARD.
29/06/94	M ^r . Mohamed ESSAOURI	DAKI Mohamed Aziz	Michelleiris et les peintres.
29/06/94	M ^r . Abdellah M'DAGHRI ALAOU	RACHDI Abdellatif	Hétérogénéité énonciative et identité interculturelle dans phantasia de A. MEDDEB.
07/07/94	M ^r . El Mostapha CHADLI	EL MAADANI Salma	Lecture sémiotico-énonciative de contes marrakchis sur la femme.
14/11/94	M ^r . El Houssaine MOUJAHID	EZ-ZHER Mohamed	Etude de la syntaxe du groupe nominal en arabe marocain.

شعبة اللغة الانجليزية وآدابها

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
07/01/93	M ^{me} Najat SEBTI	BAKKALI Asmaa	The quest for wholeness women and mysticism with special reference to Doris Lessing's the four gated city, the memoris of survivor and the marriage between zones three four and five.
03/02/93	M ^r . A. JAMARI et M. DAHBI	MAKHAD Hassan	Tense and aspect in berber.
08/02/93	M ^r . A. JAMARI et M. DAHBI	SOUDI Abdelhadi	A.G.B. approach to argument extraction in standard Arabic.
06/10/93	M ^r . Abderrafi BENHALLAM	FIKRI Khalid	Aspects of the derivation of Broken forms in the nominal paradigm in Moroccan Arabic prosodic constraints of derived words syllable erecting principles.
10/10/93	M ^r . Abdesslam EL HAKKOUNI	ECH-CHARIFI Ahmed	The structure of the noun phrase and the problem of reference in tamazight.
03/12/93	M ^r . Valery KENNEDY	MOHAMED VALL O/AHMED Salem	Myth versus history : The prospect of a modern mythology in the poetry of tedhghes.
23/01/94	M ^r . Abderrafi BENHALLAM	LAGHRIBI Aziz	The phonology and morphology of Moroccan Arabic, a diachronic approach.
02/02/94	M ^r . Abderrahim YOUSSE	ZNIBER Mohamed	Verb phrase modification in Moroccan Arabic auxiliation.
10/02/94	M ^r . Jilali SAIB	KABLY Houda	Stress in Jldi Moroccan Arabic nouns ametrical approach.
05/05/94	M ^r . Mohamed EZROURA	SAOUD Nazha	The woman's body, education, and sexuality a study of Mary Wollstone craft, Simone de Beauvoir, and Nawal ESSADAoui.
03/06/94	M ^r . Abderrahim JAMARI	BOURASS Atman	D P structure in berber and the theory of inflectional categories.
07/07/94	M ^r . Abderrafi BENHALLAM	HAMMARI Abdelouahid	Place features in rhafsay Moroccan Arabic.
19/07/94	M ^r . Abderrahim YOUSSE	EL HADRI Abdelaziz	Idiomatcity in literary arabic (afunctional and sociolinguistic approach).
19/07/94	M ^r . Mohamed EZROURA	BELGHITI Rachid	The dialectical relationship between culture and critism a study of Edward W. SAID.
06/12/94	M ^r . Jilali SAIB	MAROUANE Mohamed	Word stress and consonant syllabicity in aït Souab tashelhiyt berber.

شعبة اللغة الاسبانية وآدابها

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
24/02/94	M ^r . Simon LEVY	CHBANI Omar	Contribución al estudio lingüístico del habla árabe de marrakech.
20/04/94	M ^r . EL Houceine BOUZINEB	KERTAOUI Asmaa	A proximación enunciativa de la argumentación.
28/06/94	M ^r . Simon LEVY	RQUAIBI Rabab	Variación regional en el dialecto Hasaniya hablas de Rgeibat sahel, Rgeibat sarg y Tekna.
08/07/94	M ^r . Abdesslam OKAB	BOUSSBAA Khadija	Contribución el estudio dia crónico de la Sintaxis española a través de tres textos prosaicos (el conde Lucanor de don Juan Manuel la galatea de Cervantes y el camino del corazón de Fernando Sanchez Orabo).
16/11/94	M ^{me} Oumama AOUAD	AZHAR Rachid	Dinámica de la transgresión en la novelística de Reinaldo Arenas.
23/12/94	M ^r . Ahmed SABER et A. OKAB	KHATTOU Habiba	Aspectos lingüísticos de la obra de Francisco de Quevedo.

شعبة التاريخ

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
93/01/20	أ. عبد العزيز خلول القسماني	أكاكو بوشعيب	الحماية الإسبانية في شمال المغرب 1912-1956.
93/01/20	أ. محمد أمين البزاز	بن الداري المختار	الفتاوي الفقهية كمصادر للتاريخ الموريتاني في النصف الأول من القرن التاسع عشر فتاوي احمد بن محمد العاقل كنموذج.
93/03/08	أ. عبد الرحمان المودن	جريس فائحة	تقديم وتحقيق مخطوط (سلوك الطريق الوارثة بالشيخ والمريد والزواية) الزبادي محمد.
93/03/17	أ. حليمة الغازي	درفوف فتية	شمال افريقيا في العصر القديم من الامساك (الواد الكبير) إلى الحدود الغربية لمصر من خلال المصادر العربية القروسطوية.
93/03/18	أ. محمد حمام	مقر محمد	اللباس المغربي في العصر الوسيط (المرايطين والموحدين).
93/04/12	أ. زهرة طموح وأ. محمد رزوق	أبت عدي مبارك	حملة أحمد المنصور الذهبي إلى بلاد السودان 399هـ/591.
93/04/12	أ. حليمة الغازي	منقاشي فاطمة	المقاومة الأمازيغية للاحتلال الوندالي ثم البيزنطي.
93/04/26	أ. محمد حمام	حقي محمد	البربر في الأندلس دراسة لتاريخ مجموعة التنية من الفتح.
93/04/26	أ. حليمة الغازي	ولي الله حميد	مملكة المغرب القديم من خلال المصادر العربية القروسطوية.
93/04/26	أ. محمد المنصور	بوستة فاطمة	طنجة وأحوالها خلال العهد العلوي من 1684 إلى 1912.
93/04/26	أ. محمد أمين البزاز	نجاح نزهة	قـرض 1910.
93/04/26	أ. حليمة الغازي	العيوض سيدي محمد	بناصا من خلال المصادر.

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
الديانات والمجتمع بالشمال الأفريقي من ق II إلى ق IV من خلال المصادر.	كرتي فوزية	أه. حليلة الغازي	93/05/21
العلاقات التجارية بين القرطاجيين وباقي سكان شمال أفريقيا.	ولي الله عبد الرحيم	أه. حليلة الغازي	93/5/21
الجباية والمجتمع في العصر الوسيط خلال القرنين 5-7هـ / 11-13هـ.	الكوسامي عبد الإله	أ. عبد الأحد السبتي وأ. عبدالرحمان المودن	93/05/21
الإسلام والثقافة العربية بمملكة بورنو وكاتم.	شكري صالح	أ. مصطفى ناعمي وأه. زهرة طموح	93/07/15
تقديم وتحليل مخطوط (نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار) للعرني المشرقي.	أنشاد علي	أ. محمد أمين البزاز	93/10/25
مشكلة أمن الأوربيين بمدينة طنجة وأحوالها ودورها في التسرب الاستعماري (1858-1906).	أنظام فاطمة	أ. محمد أمين البزاز	93/10/25
الاقتصاد والمجتمع في أمبراطورية شنتاي.	بوغابة رشيد	أه. فاطمة الحراق وأ. زهرة طموح	94/02/21
الأردية بموريطانيا (مملكة المغرب القديم).	أمرغ عبد المجيد مادي مينة	أه. حليلة الغازي أ. محمد المنصور	94/06/04 94/06/15
The history of the revolutions in Morocco upon the death of the late emperor muley Ismael - (J)Brait Hwaite.	أحمد ثاني ع. الرحمان الدوسري	أ. إبراهيم حركات	94/06/23
الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر دولة بني الأحمر.	حاميد مصطفى	أ. محمد حمام	94/06/23
تاريخ التقنيات في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط.	الريكن إدريس	أ. حليلة الغازي	94/07/12
الأفراس والفرسان في شمال أفريقيا القديم.	أمنصور محمد	أ. محمد أمين البزاز	94/07/12
البيستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عهد بعض مآثر السلطان مولانا الحسن لصاحبه محمد بن إبراهيم السباعي تقديم وتحقيق.	عقيلي نزهة	أ. عبد الرحمان المودن	94/10/18
ركب الحاج المغربي ودوره في النشاط التجاري والتبادل الثقافي من ق 16 إلى ق 19.	بودرقا الحسن	أه. حليلة الغازي	94/11/15
الثورة الحيوانية والنباتية في شمال أفريقيا القديم.	أهت الغازي	أ. مصطفى ناعمي وعبد الكريم كريم	94/11/24
العلماء والسلطة والمجتمع بالمغرب في العهد السعدي.	عبد القادر	أ. عبد العزيز خلوق المسماني	94/12/16
رحلة محمد الخامس إلى طنجة (9-13 أبريل 1947).	الناصر محمد	أ. محمد الأمين البزاز	94/12/16
تقديم وتحقيق مخطوط (رحلة النيفاني) ل محمد بن عبد الله النيفاني.	أنشاد حسن		

شعبة الجغرافية

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
تطور الأنظمة الزراعية في تكيفها مع التغيرات المناخية والضغط الديمغرافي نموذج من الشاوية.	المودن محمد	أ. عبد اللطيف بشريفة	93/01/05
دراسة جيومورفولوجية لمنطقة تلوان رأس مزاري.	الشرقاوي لعززي رشيد	أ. إدريس الفاسي و.أ. عبد الله العونية	93/01/17
دور التعليم في تطوير أنظمة الإنتاج الفلاحي بالمغرب نماذج من إقليمي الصخيرات وبنسليمان.	احساين صباح	أ. إسماعيل العلوي	93/01/25
الهجرة الدولية والتوسع الحضري بالمراتش.	الشتوف عبد الرزيع	أ. ع. اللطيف فضل الله	93/01/27
الهجرة الخارجية وتنظيم المجال الحضري بمدن تادلا حالة مدينة بني ملال.	بونو عبد الله	أ. ع. اللطيف فضل الله	93/02/02
أشكال وآليات التوسع الحضري لمدينة قلعة السراغنة.	خالد ثورية	أ. محمد الغوات	93/02/15
مشكلة استنزاف المياه الجوفية في الجزء الشرقي من الشريط الساحلي بسهل الجفارة.	محمد علي الصغير	أ. إدريس الفاسي و.أ. أحمد الغرباوي	93/02/19
تبني تقنية تغطية الحقول وآثارها على تحويل البنى الفلاحية والاجتماعية بالمنطقة الساحلية (البيضاء — أزمو).	بنحاس العربي	أ. إسماعيل العلوي	93/03/02
أكادير : السياحة والاقتصاد الحضري.	ضريف سعيد	أ. محمد بريان	93/03/12
التعرية في الريف الغربي أنظمة الاستغلال والمحافظة على التربة بعالية اللوكوس.	للمنصوري عبد العزيز	أ. ع. الله العونية و.أ. محمد صابر و.أ. محمد قرو	93/04/13
دور المدن المتوسطة في تنظيم المجال الجهوي مثال ابن جرير.	سامي سعادة	أ. محمد بلقيع	93/06/26
دراسة للتكوينات السطحية بمنطقة مشرع الحمري.	عقادري فاطمة	أ. إدريس الفاسي و.أ. محمد الطيلسان	93/09/21
الهجرة الداخلية إلى نواكشوط دراسة حالة حي عرفات.	لالة بنت سيني الأمين	أ. محمد بريان	93/10/21
دراسة جيومورفولوجية لسافلة واد اللوكوس.	شنيك سعيد	أ. إدريس الفاسي	94/02/01
القطاع العام للصحة بالدار البيضاء.	ويشو عبد الكريم	أ. محمد الرفاص	94/02/10
من قضايا التعمير ببني ملال.	عززي المهدي	أ. محمد بلقيع	94/02/10
القطاع الخاص للصحة بالبيضاء.	زيلاف نور الدين	أ. محمد الرفاص	94/02/10
دراسة جيومورفولوجية لحوض بوعنكر والمواش المحيطة به بالأطلس المتوسطي.	أيت موحا محمد	أ. محمد الطيلسان و.أ. إدريس الفاسي	94/03/12
بنية النقل الحضري بمدينة أكادير.	بالبل حليلة	أ. محمد الغوات	94/03/22
الانعكاس المجالي للتكثيف السكاني بمدينة الرباط.	السماوي محمد	أ. ع. اللطيف فضل الله	94/04/05
دراسة جيومورفولوجية لحوض بقرت وهوامشه بالأطلس المتوسطي.	ومحمد حسن	أ. الميود شاكور	94/04/20
مقر المرس : دراسة جيومورفولوجية.	هزيوي سعيد	أ. إدريس الفاسي و.أ. ربيعة الناصري	94/05/03
الدينامية الحالية للساحل بين وادي أي وراق ووادي الشراط.	بن الزيدية خالد	أ. محمد الطيلسان و.أ. عبد الله العونية	94/05/05

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
الدينامية الحالية لساجل أصيلا بين واد التخله وواد تاهلدرت.	بروش فؤاد	أ.ة. ربيعة الناصري و.أ. عبد الله العوينة	94/06/28
دراسة جيومرفولوجية لمنطقة القصر الكبير.	عباد مفيدة	أ.ة. نعيمة فتح الله و.أ. عبد الله العوينة	94/06/28
دراسة جيومرفولوجية لمنطقة أزيلال.	الجوالي ثريا	أ. الميلود شاكر و.أ. عبد الله العوينة	94/06/28
سوق السبت أيت إيكو التكونات السطحية والدينامية الحالية.	اكوشام محمد	أ.ة. نعيمة فتح الله و.أ. عبد الله العوينة	94/06/29
مدينة مراكش الأصلية التحليل الجغرافي ومساهمة في تطوير مفهوم رد الإعتراب.	توفلة نجيب	أ. محمد بلقفيه	94/06/30
دراسة جيومرفولوجية لمنطقة بني أحمد بالريف الأوسط.	لغيسي محمد	أ. إدريس القامي و.أ. محمد الطليسان	94/12/23
الأشكال والتشكيل بمنخفض أوديكمو بالأطلس المتوسط المتوسطي.	العناوي للمصطفى	أ. إدريس القامي و.أ. محمد الطليسان	94/12/23

شعبة الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
البعد المنطقي والفلسفي لمشكل الاستقراء في الابدستولوجيا المعاصرة.	التادير إدريس	أ. عبد السلام بن مس	93/01/05
مسألة الوجود في فلسفة هيدغر.	حنشي خليل	أ. محمد سيلا	93/01/05
تأويل النص الفلسفي نموذج نيتشة.	بوتيم فارس	أ. محمد سيلا	93/01/13
مساهمة في دراسة الإسلام الشعبي بالجممع المغربي (منطقة دكالة نموذجاً).	مندهب عبد الغني	أ.ة. رحمة بورقية	93/01/13
الاندماج الاجتماعي للأطفال وعلاقته بالتواصل مع الجماعة دراسة نفسية اجتماعية.	رضواني محمد	أ. المصطفى حدية	93/02/08
العودة عند العمال المهاجرين المغاربة بإيطاليا كواقع وتصور.	الحلاي يوسف	أ.ة. رحمة بورقية	93/02/08
سينزا وديكاترت.	بوجملة عبد اللطيف	أ. محمد سيلا	93/02/24
التشقة السياسية للطفل المغربي المدرسة كنموذج.	الغازي محمد	أ. محمد شقرن	93/02/24
المرأة ومؤسسة الزواج مقارنة سوسيوإجمالية بين منطقة الشاوية ومدينة الرباط.	بن موسى ازهور	أ.ة. رحمة بورقية	93/03/02
الفكر السلفي بالمغرب وإشكالية التحديث نموذج محمد بن الحسن الحنجوي (1874-1956).	أعراب إبراهيم	أ. محمد سيلا	93/03/16
الأمية والجممعات المغربية موريطانيا نموذجاً — دراسة ميدانية لوسط قروي —	عمود يحفظ بن محمد	أ. محمد شقرن	93/04/21

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
93/04/30	أ. سعيد بنسعيد العلوي	زوبية حسن	الخطاب السياسي العربي الإسلامي المعاصر.
93/04/30	أ. مبارك ربيع	زوهري عثمان	العلاقات بين — فردية والجماعية ودورها في سر العمل مساهمة نفسية اجتماعية لدراسة مجال العمل نموذج معمل السكر / سوق السبت / بني ملال.
93/05/13	أ. سالم يفوت	جدوني مبارك	مفهوم التاريخانية عند العروبي.
93/07/12	أ. محمد سيلا	العروزي عمر	تحليل الخطاب السياسي النسق التداولي والبنية المنطقية للحجاجة.
93/10/11	أ. مبارك ربيع	الشريف الكتاني	الانتماءات الولدية في التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بمخاوف الذات لدى الأطفال.
93/11/01	أ. محمد سيلا	عبد المولى عزالدين	نقد الحداثة من خلال نقد المجتمع الصناعي المتقدم عند هربرت ماركوز.
93/11/16	أ. محمد سيلا	الشيكري محمد	هايدغر والفينومينولوجيا.
94/01/26	أ. محمد سيلا	الشقيري عبد المنعم	إشكالية العقلنة في الفكر السوسيولوجي المعاصر نموذج (ماكس فيبر / هابرماس).
94/01/27	أ. محمد التويجري وأ. المصطفى حدية	المرابطي بشري	عطالة الشباب المتمدرس وعلاقتها بالسلوك المنواري دراسة نفسية اجتماعية.
94/02/10	أ. رشدي فكار	أرسلان فتحة	دراسة اجتماعية عن اليهود المغاربة في المهجر فرنسا كنموذج منذ عصر الحماية حتى اليوم.
94/02/17	أ. رحمة بورقية	دحمان محمد	البداوة والاستقرار بمنطقة وادي الذهب والساقية الحمراء.
94/04/19	أ. سالم يفوت	اللحية الحسن	من السيادة إلى المراقبة — ما بعد الميكافيلية —.
94/05/25	أ. محمد جموس	المسهل فاطمة	الفلاح والمجتمع القروي من خلال كتابات بعض المؤرخين : نموذج الدولة العلوية إلى بداية القرن العشرين.
94/05/25	أ. رحمة بورقية	التاج عائشة	المرأة والمجال العمومي : آليات الإدماج وآليات الإقصاء : نموذج المرأة المأجورة بمدينة طنجة.
94/06/17	أ. محمد سيلا	كديري خليل	أسس الميتافيزيقا الجمالية عند مارتن هيدغر دراسة ونقد.
94/06/21	أ. رحمة بورقية	عبد ربي محمد	الرجولة كتنصور لدى الشباب القروي.
94/06/28	أ. محمد شقرون	ماسك أمينة	الهجرة الخارجية وضعية المرأة المغربية المهاجرة.
94/06/28	أ. محمد التويجري وأ. المصطفى حدية	أهمن عبد الرحيم	تمثل الشباب للقيم الدينية وعلاقته بالوسط الاجتماعي — دراسة نفسية اجتماعية —.
94/07/05	أ. محمد سيلا	مشروحي الذهبي	النزعة البراهمائية الجديدة عند الفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتي.
94/10/04	أ. محمد شقرون	جيران أحمد	صورة المجتمع في الخطاب المدرسي المغربي.
94/10/24	أ. محمد سيلا	الطويل عبد السلام	كتاب Alain TOURAINE : Critique de la modernité تقديم وترجمة وتعليق.
94/10/31	أ. المصطفى حدية	مكرودي حسن	اللغة وتكوين الهوية عند الطفل المغربي المتمدرس دراسة نفسية اجتماعية.
94/12/23	أ. طه عبد الرحمن	الطني عبد الله	معجم فلسفة أبي نصر الفارابي.

شعبة الدراسات الإسلامية

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
الفكر المقاصدي عند الإمام الغزالي.	عبدو محمد	أ. أحمد الريسوني	93/01/27
الغاية في شرح الهداية في علم الرواية للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن السخاوي (831-902هـ) دراسة وتحقيق.	سلمى المصطفى	أ. قاسم الحسيني أ. إبراهيم بن الصديق أ. فاروق حمادة	93/01/27
الاجتهاد بين أهل السنة والشيعة دراسة مقارنة.	زهري خالد	أ. أحمد الريسوني	93/01/27
النظرة الإصلاحية في فكر محمد إقبال وأثرها في مسيرة الفكر الإسلامي.	فويال حدة	أ. محمد بلشير	93/01/27
شرح الجمل للشيخ الشريف التلمساني ت 771هـ تقديم وتحقيق.	اسفي عمر	أ. محمد الروكي	93/01/27
الإمام محمد مصطفى المراغي مجدداً إسلامياً.	عاشور الزهراء	أ. محمد بلشير	93/01/27
الفكر المقاصدي عند الإمام ابن تيمية.	لمدي بوشعيب	أ. محمد بلشير	93/01/27
الفكر الأصولي عند علماء شتيت - دراسة منهجية خلال القرنين 14/13هـ.	عثمان ولد الشيخ أحمد بلعمالي	أ. أحمد الريسوني أ. محمد أمين الإسماعيلي	93/01/27
فقه الرسائل والمعاهدات النبوية.	سربو الغزواني	أ. محمد الروكي	93/01/27
الإتفاق في القرآن الكريم.	الزرقالي محسن	أ. محمد الروكي	93/01/27
الإمام النووي فقهياً.	بوشكوش أمينة	أ. محمد الروكي	93/01/27
أثر وجود الإعراب في اختلاف الفقهاء.	الوزكيتي عبد الرزاق	أ. محمد الروكي	93/01/27
الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - جهودته الفقهية والأصولية من خلال كتابه (التحرير والتنوير في التفسير).	الزروقي الحسين	أ. محمد الروكي	93/01/27
الإمام أبو بكر السرخسي أصولياً.	بلحركة عبد العزيز	أ. محمد الروكي	93/01/27
ابن القيم ومنهجه في نقد السنة.	عبد الفتاح وإن صديق	أ. محمد بلشير	93/01/27
جدلية المعري والمذهبي في دراسة التراث العربي الإسلامي (تحليل الخطاب انطلاقاً من الأسس المعرفية والخطابات المذهبية).	الحوات عبد العزيز	أ. محمد بلشير	93/01/27
فلسفة التربية الإسلامية بين تفاعل الدين والعلم.	امغونج عبد القادر	أ. قاسم الحسيني	93/02/02
السنة النبوية ومكانتها عند الأمازيغيين.	يونس بكوش	أ. أحمد الريسوني	93/02/12
ابن سريج فقهياً وأصولياً.	مراد الطيب صاشر	أ. أحمد الريسوني	93/02/12
تحقيق كتاب إلفاضة العلام بتحقيق مسألة الكلام لإبراهيم ابن الحسن الكوراني.	مراني فاطمة	أ. محمد أمين الإسماعيلي	93/02/12
ابن شكوال وجهوده الحديثية مع تحقيق (القرى إلى الله تعالى) كنموذج.	الشرقاوي حفيظة	أ. أحمد الريسوني	93/02/12
تفسير جابر بن عبد الله جمع دراسة وتوثيق.	سيدي محمد صلاح الدين	أ. أحمد أبو زيد	93/02/12

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
الجراحة الطبية بين الفقه الإسلامي والقانون.	الزوهري نور الدين	أ. أحمد الريسوني	93/03/12
ابن رجب الحنبلي وقواعده الفقهية.	البغلولي حفيظة	أ. محمد الروكي	93/03/12
الفكر الإسلامي في الدراسات التاريخية المعاصرة.	لعونية إبراهيم	أ. قاسم الحسيني	93/03/12
العقيدة الموسومة بالوسطى للعلامة محمد بن يوسف السنوسي تقديم وتحقيق.	أسعد عبد العزيز	أ. قاسم الحسيني	93/03/12
دراسة منهجية لمقائيد اليهود والنصارى في القرآن والسنة.	آيت أحمد وعلي	أ. قاسم الحسيني	93/03/12
تعليقات على معالم أصول الدين لأبي محمد عبد الله بن محمد بن علي الفهري الشهير بابن التلمساني.	رزوق علي	أ. محمد أمين الاسماعيل	93/03/17
الحافظ أبو محمد عبد العظيم المنذري محدثا ووقفا.	بدري عبد الإله	أ. محمد الروكي	93/05/12
محمد عزة دروزة ومنهجه في التفسير.	القيقلان يامنة	أ. أحمد أبو زيد	93/05/12
كتاب مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح مشكلات المدونة — دراسة وتحقيق —.	ميوني علي	أ. أحمد الريسوني	93/05/12
أبو بكر الطرطوشي (451هـ-520هـ) وآثاره العلمية والإصلاحية.	لعيشي إدريس	أ. أحمد الريسوني	93/05/12
المصطلح الحنبلي في الكتب الستة استقراره واستمراره.	عبدالله التقي بن محمد	أ. أحمد الريسوني	93/05/12
القاضي برهان الدين بن فرحون وجهوده في الفقه المالكي.	أغراني نجية	أ. محمد الروكي	93/06/17
الأنبياء الملوك في العهد القديم وفي القرآن.	نصر الدين بن علي	أ. محمد أمين الاسماعيل وأ. أحمد الريسوني	93/06/17
القواعد الأصولية من خلال كتاب (التهجد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) لأبن عبد البر المحري القرطبي.	عبروق العلمي زبيدة	أ. أحمد الريسوني	93/06/17
كتاب مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح مشكلات المدونة لأبي الحسن علي بن سعيد الرجرجاني دراسة وتحقيق (من الصرف العرايا).	مراد حشوف	أ. أحمد الريسوني	93/06/17
جملة أرباب المراسد في شرح عقيلة أرباب التصايد لبرهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري — دراسة وتحقيق —.	البحاوي للمصطفى	أ. أحمد أبو زيد	93/07/05
كتاب للموضح في تعليل وجوه القراءات لأبي العباس المهدوي — دراسة وتحقيق —.	الفريسي عبد الفتاح	أ. أحمد أبو زيد	93/07/05
الأوجه البلاغية في اختيارات القراء وتوجيهها.	حافظ محمد	أ. أحمد أبو زيد	93/07/05
الإمام الكاساني وتقنيده للفقه الحنفي من خلال كتابه بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع.	أحمد عبد اللطيف	أ. أحمد الريسوني	93/09/30
بيوع الآجال في الاجتهاد الفقهي المعاصر قضايا ونماذج.	البوزيدي أحمد	أ. محمد الروكي	93/12/21
أبو الحسن الأبياري أصوليا.	بخاري حسن	أ. أحمد الريسوني	94/02/10
علم الكلام والتحديات الفكرية المعاصرة (نحو أسس واقعية وصياغة جديدة لفكر عقدي حديث).	بوزيان وفاء	أ. أحمد الريسوني	94/02/10

موضوع البحث	اسم الباحث	الأستاذ المشرف	التاريخ
التحقيق والبيان في شرح الرهان لأبي الحسن علي بن إسماعيل الصنهاجي الأبياري المتوفى 616هـ تحقيق وتقديم.	البوقاعي محمد	أ. أحمد الريسوني	94/02/10
المعقد على المنافع وأحكامه في الفقه الإسلامي.	علوي بلغيتي م.ع.الاسلام	أ. محمد الروكي	94/02/10
القاضي بدر الدين العيني وقواعده الأصولية والفقهية من خلال كتابه (عمدة القاري) شرح صحيح البخاري).	طاهري عبد القادر	أ. محمد الروكي	94/02/10
بيع المعلوم في الفقه الإسلامي وتطبيقاته المعاصرة.	أكتاش الحسن	أ. محمد الروكي	94/02/10
الاعتقاد على القرآن في الشريعة الإسلامية الفقه وأصوله والقضاء.	المودن عبد الله	أ. أحمد الريسوني	94/02/10
قياس الأصول عند الأصوليين حقيقته حجته وتطبيقاته.	محمد الأمين ولد اللالي	أ. محمد الروكي	94/02/27
ابن كثير وجهوده في الحديث وفقهه من خلال كتاب تفسير القرآن العظيم.	باليش محمد	أ. محمد الروكي	94/04/18
القواعد الفقهية من خلال كتاب الهداية للمريغني.	كوزج عثمان	أ. محمد الروكي	94/04/20
النسخ في الحديث النبوي الشريف بين التعيد النظري والتطبيق الفقهي.	توفيق زليخة	أ. أحمد الريسوني	94/04/20
نظام التعزير وتطبيقاته في المذهب المالكي دراسة وموازنة وتقديم.	الفقر التسماني	أ. ابن الصديق وأ. فاروق حمادة	94/04/20
ضوابط الاجتهاد المقاصدي.	عبد النعم	أ. أحمد الريسوني	94/04/20
القواعد الفقهية من خلال كتاب (الانصاف في معرفة الراجع من الخلاف) لأبي الحسن علي بن سليمان المردلوي (ت 885هـ).	أيت سعيد عبدالسلام	أ. محمد الروكي	94/04/20
فقه تحقيق المناط في الشريعة الإسلامية.	متاكي مليكة	أ. أحمد الريسوني	94/06/02
الفكر التربوي عند ابن قيم الجوزية رحمه الله.	هلاوي سعيد	أ. محمد بلشير	94/06/02
سليمان التوري وجهوده في علم الحديث وفقهه.	الرملي فاطنة	أ. محمد الروكي	94/06/02
مقاربة تحليلية نقدية للمسألة النسائية في الخطاب العلماني المغربي.	المصلي جميلة	أ. محمد بلشير	94/06/02
تحرير مواطن الخلاف بين السلفية والأشعرية والماتريدية.	بناني مريم	أ. محمد أمين الاسماعيل	94/06/02
مراعاة المقاصد في فقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.	الغزالي أحمد	أ. أحمد الريسوني	94/06/02
الاجتهاد الفقهي الحديث + اتجاهاته وخصائصه.	بنموز إدريس	أ. أحمد الريسوني	94/06/02
مظاهر الفكر الإصلاحية عند عبد الله كرون.	قربال نور الدين	أ. محمد بلشير	94/06/02
عقيدة القضاء والقدر ومقتضيات التغيير الاجتماعي.	مسموع محمد	أ. محمد أمين الاسماعيل	94/06/02
أصول التشريع الدولي في القرآن الكريم والسنة.	الحمدوني معاذ	أ. أحمد أبو زيد	94/06/02
النظر المقاصدي عند الإمام مالك.	العصري محمد منصيف	أ. أحمد الريسوني	94/06/02
رعاية المقاصد في المذهب الحنفي.	الساغري الحسن	أ. أحمد الريسوني	94/06/02
فقه الإمام إسحاق بن راهوية.	التريجي بوسلهام	أ. محمد الروكي	94/06/02
الكليات الشرعية في السنة من خلال الجامع الصحيح للإمام البخاري.	القاسمي عبد الإله	أ. محمد الروكي	94/06/02

التاريخ	الأستاذ المشرف	اسم الباحث	موضوع البحث
94/06/02	أ. إبراهيم بن الصديق	السعدي محمد	مناهج الحفاظ في تخریج الأحادیث من خلال تفاریح أحادیث الأحياء للإمام الترمذی.
94/07/01	أ. أحمد الیسونی	حشوف مراد	النکت والفروق لمسائل المدونة والمختلطة لعبد الحق السهمی الصقلی (ت 466هـ) تقديم وتحقیق.
94/07/01	أ. أحمد الیسونی	مصباح عثمان	الفکر المقاصدي عند الإمام ابن قیم الجوزية.
94/07/01	أ. أحمد أبو زید	البوزي محمد	الأساس اللغوي في تفسیر ابن عطية الأندلسي.
94/07/01	أ. أحمد الیسونی	النویری خالد	أحكام الوسائل وعلاقتها بالمقاصد في الفقه الإسلامي.
94/07/01	أ. أحمد أبو زید	العبدلای عبد الرحيم	الإسلام بين سماته وتمصب أعدائه دراسة في ضوابط التسامح وأحكام الجهاد.
94/07/01	أ. محمد أمين الامعاعلي	كباسين خديجة	العقيدة والتصوف في فكر محمد بن علي أوزال.
94/07/01	أ. قاسم الحسيني	شكرلوي أمينة	خصائص الإصلاح في الفكر الصوفي بالمغرب في القرن السابع الهجري.
94/07/01	أ. أحمد أبو زید	إكيج محمد	قواعد الترجيح عند المفسرين.
94/07/01	أ. أحمد أبو زید	لمراني علوي الهادي	قواعد التفسير من خلال تفسير المنار لمحمد رشيد رضا بين التجديد والحفاظة.
94/12/07	أ. محمد الروكي	ميلود مهنوي	مختصر النهاية وإتمام لأبي عبد الله محمد بن هارون الكنائي ت 750هـ تقديم وتحقیق.

كلمة شكر

تشكر هيئة التحرير السادة الأساتذة الذين ساهموا في مراجعة بعض المواد من ملف هذا العدد، وهم :

ادريس السغوشي	محمد الأوراعسي	محمد حنيني
رحمة بورقية	عبد الرحمن المودن	ادريس بلمليح
سعيد يقطين	ابراهيم المزدالسي	محمد أديوان
حليمة بنكرعي	عبد المجيد القلوري	ميلود حبيبي
سالم يفوت	عبد العزيز توري	بلكامل البيضاوية
عبد الباقي بنجام	محمد المصطفى عزام	حليمة غازي

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط

رسائل وأطروحات جامعية

Thèses et Mémoires

- أحمد التوفيق : المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850/1912)
طبعة جديدة، جزعان في مجلد واحد، 1983.
- نعيمة هراج التوزاني : الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن
(1290 — 1311 / 1873 — 1894) مساهمة في دراسة النظام المالي
بالمغرب، يناير 1979.
- سعيد بنسعيد : دولة الخلافة، دراسة في التفكير السياسي عند الماوردي،
1980.
- بهالم يفوت : مفهوم الواقع في التفكير العلمي المعاصر.
- عبد اللطيف الشاذلي : الحركة العياشية، حلقة من تاريخ المغرب في القرن
السابع عشر، 1982.
- محمد مزين : فاس وباديتها (1549 — 1637 م)، جزعان، 1986.
- مبارك ربيع : مخاوف الأطفال وعلاقتها بالوسط الاجتماعي، 1991.
- محمد الأمين البزاز : تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر
والتاسع عشر.
- أحمد أبو زيد : التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي،
1992.

- فاطمة طحطح : الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، 1993.
- محمد الروكي : نظرية التعقيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء، 1994.
- عبد الرحمن المودن : البوادي المغربية قبل الاستعمار، 1994.
- Abderrahmane Taha : Langue et Philosophie, essai sur les structures linguistiques de l'ontologie, Janvier 1979.
- Ali Oumlil : L'histoire et son discours, essai sur la méthodologie d'Ibn Khaldoun, 1979.
- Abdellatif Bencherifa : Chtouka et Massa, étude de géographie agraire, 1980.
- Abdelkader Fassi Fehri : Linguistique arabe : forme et interprétation, 1982.
- Ahmed Moutaouakil : Réflexions sur la théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe, 1982.
- M'Hamed Jadda : Bibliographie analytique des publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines (1915 – 1959), 1994.
- Mohammed Kenbib : Juifs et Musulmans au Maroc (1859 – 1948), 1994.
- Aziza Bennani : Monde mental et monde romanesque de Carlos Fuentes, 1985.
- Larbi Mezzine : Le Tafilalt, Contribution à l'histoire du Maroc aux XVII^e et XVIII^e siècles, 1987.
- Hassan Benhalima : Petites Villes Traditionnelles et Mutations Socio-Economiques au Maroc, le cas de Sefrou, 1987.
- Mohamed Berriane : Tourisme national et migrations de loisirs au Maroc (étude géographique), 1992.
- Ahmed Chouqi Binbine : Histoire des bibliothèques au Maroc, 1992.

نصوص ووثائق

Textes et Documents

- محمد المنوني : ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، 1980.
- محمد بن تاويت : جهار مقالة (أربع مقالات مترجمة عن الفارسية)، 1982.
- أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي : التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، 1984.

نصوص مترجمة

Traductions

- جورج ماطوري : منجم المعجمية، ترجمة وتقديم عبد العلي الودعيري، 1993.

بحوث ودراسات

Essais et Etudes

- محمد المنوني : تاريخ الوراقة المغربية (صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة)، 1991.
- أحمد الطريسي أعراب : الإبداع الشعري والتحويلات الاجتماعية والفكرية بالمغرب، من أواخر القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين للميلاد، 1992.
- أحمد المتوكل : آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، 1993.
- عمر أفا : النقود المغربية في القرن الثامن عشر، 1993.
- أحمد شوقي بنين : دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي، 1993.
- El Mostafa Haddiya : Processus de la socialisation en milieu urbain au Maroc, 1991.
- Fouzia Rhissassi, A textual Study of Thomas Hardy's *Life's Little Ironies*, 1994.
- EL Mostafa Chadli : Sémiotique: vers une nouvelle sémantique du texte (Problématique, enjeux et perspectives théoriques), 1995.
- Ahmed Boukous, Société, langues et cultures au Maroc, 1995.

ببليوغرافيا

Bibliographie

- محمد المنوني : المصادر العربية لتاريخ المغرب، جزآن : 1983، 1989.

- لجنة من أساتذة الكلية : مرشد الباحثين في قواعد إعداد النصوص للطبع وتصحيحها، 1986.
- لجنة من أساتذة الكلية : بيليوغرافية الدراسات الأدبية الجامعية بالمغرب، 1990.

أعمال الندوات

Colloques

- اللقاء المغربي الأول للسانيات والسيمياثيات، عروض ومناقشات، 1979.
- أعمال ندوة ابن رشد، 1981.
- أعمال ندوة ابن خلدون، 1981.
- أعمال ندوة البحث اللساني والسيمياثي، 1984.
- أعمال ندوة الفكر العربي والثقافة اليونانية، 1985.
- أعمال ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن XIX، 1986.
- أعمال ندوة المغرب وهولندا، دراسات في التاريخ والهجرة واللسانيات وسيمياثيات الثقافة، 1988.
- أعمال ندوة الإمام أبي حامد الغزالي، 1988.
- أعمال ندوة العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب العربي، 1988.
- أعمال ندوة في الاقتصاد الإسلامي، 1989.
- أعمال ندوة ثلاثون سنة من البحث الجامعي بالمغرب :
- الجزء الأول : السوسيولوجيا المغربية المعاصرة، حصيلة وتقويم، 1988.
- الجزء الثاني : البحث الجغرافي بالمغرب، تقويم أولي، 1989.
- الجزء الثالث : البحث في تاريخ المغرب، حصيلة وتقويم، 1989.
- الجزء الرابع : اللسانيات الاجتماعية (Langues et société) (باللغات الأجنبية)، 1989.
- الدراسات الأدبية الجامعية بالمغرب، 1991.

- الملتقى العلمي لمدينة طنجة :
طنجة في التاريخ المعاصر (1800 — 1956)، 1991.
طنجة في الآداب والفنون، 1992.
طنجة : المجال والاقتصاد والمجتمع، 1993.
- التاريخ واللسانيات، النص ومستويات التأويل (مائدة مستديرة)، 1992.
- الفكر الفلسفي بالمغرب المعاصر، 1993.
- نظرية التلقي : إشكالات وتطبيقات، 1993.
- علم النفس وقضايا المجتمع المعاصر، 1993.
- دراسات فلسفية (أعمال مهداة إلى الأستاذ الطاهر وعزيز)، 1993.
- التحولات الاجتماعية المجالية الحديثة في الأرياف المغربية، 1993.
- الزكاة وانعكاساتها في المجالين الاقتصادي والاجتماعي، 1994.
- مجالات لغوية : الكليات والوسائط، 1994.
- في ذكرى جرمان عياش، 1994.
- المخطوط العربي وعلم المخطوطات، 1994.
- من قضايا التلقي والتأويل، 1995.
- مدينة أبي الجعد : الذاكرة والمستقبل، 1995.
- Actes 6^e colloque international de linguistique fonctionnelle S.I.L.F. 1979.
- Le Maroc et la Hollande : Etude sur l'histoire, la migration, la langue et la culture :
Volume 1 : Première rencontre universitaire, 1988.
Volume 2 : Deuxième rencontre universitaire, 1990.
Volume 3 : Troisième rencontre universitaire : La recherche scientifique au service du développement, 1992.
- Quatrième rencontre universitaire : Le Maroc et la Hollande une approche comparative des grands intérêts communs, 1915.
- Le Maroc et l'Allemagne : Première rencontre universitaire, 1991.
- Identité culturelle au Maghreb, 1991.
- Le Maroc et l'Atlantique (Table ronde), 1992.
- Westermarck et la société marocaine, 1993.
- Montagnes et Hauts-Pays de l'Afrique, 1993.

- Dialectologie et sciences humaines au Maroc, 1995.
- Maroc – Belgique :
Première rencontre scientifique interuniversitaire, 1995.

المجلات

Revues

- مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية : من العدد الأول 1977 إلى العدد التاسع عشر 1994.
- Langues et littératures : du vol. I (1981) au vol. XII (1994).
- Hespéris Tamuda : du Vol I (1960) au Vol. XXXII, Fascicule unique (1994),
+ Vol. de l'année 1921 (réédition).

MAJALLAT KULLIAT AL ADAB

Parution annuelle

Directeur : Abdelwahed Bendaoud

Comité de Rédaction :

Aomar Afa

Ahmed Al Yabouri

Mohamed Maniar

Mokhtar Al Harras

Mohamed Miftah

Kacem Hssaini

Les opinions et la terminologie exprimées dans cette revue
n'engagent que leurs auteurs.



مطبوعات المجلس
الاستشاري

رقم الإصدار بالخرانة العامة 1977/1
الرقم الدولي الموحد : 1160 - 0851